الجامعة الاردنيـــــــــة
كلية الدراسات العليـــــا
قسم الدراسات العليـــــا
للعلوم الانسانية والاجتماعية

" آراء الطيبي البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب حتى القرن العاشر الهجري " .

٢٠٠٤

إعـــــداد

عبد الحميد بوصواره

إشـــراف

الاستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي

استاذ البلاغة العربية بالجامعة الاردنية

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ : ٢٣/٥/١٩٩١

وأجازتها لجنة المناقشة المكونة من :

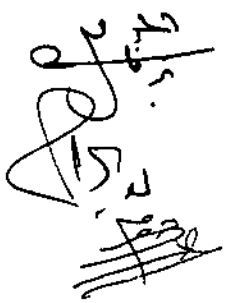

الاستاذ الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي مشرفاً

الاستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمـــــن عضواً

الاستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهـــدي عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهـداء

إلـــى

و الـدي ووالدتي وا لاخوة .

وإلى زوجتي التي تغربت من أجلي

ونور ونـميـرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة
١ - المقدمة	١
٢ - الفصل الأول :	
أ - البلاغيون الذين أثروا في الطيبي	٩
ب - البلاغة في بداياتها الأولى	١١
ج - البلاغة بين الزمخشري والطيبي	١٥
د - أثر فخرالدين الرازي في الطيبي	٢١
هـ - السكاكي وأثره في الطيبي	٢٦
و - ابن الأثير وأثره في الطيبي	٣٦
ز - ابن مالك وأثره في الطيبي	٤٧
ت - القزويني وأثره في الطيبي	٥٥
٣ - الفصل الثاني :	
أ - مجهود الطيبي في العلوم البلاغية	٦١
ب - علم المعاني	٦٢
ج - علم البيان	١١٥
د - علم البديع	١٥٥
٤ - الفصل الثالث :	
أثر كتاب التبيان للطيبي في مؤلفات البلاغيين الذين جاءوا بعده	١٨٤
أ - أثر التبيان في كتاب الطراز للعلوي	١٨٥
ب - أثر التبيان في كتاب المطول للتفتازاني	١٨٥
ج - أثر التبيان في كتاب عروس الأفراح للبهاء السبكي	١٨٨
د - أثر التبيان في كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي.	١٩١
هـ - أثر التبيان في كتاب شرح عقود الجمان للسيوطي	١٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــــوع	الصفحة
و - أثر التبيان في كتاب أنوار الربيع لابن معصوم	٢١١
٥ - الخاتمة	٢١٧
٦ - قائمة المصادر والمراجع	٢٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

أحمد الله وأشكره الذي هداني بنوره وبعث في قلبي المتبر والإرادة لإنهاء ما كانت نفسي تطمح إلى تحقيقه ، المتمثل في هذا الجهد المتواضع في ميدان البحث العلمي ، وأحمد الله وأشكره على نعمة الجهاد في سبيله فلقد تركنا أعز ما نملك ، الأرض والأهل وابتعدنا عنهم آلاف الأميال طلبا للعلم وجهادا في سبيل الله ، وأحمد الله وأشكره بأن عوضني بأهل وأرض فانشرح صدري وزالت غربتي وسط أهلي في ديارنا المشرقية .

فاجتمعنا بأهلنا هنا ، فلهم منا جزيل الشكر لاحتضانهم لنا ولفّهم لنا بعطفهم وكرمهم وعلمهم ، خاصة تفهمهم الكبير لموقفنا وهدفنا الذي جئنا من أجله ، فلقد فهموا منا بأننا ثوار معركة الجهاد الأكبر في جزائر المليون ونصف المليون شهيد ، فنحن ورثة الثورة وحاملو راية تعريبها مقسمين بأن نمحو كل الآثار السلبية للثقافة الفرنسية التي تركتها فرنسا بين أبناء وطننا عندما خرجت تجر أذيال الهزيمة .

إن الجزائر هي إحدى قلاع العرب والإسلام والعربية ، آملين في المستقبل القريب أن نكون أرضا واحدة وأن نقف صفا واحدا في صلاتنا وجهادنا ، وأن نسترد ما أخذ منا وأن نقيم صلاة كبرى في القدس الشريف . اللهم اجعل عملنا فوق قولنا واجعل إرادتنا فوق امنيتنا ولا تجعلنا ممن يولون الأدبار يوم الزحف .

لقد كان سبب اختياري عنوان موضوع بحثي:(أراء الطيبي البلاغية وتاثيرها في البلاغيين حتى القرن العاشر الهجري) ، والطيبي هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (١) (- ٧٤٣ هـ) أحد أئمة

---

(١) أنظر ترجمته في الدر الكامنة للعسقلاني (- ٨٥٢ هـ) محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة ط٢ ١٩٦٦ ج٢ ص : ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرن الثامن الهجري وعلم من أعلام البلاغة العربية ، يقي هذا العلامة بلاغيا مغمورا بالنسبة لنا إلى أن فتح الله على الباحثين الذين حققوا كتابه ، فجاء ما كتبه يمثل مرحلة بلاغية حساسة جدا في منتصف القرن الثامن الهجري ، هذه المرحلة تبرز أثر البلاغيين من القرن الثالث للهجرة حتى نهاية القرن السادس للهجرة ظهرت مدرستان بلاغيتان هما المدرسة المنطقية والمدرسة الأدبية واختلافهما في المنهج ، وإذا كان مجيء الطيبي في وقت وجد فيه أن كلا من المدرستين قد قطعت شوطا كبيرا في منهجها ورسخته ترسيخا كاملا ، فاختار الطيبي منهجا خاصا به جديدا جمع فيه بين المدرستين انفق فيه الكثير من وقته وجهده ، ويمكننا القول أن المرحلة التي سبقت الطيبي هي مرحلة تأثر حيث ظهر فيها الكثير من كبار علماء البلاغة وضعوا فيها مؤلفات كبيرة .

فبعد أن كانت العلوم البلاغية مواضيع عامة تدرس في الكتب الأدبية متفرقة لم تقنن ، فجاء العلامة السكاكي (- ٦٢٦ هـ) وقننها وضبط أصولها في كتابه المفتاح في القسم الثالث منه وبهذا أعطى للبلاغة نفسا جديدا ، بقيت كما تركها إلى وقتنا الحاضر كما هي وكان قبل السكاكي علماء كبار كتبوا الكثير في مختلف مواضيع العلوم البلاغية أمثال عبد القاهر (- ٤٧١ هـ أو ٤٧٤) والزمخشري (- ٥٣٨ هـ) وغيرهم ممن سبقوهم ، وكان هدف دراستهم خدمة القرآن الكريم وهذا المنهج تطلب منهم تطبيق مواضيع العلوم البلاغية تطبيقا عمليا لتوضيح ما جاء في القرآن الكريم من جميع جوانبه ، ولم يكن هدفهم الكتابة في المواضيع البلاغية في حد ذاتها . وعكسهم ما فعله السكاكي حيث قام بجمع المواضيع البلاغية وقننها حتى يتمكن الباحث أو الدارس الإلمام بها وتسهل عليه معرفتها وبذلك يستطيع أن يطبقها في ميادين اختصاصه .

فلهذا رأينا أن المدرسة المنطقية تهتم بالتحديد المنطقي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والضابط العقلي بينما تهتم المدرسة الأدبية بالشاهد الأدبي والإكثار منه .

جاء الطيبي بمجهوده وجمع بين فنيات كل مدرسة ووافق بين منهجيهما وخرج بمنهج جديد جمع فيه بين الضابط العقلي والشاهد الأدبي بأسلوب علمي رائع ، جمع فيه تيارين فكريين وصبهما في قالب واحد احتفظ به بذوق كل نمط وخصوصياته ، والعمل للتوفيق في مثل هذه الأعمال يتطلب إطلاعا كبيرا وعلما واسعا وفكرا ثاقبا ليس من قدرة أي إنسان القيام به ، ويمكننا القول أن الطيبي كان همزة وصل بين مدرستين تأثر بهما . وهذه المرحلة التي مرّ بها هي مرحلة تأثر وابداع لحقتها بعد ذلك مرحلة التأثير ،فكما تأثر بمن سبقه أثر هو كذلك بمجهوده في البلاغيين الذين جاؤوا بعده فعاش بذلك في تأثر وتأثير .

ومما ذكرنا سابقا كان من الأسباب الأساسية لاختيارنا لهذا الموضوع ، فدراسة المنهج الجديد خاصة وأن الكتاب لم يحقق إلا مؤخرا . ومن حق هذا العلامة أن تكتب عنه الكثير من الدراسات لابراز مجهوده في ميدان العلوم البلاغية وهذا لنعطيه حقه كالذين سبقوه أو عاصروه أو جاؤوا بعده ، خاصة وأنه أحد العلماء المتميزين بمجهوده كما ذكرنا سابقا .

وكذلك من أسباب اختياري لهذا الموضوع هو أنني قد صارحت أستاذي باننا في وطني الجزائر نعاني من نقص شديد ، بل قل شبه انعدام تام لمختصين في تخصص العلوم البلاغية ، والذي جئت به من الجزائر في هذا الميدان هو عبارة عن معلومات عامة ، فطلبت منه أن يأخذ بيدي ويمدني بالمساعدة اللازمة كلما دعت الضرورة لذلك ويكون لي سندا قويّا اعتمد عليه ، ولأستاذي الفاضل جزيل الشكر فقد استجاب لطلبي ووافق عليه مع علمه أنه سيتعب معي لأن الباحث في هذا الموضوع لا بد له من الرجوع للمراحل البلاغية التي سبقت الطيبي ، ثم مرحلة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عصره ، ثم البلاغة بعده ، وبهذا يكون الباحث قد اطلع على العلوم البلاغية مواضيعَ وأعلاما وتاريخا حتى يكوّن الرصيد اللازم للخوض في غمار موضوعه .

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع كذلك رأيت أن الكتابة فيه من ضروريات الجامعة الجزائرية والحياة الثقافية والدينية والسياسية خاصة ونحن نمر في بلدي بتجربة التعددية السياسية فتضاربت الآراء واختلفت وانتُهجت الكثير من المناهج أساءت الكثير إلى الرجل المسلم والإسلام فنحن نحتاج للمحافظة على نقاوة ديننا وإبعاد كل الشبهات والتشويه عنه إلى أدلة علمية للرد على الطاعنين فيه وإلى الذين يتكلمون باسم الإسلام وبينهم وبينه بون" شاسع ، فهدفنا بناء جيل يتكلم عن الإسلام بلغة العلم والعقل لا بلغة العاطفة والعنف .

ولا أنسى أن أذكر معركة التعريب الشامل في الجزائر فلكي تنجح هذه المعركة لا بد لنا من أسس قوية في علوم العربية حتى نعطي للأبناء هذا الوطن البديل الأفضل الذي عمل الاستعمار على محوه واستبداله بلغته ، فنحن نؤمن كل الإيمان بأن أحسن طريقة للقضاء على تركة الاستعمار هو اللغة العربية بثوبها الجديد .

أما خطة هذا البحث فقد صممناها على مدخل تعرضنا فيه للبدايات الأولى للعلوم البلاغية وهذا للتأكيد على أن مواضيع العلوم البلاغية لم تكن حديثة العهد بل هي قديمة قِدم اللغة ، وجاءت هذه المواضيع في مؤلفات الأولين على شكل مواضيع متفرقة ، ثم انتقلنا إلى الفصل الأول في الرسالة وتعرضنا فيه إلى بعض البلاغيين الذين أثروا في الطيبي وكان قد ذكرهم في مقدمة كتابه ورتبناهم ترتيبا زمنيا حتي يسهل تتبعهم ودرسنا أثر كل واحد منهم في الطيبي بعد موازنة بين ما كتبه الطيبي وبين ما كتبه هؤلاء العلماء وأعطينا بقدر المستطاع نماذج وامثلة من مؤلفاتهم ووازناها بما كتبه الطيبي وحاولنا أن لا نطنب كثيرا ونطيل حتى لا نخرج عن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هدفنا أو نكثر بلا فائدة .

أما الفصل الثاني فقد تعرضنا فيه إلى مجهود الطيبي في العلوم البلاغية ولكي تسهل علينا عملية التتبع والدراسة قسمنا هذا الفصل إلى علومه الثلاثة معان وبيان وبديع ودرسنا مواضيع كل علم لحالها وما كتبه الطيبي فيها وانتهزنا الفرصة للرجوع إلى ما كتب قبله في هذه المواضيع حتى نستنتج مجهوده .

أما الفصل الثالث المتمثل في تاثير الطيبي في البلاغيين الذين جاؤوا بعده ومدى الأخذ برأيه من قبلهم وذكر مجهوده في مؤلفاتهم ، وحقيقة نتائج هذا الفصل مما استنتجناه مفيدة جدا وهامة ففيها كذلك يتضح مجهود الطيبي واجتهاداته وآراؤه وإضافاته في ميدان العلوم البلاغية . وحتى استطعنا الوصول إلى هذه النتائج رجعنا إلى عدة كبيرة استعنا بها في بحثنا فجاءت المصادر والمراجع متنوعة تطلبتها خطة البحث للتأكد من صحة المعلومات وتوثيقها بامانة علمية .

فاستعنا بمصادر اهتمت بحياة العلماء كمصادر التراجم مثل الدرر الكامنة للعسقلاني وشذرات الذهب للحنبلي وبغية الوعاة للسيوطي ، أما فيما يخص البدايات الأولى للبلاغة فقد استعنا بمصادر كعلوم القرآن مثل معاني القرآن للفراء وكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة بن المثنى ، واستعنا بمصادر اللغة كالكتاب لسيبويه ، وفي الأدب كالبيان والتبيين وكتاب الحيوان للجاحظ ، وبكتب الأمثال كمجمع الأمثال للميداني ، وفي الأحاديث بمسند الإمام أحمد بن حنبل وحققنا بعض الأشعار من دواوين الشعراء ، كديوان امرىء القيس ، وديوان الخنساء ، وديوان البحتري ، وديوان المتنبي وديوان أبي فراس الحمداني ، وركزنا على مصادر البلاغة والنقد كطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ، وقواعد الشعر لثعلب أما المصادر البلاغية فرجعنا إلى كتاب البديع لابن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعتز ، والصناعتين للعسكري ، وأساس البلاغة والكشاف للزمخشري ، وكتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، وكتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ونهاية الإيجاز للرازي ، والمصباح لبدر الدين بن مالك ، وكتابي المثل السائر والجامع الكبير لابن الأثير ، والمفتاح للسكاكي والإيضاح للقزويني ، وعروس الأفراح للبهاء السبكي والطراز للعلوي والمطول للتفتازاني ، كما رجعنا إلى بعض المصادر التي عالجت بعض المواضيع البلاغية مثل كتاب البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ ، وكتاب الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادي وكتاب بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري . وغيرها من المصادر الكثيرة ، كمقدمة ابن خلدون والكامل للمبرد وخزانة الأدب للبغدادي ، كما استعنا ببعض المصادر المتأخرة ككتاب أنوار الربيع لابن معصوم والاتقان في علوم القرآن للسيوطي .

وبقدر اهتمامنا بالمصادر القديمة والمتأخرة ، ركزنا اهتمامنا على المراجع الحديثة المختلفة المواضيع منها ما اهتم بتاريخ الأعلام والتاريخ لهم ومنها ما اهتم بالمواضيع والتاريخ لها مثل كتاب البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف وكتاب البيان العربي لبدوي طبانة ، وكتاب مناهج بلاغية لأحمد مطلوب واستعنا ببعض المراجع التي عالجت منهج بعض العلماء من الناحية العلمية كبعض المؤلفات مثل البلاغة عند السكاكي ، والقزويني وشروح التلخيص ، وعبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده هذه الكتب لأحمد مطلوب ، ومن المراجع كذلك كتاب منهج الزمخشري في تفسير القرآن لمصطفى الجويني وكتاب البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري لمحمد محمد أبو موسى ، وكتاب البهاء السبكي وآراؤه البرغية لعبد الفتاح لاشين ، وكتاب دراسات بلاغية عند ابن الأثير لعبد الواحد حسن الشيخ . ولما رأينا أن هناك أشياء للنحاة في البحث البلاغي رجعنا إلى بعض المراجع مثل كتاب أثر النحاة في البحث البلاغي لعبد القادر حسين ، وكتاب مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين لأحمد عبد السيد الصاوي واستعنا كذلك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمختلف المراجع التي لها اتصال مباشر بموضوعنا مثل كتاب النقد المنهجي عند العرب محمد مندور ، وكتاب مناهج تجديد لأمين الخولي ، وكتاب الأسلوب لأحمد الشايب ، وكتاب مقدمة في دراسة البيان العربي لمحمد بركات أبو علي ، وكتاب التفكير البلاغي عند العرب لحمادي المسعودي ، كما استعنا بالمراجع التي اهتمت بالمواضيع ككتاب الاستعارة لأحمد عبد السيد الصاوي وكتاب المجاز في البلاغة العربية لمهدي صالح السامرائي ، واستعنا كذلك بمراجع اهتمت بالنقد والبلاغة مثل كتاب من قضايا النقد والبلاغة لعبد الرؤوف مخلوف. هذه المراجع رأينا من الضرورة الرجوع إليها والاستعانة بها لاتصالها المباشر بالدراسات الحديثة لتكون لدينا نظرة واسعة على ما كتب قديما وحديثا .

لا بد لكل باحث أن يجد أمامه الكثير من الصعوبات والعقبات عندما يبدأ في التفكير فيما يخص موضوع بحثه وانا أرى أن هذا الأمر طبيعي جدا ، لأنه ليس هناك هدف يحققه المرء دون أن يجد تلك الصعوبات والعقبات أمامه وتختلف هذه الصعوبات من شخص لآخر باختلاف موضوع البحث ، وبما انني كأي طالب باحث فقد واجهتني بعض الصعوبات ولكن بإرادة الله سبحانه عز وجل استطعت التغلب عليها بصبري ، ومساعدة أستاذي لي وفضل الأساتذة الأفاضل وقبل أن أسرد الصعاب أود هنا وبالذات أن أقدم احترامي وتقديري وجزيل شكري لأستاذي الفاضل محمد بركات حمدي أبو علي الذي أخذ بيدي وساير لحظات بحثي خطوة خطوة وأمدني بعلمه وتجربته فزودني بإرادة قوية تحطمت أمامها الصعاب ، والذي أثر في نفسي من كرمه أنه فتح لي الأبواب أمام مكاتب الأساتذة والاستفادة من علمهم وتجربتهم .

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتني أثناء تحريري لهذا البحث أسلوبي في الكتابة ، فلم أكن راضيا عنه فإني أرى النقص يلفه من كل جانب فعلمت جاهدا على تحسينه والعمل على جعله رصينا لكنني مقتنع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن هذا راجع إلى نقص التجربة في الكتابة آملا أن يجتمع لي رصيد من الممارسة والتجربة يجعلني أحسن من أسلوبي مستقبلا .

ومن الصعوبات كذلك عدم حصولي على بعض المخطوطات التي تهم موضوعي سواء عن طريق الرسائل أو الزيارات .

ومن الصعوبات كذلك التي واجهتني أثناء جمع المادة من المصادر والمراجع اختلاف طبعاتها فكلما أرجع للبحث عن طبعة لكتاب أجدها قد استعيرت فاضطر أن انتظر حتى ترجّع أو أكمل بحثي عن طبعة أخرى .

هذه هي أهم ما تعرضت إليه من الصعوبات أثناء بحثي والحقيقة أنها زادتني إرادة وزودتني بتجربة عميقة في ميدان البحث وعلمتني ما لم أكن أعلمه حتى أكون على بصيرة في مستقبلي العلمي . وأن احتاط جيدا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

البلاغيون الذين أثروا في الطيبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل أن نبدأ الحديث في هذا الفصل الذي خصصناه للبلاغيين الذين أثروا في الطيبي نذكر أن العلامة الطيبي قد ذكرهم في مقدمة كتابه التبيان في علم المعاني والبيان (١) موضحا بصريح العبارة بانه اعتمد على مؤلفاتهم بوصفها مصادر له ، رجع إليها وأخذ عنها الكثير مما كتبه في العلوم البلاغية الثلاثة سواء في علم المعاني أم في علم البيان أم في علم البديع ، وقد كان حريصا أشد الحرص على الأمانة العلمية خاصة عندما ذكر قائلا : ((هو بديع في إغرابه ، وإذا رمقتَ بعين الرضى ، وجانبت الهوى خلتهُ مفردا في باب لما ضمنته من مباحث المفتاح (٢) ما كان أصولها ، ومن منافث الكشاف(٣) ما آخرَ محصولها ، ورشحته بما في المصباح (٤) والإيضاح (٥) من النوادر ورشحته بزبدة النهاية (٦) والمثل السائر (٧) وعلقت على ما شذّ على بعضهم من الأوابد)) (٨) والحقيقة أن ذكره لهؤلاء العلماء تلزمنا بالرجوع إلى مؤلفاتهم والبحث والتدقيق فيها حتى نستنتج أثرها في مؤلفه ونبينه ، ونستخلص ما أضافه من زيادات جديدة في كتابه وهذه الزيادات هي المجهود الشخصي له .

وحتى يكون منهجنا واضحا في هذا الفصل فقد رتبنا هذه الكتب التي رجع إليها ترتيبا زمنيا لا كما ذكرها في مقدمة كتابه ، ليسهل علينا وعلى الباحث تيسير البحث ، وقبل أن ندخلُ في هذا الفصل مباشرة رأينا من الضرورة أن نرجع قليلا إلى الوراء حتى نتأكد من

---

(١) التبيان للطيبي (- ٧٤٣ هـ) د. هادي عطية مطر / مكتبة النهضة العربية ط١ ١٩٨٧ .
(٢) المفتاح للسكاكي (- ٦٢٦ هـ) - نعيم زرزور- ط دار الكتب العلمية .
(٣) الكشاف للزمخشري (- ٥٣٨ هـ) مطبعة الدار العالمية .
(٤) المصباح لابن مالك (- ٦٦٨ هـ) الطبعة الخيرية ط١ ١٣٤١ هـ .
(٥) الإيضاح للقزويني (-٧٣٩ هـ) تحقيق د. عبد المنعم خفاجي ط٢ مكتبة الكليات الأزهرية .
(٦) نهاية الإيجاز للرازي (- ٦٠٦ هـ) تحقيق د. بكري شيخ أمين / دار العلم للملايين ط١ ١٩٨٥ .
(٧) المثل السائر لابن الأثير (- ٦٣٧ هـ) أحمد الحوفي / بدوي طبانة / دار النهضة مصر للطبع والنشر .
(٨) التبيان للطيبي ص : ٤٤ ؛ ٤٥ .

٣٩٧١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن الموضوعات البلاغية قد اهتم بها العرب منذ القدم ولم تكن بداياتها الأولى على أيدي هذه الفئة التي ذكرها الطيبي واعتمد على كتبها باعتبارها مصادر له في أثناء تأليفه كتابه التبيان .

البلاغة في بداياتها الأولى

البلاغة علم من علوم اللغة العربية ظهر متناثرا في مواضيع مختلفة في بداياته الأولى ، فالمواضيع البلاغية كانت منتشرة في المؤلفات الأولى لعلمائنا ، ولكنها . ككل علم لم تكن واضحة المعالم كعلم مستقل له مواضيعه وقوانينه .

والواضح أن البلاغة كلفظة بمعناها لم تكن مجهولة لدى سلفنا منذ القدم فهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قد عرفها بقوله : ((البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عُوَّار الجهلات بأسهل ما يكون من العبارات)) (١) .

كما عرفها الحسن بن علي - رضي الله عنهما - : ((البلاغة تقريب بعيد الحكمة بأسهل عبارة)) (٢) فمن خلال هذين التعريفين نتأكد من أن العرب اهتموا منذ البدايات الأولى بالبلاغة وأدركوا مدى أهميتها في حياتهم سواء كانت لغوية أم دينية ، حيث أدركوا أنه لا بد من العبارات البليغة لإزالة اللبس عن ألفاظ يراد بها معنى من المعاني حتى يفهمه السامع ويعيه بدون تاويل أو شك .

ومع تقدم الزمن وتدرج العرب حضاريا خاصة تمدنهم وامتزاجهم بكثير من الشعوب واتساع الرقعة الإسلامية . هذا الوضع أوجد تغيرات جوهرية في العقل العربي والإسلامي وكذلك اندماج شعوب مختلفة تحت

---

(١) كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري / علي محمد البجاوي / محمد أبو الفضل ابراهيم ط١ / ١٩٥٢ دار إحياء الكتب العربية ص : ٥١ .
(٢) المصدر نفسه ص : ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لواء الإسلام وانصهارها فنتج عن ذلك مجتمع جديد له مميزاته الخاصة به في شتى الميادين .

في هذه الفترة انتقل الفكر العربي الإسلامي إلى مرحلة الدراسة والتاليف وخاصة في العصر العباسي ونستغني هنا عن الشروح التاريخية التي لا تخدمنا .

فهذا أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه (- ١٨٠هـ) ذكر في كتابه المشهور الكثير من المسائل البلاغية التي أخذت من بعده (١) .

كما تطرق أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (- ٢٠٧ هـ) في كتابه ((معاني القرآن)) إلى بعض المسائل البلاغية (٢) ، وكذلك ابو عبيدة ابن معمر بن المثنى (- ٢٠٨ هـ) في كتابه ((مجاز القرآن))(٣) وابن سلام الجمحي (- ٢٣٢ هـ) في كتابه ((طبقات الشعراء)) (٤) وأبو عثمان الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) في كتابيه ((الحيوان والبيان والتبيين)) (٥) .

هذه الفئة من الطلائع الأولى لعلمائنا تطرقت إلى المواضيع البلاغية في طيات صفحات مؤلفاتها وأشارت إليها ولكنها لم تحددها كعلم قائم بذاته ألا وهو علم البلاغة ، وبمرور الزمن ونضوج الفكر أكثر فأكثر وتراكم المواضيع البلاغية في أمهات الكتب ظهر جيل جديد

---

(١) الكتاب سيبويه ط١ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ١٣١٦ هـ ص : ٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٢) معاني القرآن أبو زكريا الفراء مطبعة عالم الكتب ط٢ عام ١٩٨٠ . يتحدث عن التشبيه ص : ١٤ / وعن المعنى ص : ٤٠ / وعن التكرير ص : ٥١ / ٧١ .
(٣) مجاز القرآن أبو عبيدة بن معمر المثنى / د. محمد فؤاد سزكين ط٢ ١٩٧٠ دار الفكر . يتكلم عن المجاز ص : ١ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ . وعن معاني القرآن ص : ٨ .
(٤) طبقات فحول الشعراء ابن سلام . محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة سنة ١٩٧٠ . يتكلم في ج١ ص : ٥٥ ، ٦٨ عن التشبيه وعن الزمان والإيطاء والإقواء .
(٥) البيان والتبيين للجاحظ / عبد السلام هارون ط٤ بيروت . المعاني والبيان ص : ٧٥ ، والبلاغة ص : ٩٦ - ٩٧ ، والإيجاز ص : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من العلماء نظر إلى البلاغة نظرة تختلف عن نظرة سلفهم ، وقد ظهرت مجموعة من أشهر علماء القرن الرابع والخامس والسادس والسابع للهجرة . في هذه القرون المتتالية ألفت مؤلفات تختلف عن مؤلفات السلف الأول من حيث الدقة والتقنين .

فقد ألف أبو هلال العسكري (- ٣٩٥ هـ) كتابه ((الصناعتين)) الذي يعتبر كتابا مهما ، حيث كان هذا الكتاب نقطة تحول النقد إلى بلاغة وخاصة عندما بوب كتابه تبويبا منظما يحس القارىء أن هناك نقطة تحول تدل على عقلية ناضجة مدققة ومقننة في عملها ، وكتاب ((الصناعتين)) من أوائل الكتب التي وضعت الخطوات الأولى لعلم البلاغة (١) .

ثم ألف الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (- ٤٦٦ هـ) كتابه ((سر الفصاحة)) وكان هدف صاحبه معرفة حقيقة الفصاحة والعلم بسرها . ويعتبر كتابه من الكتب الجيدة بأسلوبه الأدبي الرائع وبعده عن الجفاف العلمي المنفر ، والدارس للكتاب يلاحظ أن ابن سنان الخفاجي أدخل بعض الموضوعات في فصاحة التأليف مثل المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية بينما اعتبرها المتأخرون من علم البيان (٢) .

ثم جاء أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (- ٥٣٨ هـ) فألف كتاب ((أساس البلاغة)) ثم كتاب ((الكشاف)) تطرق فيهما إلى كثير من المسائل البلاغية وخاصة كتاب ((أساس البلاغة)) حيث عرف البلاغة بقوله : ((وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قول

---

(١) كتاب الصناعتين : في تعريفه للفصاحة والبلاغة ص : ٦ ، ٧ ، ٨ والقضايا البلاغية الأخرى ص : ٣٢١ وما يليها . وينظر النقد المنهجي عند العرب / محمد مندور دار النهضة مصر للطبع والنشر ص : ٣٢١ .
وينظر مناهج تجديد / أمين الخولي ط١ ١٩٦١ دار المعرفة ص : ١٣٤
(٢) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي / عبد المتعال الصعيدي ط ١٩٥٢ مطبعة علي محمد صبيح وأولاده ص : ٥٩ ، ١٣٤ ، ٢٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بليغ وتبالغ في كلامه : تعاطى البلاغة وليس من أهلها)) (١) وأما كتابه الكشاف فقد وضعه أصلا لشرح القرآن الكريم وتطرق فيه إلى الكثير من المواضيع البلاغية وسنعرض إن شاء الله في الصفحات القادمة إلى شرح واسع حول هذا الكتاب .

كما جاء الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (- ٦٢٦ هـ) وألف كتابه ((مفتاح العلوم)) وقد ظهر جهده خاصة في القسم الثالث من الكتاب بالجمع والتبويب في إبداء الراي في بعض المسائل البلاغية وبالرغم من أن كتابه معقد الدراسة لما يمتاز به من العلمية الجافة إلا أنه مصدر من المصادر البلاغية التي يعتمد عليها الباحث في أبحاثه البلاغية .

فمن خلال هذه النظرة السريعة نستنتج أن العرب والمسلمين اهتموا بالبلاغة من أول بدايات حياتهم الإسلامية الجديدة ، وخاصة دراسة البلاغة والاهتمام بها للتمعن في أسرار التنزيل والكشف عن التاويل ، فتيقن العرب أنه بالبلاغة يستطيعون التمييز بين الكلام الجيد من الرديء ، والأسلوب الجميل من الأسلوب القبيح ، بالرغم من فصاحة العرب وتمكنهم من اللغة العربية ومفرداتها إلا أنهم وقفوا حائرين مبهورين أمام هذا التنزيل الذي لم يسمعوا مثله سابقا ، فظهروا أمامه ضعفاء ، فراحوا يبحثون عن معرفة إعجاز القرآن الكريم وبيان سر إعجازه .

والحقيقة أن هناك الكثير من البلاغيين الذين لم نتعرض لذكرهم لهم دراسات في العلوم البلاغية ، وبحول الله سننتقل لدراسة البلاغيين الذين أثروا في الطيبي وقد ذكرهم في مقدمة مؤلفه ((التبيان)) وكنا قد نقلنا مقالته في الصفحة الأولى من هذا الفصل .

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري ج١ ط٢ مطبعة دار الكتب ص : ٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاغة بين الزمخشري والطيبي

وهو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (- ٥٣٨ هـ). إن جار الله كما يسميه الطيبي في كتابه ((التبيان في علم المعاني والبديع والبيان)) قد ألف كتابين هما ((أساس البلاغة)) و ((الكشاف)) . والحقيقة أن هذين الكتابين لم يؤلفهما الزمخشري في البلاغة أو بمعنى أدق لم يضعهما لدراسة العلوم البلاغية وبالأخص كتابه الكشاف ، ولكن المواضيع البلاغية جاءت متناثرة في كتاب الكشاف ، ورأى أنه لا يمكن الكشف عن أسرار التنزيل وروعة الإعجاز في تفسير القرآن الكريم إلا بعلمي المعاني والبيان وقد أكد ما آمن به في كتابه الكشاف قائلا : ((ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله)) (١) .

ولقد اهتم اهتماما كبيرا في اثناء تفسيره للقرآن الكريم بتطبيق العلوم البلاغية وكأنه أدخل البلاغة بوصفها علما يطبق تطبيقا عمليا مباشرة للوصول إلى نتائج هي الكشف عن أسرار التنزيل وروعة الإعجاز عن طريق تطبيق العلوم البلاغية من خلال التفسير . وتطبيقا لعلوم البلاغية في تفسير أسرار التنزيل وروعة الإعجاز هو حصن منيع لكل الذين شككوا في هذا التنزيل خاصة في عصر كانت فيه اللغة العربية في أوج قوتها يقول الزمخشري : ((أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء ، وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء ، فلم يتصد بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ، ولم ينهض لمقدار قصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من

---

(١) الكشاف ج١ ص : ١٦ ، ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حصى البطحاء ، وأوفر عدد من رمال الدهناء)) (١) وبقدر ما اهتم الزمخشري بعلمي المعاني والبيان لم يكن اهتمامه كبيرا بعلم البديع (٢) ، فالمتتبع لما كتبه العلامة الزمخشري يلاحظ أنه اهتم كما ذكرنا سابقا بعلمي المعاني والبيان وتطبيق مواضيعهما تطبيقا عمليا أما علم البديع فلم يذكر إلا بعض المواضيع كالجناس والمشاكلة وأسلوب اللف (٣) .

وتعتبر آراء الزمخشري البلاغية ، أراء ذات قيمة كبيرة اهتدى على سبيلها الكثير من البلاغيين فقد أخذ عنه قبل الطيبي كل من السكاكي والقزويني وأصحاب الشروح والتلخيصات .

وبالرغم من أن الزمخشري لم يكن بلاغيا إلا أنه اهتم بالبلاغة اهتماما كبيرا فقد أضاف إضافات في كل من علم المعاني وعلم البيان. ((فقد أضاف إلى دراسة علم المعاني التقديم والتاخير وما يتصل به من تعريف المسند إليه وتنكيره وتقييد الفعل بالشرط بعد ((إذا)) و ((أن)) و ((لو)) ومواقعها في التغيير والقصر والمعاني المجازية لأساليب الإنشاء ، أما مما أمد به علم البيان استكمال صورة الاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلي والكناية)) (٤) .

وكان للزمخشري أثر في الطيبي في كثير من المسائل البلاغية خاصة في علمي المعاني والبيان ، قد استشهد الطيبي بالكثير من آراء الزمخشري وكان دائما يردد اسمه : ((وقال : جار الله)) (٥) ويقصد به الزمخشري ومن خلال تتبعنا للطيبي في كتابه التبيان فقد كان يستشهد

---

(١) الكشاف ج١ ص : ٩ ، ١٠ .
(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري . محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة ط٢ ١٩٨٨ ص : ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٥٧٠ وما يليها .
(٣) كتاب مناهج بلاغية أحمد مطلوب وكالة المطبوعات الكويت ص : ٥٩، وينظر كتاب البلاغة تطور وتاريخ شوقي ضيف ط٣ دار المعارف بمصر ص : ٢٦٥ وما يليها .
(٤) المصدر السابق ص : ١١ ، المصدر السابق ص : ٢٤٣ وما يليها . وينظر كتاب البلاغة القرآنية ص : ٥٧ ، ٢٩٩ ، ٣٨١ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٧٦ ، ٨٨ ، ٧٩ ، ٨٠ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو يذكر آراء الزمخشري موضحا بانه رَجع إلى الكتاب وتاثر به بغض النظر عن تاييده أو معارضته في آرائه لكن الدارس للكتاب يلاحظ أن العلامة الطيبي كان كثيرا ما يعارض الزمخشري في آرائه ويؤيد السكاكي .

ومن ذلك في باب المسند إليه في كونه معرفا باللام يقول : ((وجار الله حمل التعريف في (الحمد لله) (١) على العهد الذهني ليثبت بعض الحمد لله تعالى وهو وهم لأن الصفات التالية جارية على العموم ومستدعية عموم الحكم المترتب عليها المعنى)) (٢) .

فالطيبي يخالف الزمخشري في هذا الموضوع،ويعطي رأيا آخر لأن الطيبي بكونه عالم بلاغة زد على ذلك ((كان يشتغل في التفسير من بكرة إلى الظهر ومن ثم إلى العصر لإسماع البخاري)) (٣)
ومما أخذه عن الزمخشري وخالفه فيه كذلك في البحث السرابع وهو ((في الفصل لفقدان الإتفاق)) وهذه المسالة جاءت تحت باب علم المعاني يقول : ((واما قوله تعالى : ((وبشر الذين آمنوا)) (٤) بعد قوله : ((فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) (٥) ، فقد جاء الله معطوفاً على ((فاتقوا))،وصاحب المفتاح على ((قل)) مرادا قبل : ((يا ايها الناس أعبدوا)) (٦) لكون إرادة القول في كلام الله العزيز غير عزيز)) (٧)

فالطيبي يعارض الزمخشري في هذه المسالة بقوله : ((فلا يكون فاتقوا جواباً للشرط المذكور كما تُوهم إنما كان هذا أوفق

---

(١) سورة الفاتحة الاية : ٢ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٧٦ ، والكشاف ج١ ص : ٤٦ ، ٤٩ .
(٣) الدرر الكامنة العسقلاني / محمدد سيد جاد الحق ج٢ دار الكتب الحديثة - ط٢ - ١٩٦٦/ص : ١٥٦ .
(٤) سورة البقرة ٢/٢٥
(٥) سورة البقرة ٢/٢٤
(٦) سورة البقرة ٢/٢١
(٧) التبيان للطيبي ص : ١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لإستدعاء : ((وإن كنتم في ريب)) (١) هذا الجزاء المقدر لقرب المعطوف عليه ولظهور الجامعة الوهمية ولتضمنه العقلية لكون المعطوف والمعطوف عليه مسببين عن الشرط لاجتماع ((ثلاث)) مقابلات، ولفصل الفاء المفصحة عن المحذوف)) (٢)

وكما ذكرنا سابقاً أن الطيبي المفسر البلاغي عارض الزمخشري في كثير من المسائل البلاغية في الوقت نفسه كان يسوغ معارضته بالدليل العلمي القاطع .

ففي المجاز العقلي يرى ((أنه الكلام المحكوم فيه بخلاف ما عند المتعلم بالتأول كقول الموحد : (أنبت الربيع البقل) ، كما أنه رأى دوران الإنبات مع الربيع وجوداً أو عدماً دوران الفعل مع اختيار القادر حكم أنه من الربيع مبالغة وقولهم (كسا الخليفة الكعبة) لما رأوا دوران الكسوة البيت مع أمره وجوداً وعدماً أسندوا إليه . وكذا القول في (هزم الأمير الجند) ولا بد في هذا المجاز من نوع تعلق وشبه إليه المذكور بالمتروك آنفاً ... واعلم أن الشيخ نَظَمَ هذا المجاز في سلك الإستعارة بالكناية بأن جعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه ونسبة الإثبات القرينة

وجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة عن الجند ونسبة الهَزْم القرينة ... وما ذهب إليه الشيخ هو الحق إذ من شرط هذا المجاز ان يكون العلاقة بين المذكور والمتروك التشبيه كما سبق وإلا لم يصح كما إذا قيل : أنبت الربيع البقل .

وقال جار الله : ((وقد يسند إلى هذا الأشياء عن طريق المجاز المسمى إستعارة لمضاهاتها الفاعل كما يضاهي الرجل الأسد . وما هذا

---

(١) سورة البقرة : ٢٣/٢
(٢) التبيان للطيبي : ص ١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شانه لايكون استعارة))(١)

وهذا المقال سقناه من علم البيان .

أما فيما يخص علم البديع فقد أخذ الطيبي الإلتفات من كتاب الزمخشري ولم ياخذه من كتاب المفتاح للسكاكي ، فعند موازنتنا بين أمثلة الموضوعين عند كل من الطيبي والسكاكي ، وجدنا أن الطيبي نقل أمثلة الإلتفات جميعها من الكشاف بينما اكتفي السكاكي بنقل بعض الأمثلة . وعلى هذا تاكدنا من أن الطيبي أخذ هذا الموضوع من الكشاف للزمخشري وسنرى كيف عالج كل عالم من هؤلاء موضوع الالتفات وإلى أي علم نسبه .

يقول الزمخشري في الكشاف :((فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم)) (٢) .

أما السكاكي صاحب مفتاح العلوم فيقول في الالتفات :((واعلم هذا النوع . أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لايختص المسند إليه ولاهذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتهما ينقل كل واحد منها إلى الاخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني)) (٣) .

كذلك أخذ السكاكي عن الزمخشري في الالتفات مثال :((إياك نعبد وإياك نستعين (٤))) (٥) .

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٦٥ / والكشاف ج ١ ص : ٤١٦ / والمفتاح ص : ٣٩٤ .
(٢) الكشاف ج ١ ص : ٦٢ .
(٣) المفتاح ص : ١٩٩ .
(٤) سورة الفاتحة ١ / ٥ .
(٥) منهج الزمخشري في تفسير القرآن مصطفى الصادي الجويني دار المعارف بمصر ص : ٢٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أخذ عنه أبيات امرئ القيس :

تطاول ليلك با لاثمد ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر ا لأرمد

وذلك من نبأٍ جاءني وخُبِّرتيه عن أبي ا لأسود (١)

أما الطيبي فقد أخذ ا لأمثلة نفسها التي أخذها السكاكي لكنه زاد عليه بعضها من كتاب الكشاف للزمخشري ومن هذه ا لأمثلة :((الحمد الله رب العالمين)) (٢) ((إياك نعبد وإياك نستعين)) (٣) ((حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم)) (٤) .

((والله الذي أرسل الرياح فتثيره سحاباً فسقناه)) (٥) .

وقد عرف الطيبي ا لإلتفات بقوله :((هو ا لإنتقال من إحدى الصيغ الثلاثة ، أعني الحكاية والخطاب والغيبة إلى ا لأخرى لمفهوم واحد رعاية لنكتة)) (٦)

وقد وضع ا لالتفات في علم البديع في الباب ا لأول في التحسين الراجع إلى المعنى . فعند تتبعنا موضوع ا لالتفات عند كل من الزمخشري والسكاكي والطيبي وجدنا أن السكاكي أخذ موضوع ا لالتفات من الزمخشري بينما رجع الطيبي إليهما معا وأخذ عنهما ، ورغم وجود التأثر المتداخل بينهم إلا أنهم اختلفوا اختلافا جوهريا في موضوع ا لالتفات . فالزمخشري يضعه في علم البيان ، أما السكاكي فتارة يضعه في علم المعاني وأخرى في علم البديع ، أما الطيبي فوضعه في علم البديع على الرغم من أنهم انفقوا في تعريف علم ا لالتفات

---

(١) الديوان / حسن السندوبي ط٧ / ١٩٨٢ المكتبة الثقافية بيروت ص : ٧٦ / والمصباح ص : ١٦ والإيضاح ج٢ ص : ٨٩ والمفتاح ص : ٢٠٠ - ٢٠٢ والكشاف ج١ ص : ٦٤ .

(٢) سورة الفاتحة ٢/١ - الكشاف ج١ ص : ٤٦ - ٥٣

(٣) سورة الفاتحة ٥/١ المصدر السابق ص : ٦٠ .

(٤) سورة يونس ٢٢/١٠ المصدر السابق ص : ٦٢ .

(٥) سورة فاطر ٩/٣٥ المصدر السابق ص : ٦٣ .

(٦) التبيان للطيبي ص : ٢٨٤ وينظر القزويني وشروح التلخيص / أحمد مطلوب ط١ ١٩٦٧ مكتبة النهضة ببغداد ص : ٢٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحديد معناه وقد اتفقوا على أنه نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب ، فمن الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم واتفقوا على أن نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب ادخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية ، يضاف إلى ذلك أن الطيبي نقل الأمثلة .ولا سيما أبيات امرىء القيس الثلاثة وما فيها من ثلاث التفاتات وهي الأبيات نفسها التي نقلها السكاكي من كتاب الكشاف للزمخشري .

ومما تقدم يتضح أن الطيبي أخذ الكثير من المسائل البلاغية من كتاب الكشاف وإن دل هذا النقل إنما يدل على تاثر الطيبي بالزمخشري خاصة وأن الطيبي كان مفسرا للقرآن الكريم (١) كالزمخشري زد على ذلك كونه رجل بلاغة ،ولكنه مع ذلك اختلف معه في الكثير من المسائل البلاغية سواء كانت من علم المعاني أم من علم البيان .

ويبقى هدف الرجلين مشتركا بينهما ، هو خدمة القرآن الكريم مع العلم أن العلامة الزمخشري لم يكن هدفه تاليف كتاب بلاغة ولكن تفسير القرآن الكريم ،فلهذا كثيرا ما نراه يمر بالمسائل البلاغية مرورا سريعا أثناء تفسيره،وعكسه الطيبي الذي ألف كتابه في العلوم البلاغية فكان يدقق فيها .

أثر فخر الدين الرازي في الطيبي

كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لصاحبه محمد بن عمر بن الحسين بن علي ، الملقب بفخر الدين والمكنى بابي عبد الله (-٦٠٦هـ) اعتمده العلامة الطيبي كأحد المصادر الرئيسية في تاليف كتابه التبيان ، وقد كان هذا المصدر موثقاً ضمن قائمة المصادر الموثقة

---

(١) بغية الوعاة للسيوطي / محمد أبو الفضل ابراهيم / المكتبة العصرية مج ١ ص: ٥٢٢ .
وينظر شذرات الذهب للحنبلي / دار المسيرة ط٢ ١٩٧٩ ج٦ ص : ١٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مقدمة كتاب التبيان للطيبي وقد ذكره قائلا : ((ورشحته بزبدة النهاية والمثل السائر وعلقت على ما شذ على بعضهم من الأوابد)) (١).

وقبل الولوج في اثر هذا الكتاب في مؤلف الطيبي نود أن نترجم ولو باختصار لهذا الكتاب حتى نعرف منهجه وقيمته العلمية لنقتنع برأي الطيبي بانه مصدر مهم ولا بد من الرجوع إليه كما رجع هو إليه بنفسه .

يقول فخر الدين الرازي في مقدمة كتابه يذكر فيها بامانة علمية المصادر التي اعتمد عليها في تاليف كتابه : ((واستمر استئناس الناس بهذا الوسواس إلى أن وفق الله الإمام مجد الإسلام عبد القاهر بن عبد الرحمن النحوي الجرجاني - تغمده الله برحمته وافاض عليه عيون مغفرته - حتى استخرج أصول هذا العلم وقوانينه ، ورتب حججه وبراهينه وبالغ في الكشف عن حقائقه والفحص عن لطائفه ودقائقه وصنف في ذلك كتابين لقب أحدهما بدلائل الإعجاز وثانيهما باسرار البلاغة وجمع فيهما من القواعد الغريبة والدقائق العجيبة ، والوجوه العقلية ، والشواهد النقلية ، واللطائف الأدبية ، والمباحث العربية ما لا يوجد في كلام من قبلته من المتقدمين ولم يصل إليه غيره أحد من العلماء الراسخين)) (٢) .

فهذا الاعتراف والثناء لعبد القاهر الجرجاني من قبل فخر الدين الرازي لم يكن مجاملة او مدحاً وانما هو اعتراف بالقدرات العلمية الكبيرة لهذا الرجل وانصاف له بقدر ما انصفه في علميته بقدر ما نقده في منهجيته قائلاً ((ولكنه - رحمه الله - لكونه مستخرجاً لأصول هذا العلم واقسامه وشرائطه وأحكامه ، أشمل رعاية ترتيب الفصول والأبواب وأطنب في الكلام كل الإطناب)) (٣) .

---

(١) التبيان للطيبي ص :
(٢) النهاية ص : ٧٤ .
(٣) النهاية ص : ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيراً يذكر كيف وفقه الله إلى هذين الكتابين ومطالعتهما والإستفادة منهما في تاليف كتابه : ((ولما وفقني الله - تعالى - لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدهما ومقاصد فرائدهما ، وراعيت الترتيب مع التهذيب والتحرير مع التقرير، وضبطت أوابد الإجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية مع الإجتناب عن الإطناب الممل والإحتراز عن الإختصار المخل وسميته (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ... وقد رتبنا هذا الكتاب على مقدمة وجملتين)) .(١)

هذا بإختصار ما كتبه الفخر الرازي للتعريف بقيمة الرجل العلمية لأنه اتهم بالنزول بالبلاغة إلى أسفل حضيض عرفته وهذا بكتابه النهاية، والحقيقة أن منهجية الكتاب معقدة جداً لما فيها من التشعبات الكثيرة، ولهذا هاجم الفخر الرازي الكثير ممن كانوا لايحبون منهجه واتهموه بإنزال البلاغة إلى أسفل حضيض علمي ، ويمكننا القول أن تلك المنهجية التي انتهجها الرازي في كتابه في تلك الأيام لم تكن مقبولة لأن العقول لم تتعود على تلك التقسيمات والتشعبات أما من الناحية العلمية فالرجل لم يقصر خاصة وأنه المطّلع على دقائق الأمور وأمهات المصادر .

فترشيح الطيبي لكتابه بزبدة كتاب النهاية لم تكن كذلك من باب المجاملة لولا أن الطيبي تعرف على دقائق الكتاب وقيمته العلمية، فتاثر به ونقل عنه، ففي علم البيان في موضوع الكناية نقل عنه القول : ((فلان طويل النجاد . أي طويل القامة))(٢) . أما الفخر الرازي فيعطي المثال قائلاً : ((ومثال الكناية قولهم : ((فلان طويل النجاد كثير الرماد)) فقولنا ((طويل النجاد)) استعمل لا لأن الغرض

---

(١) النهاية ص : ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٢٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصلي معناه بل ما يلزمه من طول القامة)) (١) .

كما نقل الطيبي الإيهام فقد عرفه قائلاً : ((ويسمى أيضاً التورية ، وهو أن يطلق لفظة لها معنيان : قريب وبعيد ويراد به البعيد)) (٢) أما الفخر الرازي فقد عرف الإيهام قائلاً : ((وهو أن يكون للفظ معنيان ، أحدهما قريب والآخر بعيد ، فالسامع يسبق فهمه إلى القريب مع أن المراد هو ذلك البعيد)) (٣) .

وكذلك في تعريف المقابلة نقلها الطيبي من كتاب النهاية ويكاد نقله يكون حرفياً فقد عرفها الطيبي قائلاً : ((وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما ، ثم شرطت هنا شرطاً شرطت هنالك ضده قال تعالى : ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)) (٤))) (٥) .

وهذا التعريف السابق الذكر للمقابلة هو تعريف الفخر الرازي الذي عرف المقابلة قائلاً : ((وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ، ثم إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط)) (٦) .

وحتى الآية التي استشهد بها الطيبي هي نفسها التي استشهد بها الفخر الرازي .

كما نقل الطيبي تعريف المزاوجة من كتاب الفخر الرازي وعرفها قائلاً : ((وهي أن تزاوج بين معنين في الشرط والجزاء)) (٧) كما

---

(١) النهاية ص : ٢٧٠ .
(٢) التبيان ص : ٢٩٩ .
(٣) النهاية ص : ٢٩١ .
(٤) سورة الليل / ٩٢ / ٥-١٠ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٣٤٦ .
(٦) النهاية ص : ٢٨٦ .
(٧) التبيان للطيبي ص : ٣٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استشهد بالبيت الشعري نفسه الذي استشهد به الفخر الرازي في أثناء تعريفه للمزاوجة . والبيت الشعري القائل (١) :

إذا ما نهى الناهي فلج بيَ الهوى أصاخ إلى الواشي فهج به الهجر

هذا التعريف هو التعريف نفسه الذي عرّف به الفخر الرازي المزاوجة قائلاً : ((وهي أن يزاوج بين معنين في الشرط والجزاء)) (٢) . كما نقل عنه البيت الشعري نفسه واستشهد به في المزاوجة .

أما تعريف اللف والنشر فقد نقل الطيبي الشطر الثاني من تعريف الفخر الرازي لموضوع اللف والنشر ، كما استشهد بنفسي الاية ونقلها .

وقد عرف الطيبي موضوع اللف والنشر قائلاً : ((وهو أن تضم متعدداً ثم تتبعه ما لكل منه من غير تعيين ثقة بان السامع يرد كلا منه إلى ماهو له)) (٣) واستشهد بالاية الكريمة : ((ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله)) (٤) .

أما تعريف الفخر الرازي للّف والنشر فهو : ((وهو أن تلف شيئين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له)) (٥) واستشهد بالاية الكريمة من سورة القصاص التي ذكرنا سابقاً .

أما في الجناس فقد أخذ عنه ونقل بعض التعريفات والشواهد سواء منها الايات القرآنية أو الأقوال فعلى سبيل المثال اخذ عنه أو نقل تعريف التجنيس المضارع والأمثلة كما نقل عنه التجنيس اللاحق وأمثلة وقسمه التقسيم نفسه ، فالتجنيس اللاحق عرفه الطيبي بانه :

---

(١) البيت للبحتري في ديوانه مج١ دار صادر بيروت وفي النهاية ص : ٢٨٦ وفيه أصاخت بدل أصاخ وبها بدل به .
(٢) النهاية ص : ٢٨٦
(٣) التبيان للطيبي ص : ٣٩٩
(٤) سورة القصاص ٢٨/٧٣
(٥) النهاية : ص : ٢٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((وهو أن يختلفا لا مع تقارب المخرج ... إما في الأول ... إما في الوسط ... إما في الآخر ...)) (١) .

وهذا التقسيم هو نفس تقسيم الفخر الرازي : ((إما في أول الكلمة ... أو في وسطها ... أو في آخرها ...)) (٢) أما الشواهد فهي نفسها نقلها الطيبي من الفخر الرازي (٣) .

والواضح أن الطيبي قد اطّلع على مضمون كتاب النهاية اطلاعاً واسعاً ودقق تدقيقاً عميقاً ويمكننا القول بأنه غربله غربلةً حتى استخرج منه الزبدة التي كان يبحث عنها في هذا المصدر لأننا إذا ما وازنّا بين مانقله الطيبي من كتاب النهاية وبعض المصادر الأخرى نجد أن كتاب النهاية أخذ حصة كبيرة في الإعتماد عليه والنقل منه . وقد نقل الطيبي الكثير من المواضيع غير التي ذكرناها على سبيل التوضيح ، فقد نقل كذلك موضوع السجع (٤) وموضوع الترصيع (٥) مع الشواهد ، وهنالك الكثير من المواضيع الأخرى التي لايمكن حصرها في هذا الموضوع نقلها الطيبي من كتاب النهاية لفخر الدين الرازي .

ويبقى قولنا الأخير إن العلامة فخر الدين الرازي علامة من علماء البلاغة الذين خدموا الإسلام والمسلمين مرضاة لله عز وجل .

السكاكي وأثره في الطيبي

إن سراج الدين يوسف بن أبي بكر محمد بن علي أبي يعقوب السكاكي الخوارزمي (- ٦٢٦ هـ) صاحب كتاب مفتاح العلوم ، وقد لقبه الطيبي في كتابه التبيان بـ : ((الشيخ)) .

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٤٨٤
(٢) النهاية ص : ١٢٩
(٣) التبيان للطيبي ص : ٤٨٤ والنهاية ص : ١٢٩ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ٥٠٢ والنهاية ص : ١٤٢ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٥٠١ والنهاية ص : ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا العلامة الكبير عندما ألف كتابه مفتاح العلوم طارت شهرته في الأفق الواسع للرقعة الإسلامية، وشاع كتابه وحظي بعناية كبيرة منذ أن انتشر في القرن السابع الهجري سواء في المشرق أو المغرب ولقد لقي هذا الكتاب عناية واقبالاً كبيراً من طرف الدارسين .

ومما يبدو في محتويات الكتاب أنه اعتمد على كثير من المصادر . ((مصادر المفتاح كثيرة كما يبدو من كثرة العلماء والمؤلفين الذين ذكرهم السكاكي ، فلقد ترددت أسماء أعلام كثيرين منهم : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، ويونس بن حبيب ، والمبرد، والأخفش، والفراء ، والأصمعي ، والزجاج ، وابن جني ، والسيرافي ، وعلي بن عيسى الربعي ، والفارسي والمازني ، وابن قتيبة ، وابن الأنباري ، وعبد القاهر الجرجاني ، والزمخشري ، والحاتمي وغيرهم مما نقل عنهم ولم يشر إليهم كرشيد الدين الوطواط ، والمطرزي ، والرازي)) (١) .

والحقيقة أن السكاكي عالج الكثير من القضايا البلاغية في كتابه مفتاح العلوم، وقد قسم كتابه في ثلاثة أقسام رئيسية ((في القسم الأول منها تحدث عن علم الصرف وما يتصل به من الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر ، أما القسم الثاني فقد خصصه لعلم النحو ، والقسم الثالث لعلمي المعاني والبيان ثم تحدث عن الفصاحة والبلاغة وألحق دراسة للمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية كما وقف على علم العروض والقوافي)) (٢) وبهذا يكون هذا الكتاب قد اشتمل على علوم الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والمنطق والعروض والقوافي وهو يقول في مقدمة كتابه : ((وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا بعد ما ميزت البعض عن البعض ، التمييز المناسب ، ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام هنالك، ومهدت لكل من ذلك أصولا لائقة ، وأوردت

---

(١) كتاب البلاغة عند السكاكي / أحمد مطلوب منشورات مكتبة النهضة ببغداد ص : ٧٠ .
(٢) المفتاح ص : ١٠ وما يليها / ٧٥ وما يليها / ١٦١ وما يليها / ٣٢٩ وما يليها / ٥١٥ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حججاً مناسبة ، وقررت ما صادفت من آراء السلف ، قدس الله أرواحهم ، بقدر ما احتملت من التقرير ، مع الإرشاد إلى ضروب مباحث قلّت عناية السلف بها ، وإيراد لطائف مفتنة ما فتق أحد بها رتق إذن)) (١) وبما أننا بصدد البحث في بلاغته وما كتبه فيها ، فإنه قد وضع البلاغة في علمين هما علم المعاني وعلم البيان ورغم أنه لم يهمل الألوان البديعية وبالرغم من أنه جعلها تابعة لعلمي المعاني والبيان إلا أنه أفرد لها مبحثاً خاصاً حتى لاتتداخل مع غيرها. وشهرة السكاكي قد دوت بين العلماء بكتابه حيث عكف على جمع ودراسة ما كتب قبله من طرف البلاغيين واستطاع أن يصل إلى ملخص دقيق وتلخيصه للعلوم البلاغية أدق تلخيص مع تدقيقها وتقنينها ، وبتدقيقها وتقنينها جعل منها مادة جافة بعيدة عن الروح الأدبية وخاصة في تلك الفترة الزمنية التي عاشها ، وبالرغم من هذا ((فقد أثنى المتقدمون والمتأخرون على الكتاب)) (٢) وكتابه قد مدحه الكثيرون منهم القزويني وقطب الدين الشيرازي وبعض الشعراء .

بعد هذه النظرة السريعة على الكتاب وصاحبه نعود إلى العلامة الطيبي وأثر السكاكي في كتابه التبيان ، والحقيقة أن الطيبي لم يكن سوى بلاغي مثل كل البلاغيين الذين أثر فيهم السكاكي وأثر السكاكي في الطيبي يختلف عن أثر غيره لأنه لم يلخص ولم يشرح وإنما ألف كتاباً خاصاً به في العلوم البلاغية نقل فيه الكثير من آراء السكاكي والدارس لكتاب التبيان للطيبي يلاحظ الأثر واضحاً فيه فاراء السكاكي منتشرة في العلوم البلاغية التي عالجها الطيبي حتى أن الطيبي كثيراً ما يردد كنية ((الشيخ)) ويقصد به السكاكي . ويقول دائماً ((وما ذهب إليه الشيخ)) (٣) فاراء السكاكي قد نقلها الطيبي وكثيراً ما يؤيده فيها بعكس أراء الزمخشري التي كان يعارضها .

---

(١) المفتاح ص : ٦ .
(٢) البلاغة عند السكاكي ص : ٧١ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ١٣ - ١٤ - ١٩ - ٧٤ - ٨٦ - ١٠٤ - ١٤٣ ..إلخ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما أخذه الطيبي عن السكاكي وتأثر به فهو كثير جداً في العلوم الثلاثة .

سواء في علم المعاني أم في علم البيان أم في علم البديع . في علم المعاني يكاد الطيبي ينقل تعريف السكاكي فيه حرفياً ، فالطيبي يعرف علم المعاني بقوله : ((هو تتبع خواص التراكيب في الافادة تفادياً عن الخطأ في التطبيق)) (١) أما السكاكي فيقول : ((أن علم المعاني هو تتبع خواص التراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)) (٢).

ففيما يخص علم المعاني في باب الإسناد فقد نقله الطيبي من السكاكي وقسمه نفس التقسيم ، فقد قسمه الطيبي إلى ثلاثة أقسام الأول إبتدائي والثاني طلبي والثالث إنكاري وعلى هذا النمط قسمه السكاكي .

ففي الإسناد الابتدائي يقول الطيبي : ((وهو ما خوطب به خالي الذهن نحو (زيد قائم) فلا يؤكد بنحو (إن) و(اللام) فإنه كما القي إليه انتقش في ذهنه)) (٣) .

ويستشهد بالبيت الشعري نفسه الذي استشهد به السكاكي وهو :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي خالياً فتمكنا (٤)

أما السكاكي فقد عرفه - أي الإسناد الابتدائي - بقوله :((فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى ما هو خالي الذهن عما يلقى إليه ، ليحضر طرفاها عنده وينتقش في ذهنه)) (٥) ويستشهد بالبيت الشعري الذي ذكرناه والذي مطلعه - أتاني هواها... - وقد أخذه الطيبي من

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٤٩ .
(٢) المفتاح ص : ١٦١ .
(٣) البتيان للطيبي ص : ٥١ .
(٤) البيت لمجنون بني عامر نسب له في المفتاح ص : ١٦١ .
(٥) المفتاح ص : ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السكاكي .

والسكاكي يرى أن في الإسناد الابتدائي تكون الجملة مستغنية عن مؤكدات الحكم بـ (أن) و(اللام) ويجاريه الطيبي في ذلك .

أما بالنسبة للإسناد الطلبي فالسكاكي يرى حتى ننقذ السامع من ورطة الحيرة يستحسن أن نقويه بإدخال مؤكدات الحكم مثل (إن) و(اللام) والرأي نفسه اتبعه الطيبي وذكره حتى أن الأمثلة تقريباً تكاد هي الأمثلة نفسها فالسكاكي أعطى مثال (أن زيداً عارف) بينما الطيبي أعطى مثالاً مشابهاً له وهو (إن زيداً قائم) (١) .
واتبع الطيبي الآراء نفسها التي دونها السكاكي في باب الإسناد .

كما أخذ الطيبي عن السكاكي في باب المسند إليه، وأثر السكاكي واضح في كتاب الطيبي فقد أخذ أغلب ما كتبه السكاكي في باب المسند إليه حتى التقسيمات نفسها التي قسمها السكاكي في باب المسند إليه هي نفسها أخذها الطيبي عنه .

يقول السكاكي في كتابه المفتاح : ((وأيما حال يقتضي تعرفه : مضمراً ، أو علماً ، أو موصولاً أو اسم إشارة أو معرفاً باللام أو بالإضافة ، وأيما حال يقتضي تعقيبه بشيء من التوابع الخمسة ، والفصل ، وأيما حال يقتضي تنكره ، وأيما حال يقتضي تقديمه على المسند وأيما حال يقتضي تأخيره عنه ، وأيما حال يقتضي تخصيصه أو إطلاقه حال التنكر ، وأيما حال يقتضي قصره على الخبر)) (٢) .

والحقيقة أن الطيبي نقل ما كتبه السكاكي في هذا الباب فقد قسم الطيبي المسند إليه إلى كونه ((متروكاً - في إثباته - في تعرفه وتخصصه - في كونه علماً - في كونه منكراً في كونه مقدماً - في

---

(١) المفتاح ص : ١٧٠ والتبيان للطيبي ص : ٥١ .
(٢) المفتاح ص : ١٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كونه مضمراً - في كونه موصولاً - في كونه اسم إشارة ومعرف باللام ومضافاً - وموصوفاً - في كونه مبنياً - في كونه مبتدلاً - في كونه معطوفاً))(١) ، وسنعطي مثالاً عن تاثر الطيبي في باب المسند إليه بالسكاكي ، ففي المسند إليه في كونه متروكاً فقد سمّاه الطيبي ((في كونه متروكا)) بينما ذكره السكاكي بقوله : ((طي ذكر المسند إليه)) (٢) كما نقل الطيبي الأمثلة ذاتها من الشواهد الشعرية والايات القرآنية التي استشهد بها السكاكي فمثلاً اخذ عنه الشواهد الشعرية مثل :

قال لي : كيف أنت ؟ قلت عليل سَهَرٌ دائم وحزن طويل (٣)

ونقل عنه كذلك :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل نظم الجزع ثاقبه

نجوم سماء كلما انقضى كوكب بدا كوكب تاوي إليه كواكبه (٤)

وكذلك أخذ عنه :

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت(٥)

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

أما الشواهد القرآنية فقد أخذ عنه :

((وما أدراك ما هيه نار حاميه))(٦) ، ((فصبر جميل))(٧) ، ((طاعة معروفة))(٨) وتبقى هنا ملاحظة وهي أن هناك اختلافاً بينهما في ترتيب المواضيع وكذلك بعض الزيادة في الشواهد سواء كانت شعرية أم

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٥٤ وما يليها ـ ٨٧
(٢) التبيان للطيبي ص : ٥٤ والمفتاح ص : ١٧٦ .
(٣) البيت في المصباح ص : ٧ والإيضاح ج ٣ ص : ١٢١ .
(٤) البيتان في الشعر والشعراء ابن قتيبة ، دار الثقافة بيروت ج٢ . ط ٤ ١٩٨٠ .
ص : ٦٠٠ وهما منسوبان للقيط بن زرارة وكذلك في ديوان الحماسة / للتبريزي ط١ دار العلم بيروت ج١ ص : ٢٧١ - ٢٧٢ وقد نسبهما لأبي الطحمان القيني وكذلك الإيضاح ج٢ ص : ٦ .
(٥) البيتان في الإيضاح ج ٢ ص : ٦ .
(٦) سورة يوسف ، الآية ١٨ .
(٧) سورة يوسف ، الآية ١٨ - ٣٨ .
(٨) سورة النور : ٥٣ .
أنظر التبيان للطيبي ص : ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ والمفتاح ص : ١٧٦-١٧٧ . للمقارنة بينهما في باب المسند إليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرآنية .

ويبقى الطيبي يسير على منهج السكاكي في علم المعاني حيث ذكر باباً في المسند وباباً في التقديم والتاخير وباباً في الفصل والوصل وباباً في الإيجاز والاطناب آخذاً عنه الأمثلة نفسها مع بعض الزيادات والملاحظ أن السكاكي يكثر من الشواهد بالآيات القرآنية (١) . أما فيما يخص علم البيان فقد سار الطيبي على المنهج الذي نهجه السكاكي فقد أخذ عنه تعريف هذا العلم بقوله : ((هو معرفة إيراد المعنى الواحد في الطرق المختلفة الدالة بالخفاء على مفهومها تفادياً عن الخطا في التطبيق لتمام المراد)) (٢) .

أما السكاكي فقد عرف علم البيان بقوله :((أن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ...)) وهذا التعريف هو الثاني في كتابه أما تعريفه الأول لعلم البيان فقد عرّفه بقوله : ((هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطا في مطابقة الكلام لتمام المراد منه)) (٣) .

حتى التقسيمات التي نهجها السكاكي وقسم بها علم البيان نهجها الطيبي متاثراً بالسكاكي في هذا العلم وبآرائه في علم البيان وللتاكد من ذلك نرى أنه لابد من عقد موازنة بين كل من السكاكي والطيبي حتى نعرف أثر السكاكي في الطيبي فقد قسم السكاكي علم البيان إلى ثلاثة أقسام وهي التشبيه وأقسامه ثم المجاز وقسمه إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي والكناية وأقسامها وعلى هذا المنهج سار الطيبي .

---

(١) التبيان للطيبي ص : ١١٣ - ١٣٠ - ١٤٠ والمفتاح ص :٢٣١ - ٢٤٨
(٢) التبيان للطيبي ص : ١٧٩ .
(٣) المفتاح ص : ١٦٢ - ٣٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي التشبيه يقسمه السكاكي إلى تقسيمات طويلة ومعقدة جداً ويتبعه الطيبي على المنوال ذاته ففي الطرفين ((المشبه والمشبه به)) يقسمه السكاكي إلى عدة أقسام مثل في : ((المبصرات والمسموعات والمشمومات والمذوقات والملموسات)) وعلى هذه التقسيمات قسم الطيبي التشبيه . فالسكاكي عندما يتكلم عن أغراض التشبيه يقسمه إلى قسمين : الأول الغرض العائد إلى المشبه ويكون لبيان حاله او لبيان مقدار حاله أو لبيان إمكان وجوده أو لتقوية شانه في نفس السامع وزيادة تقرير له أو لإبرازه إلى السامع في معرض التزيين والاستطراف .

أما الغرض الثاني فهو العائد إلى المشبه به ومرجع ذلك إلى إيهام كونه أتم من المشبه في وجه التشبيه))(١) .

ومن أقسام علم البيان المجاز ويعرفه السكاكي بقوله : ((ويتضمن التعرض للحقيقة)) نقل الطيبي هذا التعريف في كتابه قائلاً : ((ويتضمن التعرض للحقيقة))(٢) ويعرف السكاكي الاستعارة قائلاً : ((هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به)) . أما الطيبي فيعرفها قائلاً :((هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه ، وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً عليه بإثباتك للمشبه ما يخص به من اسم جنسه أو لازمه)) (٣) .

وفي الاستعارة وأنواعها يقسمها السكاكي إلى خمسة أنواع وهي : ((إستعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي،أو بوجه عقلي ، واستعارة معقول

---

(١) التبيان للطيبي ص : ١٨٠ وميليها والمفتاح ص : ٣٣٢ وما يليها ، والبلاغة عند السكاكي ص : ٢٥٦ .
(٢) المفتاح ص : ٣٥٦ والتبيان للطيبي ص : ٢١٧ .
(٣) المصدر السابق : ٣٦٩ المصدر السابق ص : ٢٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمعقول واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس)). وسسايره الطيبي في التقسيم نفسه فيقسمها إلى :((استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي ، استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي ، استعارة معقول، واستعارة محسوس،واستعارة معقول لمحسوس ويضيف عليه الطيبي نوعاً جديداً وهي استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي))(١)

وإذا كان تقسيم الطيبي لايخرج عن تقسيم السكاكي فكذلك بالنسبة للشواهد فقد نقلها الطيبي كما هي في كل قسم وهي كالآتي في أقسام الاستعارة المذكورة سابقاً مرقمة حسب تقسيمها في الشرح وهذه الشواهد من القرآن الكريم وهي :

١ - (واشتعل الرأس شيباً) - القسم الأول - (٢)

٢ - (أرسلنا عليهم الريح العقيم) - للقسم الثاني - (٣)

٣ - (ولما سكت عن موسى الغضب) - للقسم الثالث - (٤)

٤ - (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) - للقسم الرابع - (٥)

٥ - (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) - للقسم الخامس -(٦)

أما في الكناية ففي إطارها العام أخذ الطيبي الكثير مما كتبه السكاكي ونقله عنه ويعرفها السكاكي قائلاً :((الكناية هي ترك التصريح بذكر الشئ إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك كما تقول : فلان طويل النجاد ...)) (٧) إلى أن يقول : ((ويسمى هذا النوع كناية لما فيه من إخفاء وجه التصريح)) .

أما تعريف الطيبي فيقول :((وهي ترك التصريح بالشئ إلى ما يساويه في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم كما يقال :((فلان طويل

---

(١) المفتاح ص : ٣٨٨ وما يليها والتبيان للطيبي ٢٤٥ وما يليها
(٢) سورة مريم ، الآية : ٤ .
(٣) سورة الذاريات ، الآية ٤١ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٥٤ .
(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .
(٦) سورة الحاقة ، الآية : ١١ .
(٧) المفتاح ص : ٤٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النجاد أي طويل القامة ، وسميت كناية لما فيها من إخفاء وجه التصريح)) (١) .

ويقسم الطيبي الكناية إلى مطلقة وغير مطلقة ثم يقسم غير المطلقة إلى رمز وتلميح وإيماء وتعريض وهو التقسيم الذي قسمه السكاكي حيث قسم الكناية بقوله :((ثم إن الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة)) (٢) مع أننا نجد بعض الزيادات والاختلافات بينهما في الكناية لكنهما يتفقان كما يقال في الأصل ويختلفان في الفرع .

وخلاصة قولنا في السكاكي وأثره في الطيبي . إن الطيبي هو أحد أقطاب المدرسة السكاكية مثل بقية البلاغيين الذين ساروا نهج السكاكي ويمكننا القول إن الطيبي بلاغي استطاع أن يعيد للبلاغة تدقيقها وتقنينها بعد السكاكي لأن ما كتبه غيره حول كتاب مفتاح العلوم يعتبر تلخيصاً أو شروحاً ، بينما ما كتبه الطيبي هو تأليف جديد بروح سكاكية بعقلها العلمي المدقق والمقنن للعلوم البلاغية الثلاثة مع مزج منهجه بكثرة الشواهد .

وحتى ننصف السكاكي من تهمة تجميده للبلاغة (٣) بعد أن قننها وأبعدها عن الروح الأدبية بجعلها مادة علمية جافة . يبقى سؤال مطروح للذين يتهمون السكاكي بما قلناه سابقاً وهو :((كيف تتصورون البلاغة بدون تقنينها من طرف السكاكي منذ ظهورها إلى عصرنا الحالي؟.)) أما نحن فنقول إن الطيبي وقبله السكاكي قد أحسنا صنعاً بتحديد البلاغة وحصرها حصراً علمياً سهلت على دارسها فهمها فهماً علمياً يسهل عليه تطبيقها تطبيقاً أدبياً لأن تقنين البلاغة لم يبعدها عن الروح الأدبية . ولم يضع لها حداً للتطور والنمو ، لأن

---

(١) التبيان للطيبي : ٢٦١ .
(٢) المفتاح ص : ٤٠٣ والتبيان للطيبي ص : ٢٦١ .
(٣) مقاصد البلاغة للسكاكي د. محمد بركات أبوعلي مجلة الفكر العربي عدد ٤٦ ص : السنة الثالثة حزيران ١٩٨٧ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حقيقة تقنين البلاغة من طرف السكاكي هو خدمة لها و لأصحابها لأنه لم يضع لها نقطة النهاية أو عمل على تحجير العقول .

ابن الأثير وأثره في الطيبي

إن الروح والأمانة العلمية التي امتاز بها العلامة الطيبي بذكره دائماً المصادر التي اعتمد عليها في تاليف كتابه التبيان حيث يقول : ((ولم أجد من ذلك ما يعول عليه سوى ما أودعه الإمام الفاضل صاحب المثل السائر في كتابه وقد بسط فيه إلى أن بلغ شطر الكتاب وأنا أورد خلاصة ذلك مع زيادات مفيدة وحسن تاليف)) (١) .

الذي عوّل عليه الطيبي في كتاب المثل السائر لإبن الأثير هو في علم البديع في باب الفصاحة .

والواضح جلياً أن حكم الطيبي على هذا الكتاب لم يكن من باب المجاملة ، ولكن حكمه جاء من باب الاطلاع الواسع على مؤلفات الاخرين ودراستها حتى اتضحت له فكرة كتاب المثل السائر بانه الوحيد الذي يعوّل عليه في باب الفصاحة واتخاذه مصدر يعتمد عليه في التاليف لما رآه من تنظيم وتدقيق في هذا الكتاب فقد ((بنى كتابه المثل السائر على مقدمة ومقالتين ، والمقدمة تشتمل على أصول علم البيان وهي عشرة فصول : موضوع علم البيان وآلاته وهي : معرفة العربية من نحو وصرف ولغة وأمثال وحفظ القرآن والأحاديث النبوية وعلم القوافي والعروض ، والحكم على المعاني والترجيح بينهما، وجوامع الكلم والحكمة التي هي ضالة المؤمن،والحقيقة والمجاز ، والفصاحة والبلاغة وأركان الكتابة والطريق إلى تعلمها . والمقالة الأولى في الصناعة اللفظية وهي قسمان :

الأول : في اللفظة المفردة وقد تكلم فيه عن شروط اللفظة المفردة،

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٤٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورد بعض آراء ابن سنان الخفاجي وأيد بعضها .

والثاني : في الالفاظ المركبة وهي : السجع،والتصريح،والتجنيس والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الألفاظ وتكرير الحروف .

والمقالة الثانية : في الصناعة المعنوية وقد تحدث فيها عن ثلاثين فناً بلاغياً وهي : الاستعارة،والتشبيه،والتجريد،والالتفات وتوكيد الضميرين،وعطف المظهر على ضميره والإفصاح به بعده والتفسير بعد الابهام واستعمال العام في النفي والخاص في الاثبات والتقديم والتاخير والحروف العاطفة والجارة والخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما وقوة اللفظ لقوة المعنى وعكس الظاهر والاستدراج والإيجاز والاطناب والتكرير والكناية والتعريض والمغالطات المعنوية والاحاجي والمبادئ والافتتاحيات والتخلص والاقتضاب والتناسب بين المعاني والاقتصاد والتفريط والإفراط والاشتقاق والتضمين والإرصاد والتوشيح والسرقات الأدبية))(١).

هذه هي أهم المواضيع باختصار التي تعرض لدراستها ابن الأثير في كتابه المثل السائر والملاحظ عليه أنه أدخل الفصاحة والبلاغة في موضوع علم البيان.ورغم أن الطيبي قد تاثر به إلا أنه خالفه في ذلك وأدخل الفصاحة والبلاغة في علم البديع .

لقد عرف الطيبي الفصاحة قائلاً :((والذي عندي أن الفصاحة في اللغة الظهور والبيان يقال : أفصح الصبح إذا ظهر . قال تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - ((وأخي هارون هو أفصح مني لساناً))(٢) أي أبين قولاً))(٣) .

---

(١) مناهج بلاغية ص : ١٩٧ - ١٩٨ ونظر البلاغة تطور وتاريخ ص : ٣٢٤ وما يليها .
(٢) سورة القصاص : ٢٨ / ٣٤ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٤٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن الأثير فيعرف الفصاحة قائلاً : ((أن ((الفصاحة)) هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي ، يقال ((أوضح الصبح)) إذا ظهر))(١) .

والحقيقة أن الطيبي لم يأخذ من ابن الأثير فقط وإنما أخذ كذلك من كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (-٤٦٦ هـ) . والدليل على ذلك أن ابن سنان يعرف الفصاحة بقوله : ((الفصاحة الظهور والبيان ... ويقال أفصح الصبح إذا بدا ضوءه وأفصح كل شئ إذا وضح ، وفي الكتاب العزيز ((وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي)) (٢) .

أما تعريف البلاغة فقد عرفها الطيبي قائلاً : ((إن البلاغة هي الوصول والانتهاء يقال : بلغت المكان إذا انتهيت إليه ومبلغ الشئ منتهاه))(٣) .

أما ابن الأثير فقد عرفها بقوله :((وأما البلاغة فإن أصلها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء يقال : بلغت ، إذا انتهيت إليه ، ومبلغ الشئ منتهاه))(٤) .

والواضح من هذا الأثر أن الطيبي تاثر بابن الأثير فقد نقل عنه هذه التعريفات نقلاً يكاد يكون حرفياً حتى تحديد لفظة فصاحة وبلاغة يقول الطيبي : ((فإذا الفصاحة تختص باللفظ ، والبلاغة تعم اللفظ والمعنى ويقال للفظ المفرد فصيح لا بليغ فعلى هذا . كل بليغ فصيح ولا ينعكس)) (٥) . وهو التعريف نفسه الذي قاله ابن الأثير يقول : ((والبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني وهي أخص من الفصاحة ... وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح

---

(١) المثل السائر ج ١ ص : ٩٠ .
(٢) سر الفصاحة ص : ٥٩ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٤٦٩ .
(٤) المثل السائر ج ١ ص : ٩٤ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٤٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بليغاً)) (١) والواضح أن ابن الأثير قد تأثر بابن سنان الخفاجي وأخذ عنه (٢) ، والباحث يلاحظ هذا الأثر الكبير الذي يربط بين هذه الفئة من علماء البلاغة واعتمادهم على مؤلفات بعضهم بعض وما الطيبي إلا واحد منهم وممكن جداً أنه استفاد أكثر ممن سبقوه .

وتوضيحاً لأثر ابن الأثير في الطيبي وأثر ابن سنان في ابن الأثير ، وكيف اعتمد الطيبي الكتابين - المثل السائر - وسر الفصاحة في تاليفه كتابه التبيان فلهذا وضحنا أثر الكتابين في كتابه التبيان ، بالرغم من أنه لم يصرح بأنه نقل من كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي مع أن الأثر واضح كما بينا سابقاً .

لقد اهتم ابن الأثير في المقالة الأولى في كتابه المثل السائر الخاصة بالصناعة اللفظية والتي قسمها إلى قسمين ، قسم خاص باللفظة المفردة ، والقسم الثاني خاص بالألفاظ المركبة وتشملها الفصاحة فقد ((قسم الفصاحة إلى فصاحة في المفرد وفصاحة في الكلام ، ويفيض في حسن الألفاظ وتفاوته حسب مواضعها من الكلام ثم يشترط في فصاحة اللفظة تباعد مخارج الحروف فيها ، وكذلك أن تكون الحروف ومخارجها جارية على العرف العربي وأن تصغر في موضع يعبر عنه عن شئ لطيف أو خفي أو ما جرى مجرى ذلك ومن شروطه أن لاتكون الكلمة وحشية وقسّم الوحشي إلى غريب حسن وغريب قبيح ويتكلم عن الجزالة والرقة في الألفاظ ملاحظاً أن لكل منهما موضعه الذي يحسن إستعماله فيه ، فاللفظ الجزل يستحب في وصف الحروف وفي قوارع التشديد ، أما اللفظ الرقيق فيستحب في الغزل والنسيب والاستعطاف كما اشترط في فصاحة اللفظة من أن تكون غير مبتذلة بين العامة وقسّم الإبتذال إلى قسمين ، قسم تغير العامة مدلوله الأصلي واستخدامه مستكره قبيح

---

(١) المثل السائر ج ١ ص : ٩٤ .
(٢) أنظر المثل السائر ج ١ ص : ٩٤ وسر الفصاحة ص : ٦٠ .
وينظر دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني / محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي ط ١٩٦١ مكتبة القاهرة . ص : ٢٩٨ في الفصاحة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقسم لاتغير مدلوله والمستقبح منه المردود هو الألفاظ السخيفة ، كما اشترط من عدم إشراك الألفاظ في معنيين أحدهما يكره ذكره ، كما يجب أن تكون الألفاظ غير مستثقلة وحسنها في السمع .

أما فيما يخص الألفاظ المركبة وتاليفها فتح لها ثمانية فصول تحدث فيها عن السجع والتصريع والتجنيس والتصريح ولزوم مالايلزم والموازنة واختلاف صيغ الألفاظ وتكرار الحروف)) (١) .

وعلى هذا المنهج يسير الطيبي ففي باب الفصاحة والبلاغة عرفهما كما ذكرنا سابقاً ثم قسّم الفصاحة قسمين ، قسم في اللفظة المفردة وقسم في اللفظ المركب ، ففي اللفظة المفردة اشترط فيها ستة شروط هي :

١ - أن تكون حروف اللفظ لذيذة عذبة لها مخارج تشبه المزامير وهو هنا يتعرض للأصوات ومخارجها وينكر بعض الكلمات مثل شَخَذَ وضَضَعَ

٢ - يجب أن يجتنب التركيب الزائد عن حركتين متتاليتين وعن الحركة الثقيلة مثل الضمة في كلمة - خَزَعٍ - فهي ثقيلة .

٣ - أن تكون اللفظة متوسطة الحروف ، بين قلة الحروف وكثرتها ، أي أن لاتكون طويلة جدا مثل : كلمة سُوَايدَ واتها واشترط كذلك مثل التصغير والتعظيم والحلنفو مثل كلمة :دويهية وكذلك قوله تعالى : ((يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك)) (٢)

٤ - أن لاتكون الألفاظ وحشية مثل : تكاكاتم - افرنقعوا .

٥ - أن لاتكون الألفاظ مبتذلة ، والإبتذال عنده نوعان :

أ - الابتذال الذي غيرته العامة مثل كلمة : المسّرم .

ب - ما يكون سخيفاً في أصل الوضع - كالملتالق - .

٦ - أن لاتكون الألفاظ مشتركة بين معنيين.

---

(١) ينظر كتاب البلاغة تطور وتاريخ ص : ٣٢٦ - ٣٢٧ .
(٢) سورة الصافات ، الآية :٣٧ / ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما فيما يخص أوصاف اللفظ المركب فقد ذكر فيها سبعة أنواع نختصرها هنا وهي : الجناس والعكس والتبذيل ، ورد العجز على الصدر ، والتصريع ، والترصيع والسجع ولزوم ما لايلزم (١) .

فقد ذكر ابن الأثير ثمانية أنواع في اللفظ المركب بينما اكتفى الطيبي بسبعة أنواع طبعاً مع اختلافهما في بعض الأنواع ويمكن مراجعتها بالنظر في كل تقسيم لكل منهما كما ذكرنا سابقاً ، وزاد الطيبي بعض الأقسام في اللفظ المركب سنتعرض لدراستها في فصل مجهوده في البلاغة .

وبعد هذه النظرة السريعة على الرجلين ، وخاصة أثر ابن الأثير في الطيبي في باب الفصاحة ننتقل لدراسة بعض الأمثلة التي اخذها الطيبي من ابن الأثير ، ففي باب اللفظ المركب في التصريع قسمه ابن الاثير إلى سبعة أقسام وهي :

١ - أن يكون كل مصراع من البيت مستقلاً بنفسه في فهم معناه غير محتاج لما يليه ويسمى التصريع الكامل مثل قول المتنبي (٢) :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم

٢ - أن يكون المصراع الأول مستقلاً بنفسه غير مرتبط بما يليه فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطاً به كما ورد في قول أبي تمام :

ألم يأنِ أن تروي الضماء الحوائم وأن ينظم الشمل ناظم (٣)

٣ - أن يكون الشاعر مرتبطاً في وضع كل مصراع موضوع صاحبه ويسمى التصريع الموجه وذلك كقول ابن حجاج البغدادي :

ومن شروط الصبوح في المهرجان خفة الشرب مع خلوّ المكان (٤)

٤ - أن يكون المصراع الأول غير مستقل بنفسه ولايفهم معناه إلا بالثاني ويسمى التصريع الناقص كقول المتنبي :

---

(١) البيان للطيبي ص : ٤٨٠ وما يليها .
(٢) البيت في المثل السائر ج ١ ص : ٢٥٩ ، والديوان ص : ٦٩ .
(٣) البيت في المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٠
(٤) البيت في المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان (١)

٥ - أن يكون التصريع في البيت بلفظة واحدة وسطاً وقافية ويسمى ((التصريع المكرر)) وهو على نوعين :

أ - أن يكون بلفظتين حقيقيتين لامجاز فيها مثل قول عبيد الأبرص :

فكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لايؤوب (٢)

ب - أن يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها كقول أبي تمام (٣) :

فتى كان شرباً للعفاة ومرتعاً فأصبح للهندية البيض مرتعاً

٦ - أن يذكر المصراع الأول ويكون معلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول المصراع الثاني ويسمى التصريع المعلق قال امرؤ القيس (٤) :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

٧ - أن يكون التصريع في البيت مخالفاً لقافيته ويسمى التصريع المستكفى قال أبو نواس :

أقلني قد ندمت على الذنوب وبالإقرار عدت من الجحود (٥)

فهذا هو موضوع التصريع كما عالجه ابن الاثير ، أما الطيبي فقد أخذه عن ابن الأثير ونقله كاملاً حتى الشواهد نقلها تقريباً كاملة كما استشهد بها ابن الأثير والخلاف الوحيد بينهما يعود إلى أن ابن الأثير قسّم التصريع إلى سبعة أقسام بينما قسّمه الطيبي إلى ثمانية أقسام والسبب في ذلك يعود إلى ما يلي :

في التصريع بلفظه واحدة وسطا وقافية وسماه ابن الأثير - التصريع المكرر - قسّمه إلى قسمين : قسم يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها وقسم آخر يكون بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها ، وقد ذكره في

---

(١) البيت في أنوار الربيع لإبن معصوم ، شاكر هادي شاكر ط١ ١٩٦٩ ج ٥ ص : ٢٧٢ ، وفي ديوانه للبرقوقي دار الكتاب العربي ١٩٨٠ ج٤ ص : ٣٨٣ .

(٢) البيت في المثل السائر ج ١ ص : ٢٦١ وأنوار الربيع مج ٥ / ٢٧٣ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص : ٢٤٥ .

(٤) ديوان امرؤ القيس ص : ١٥٢ والديوان فيه (فيك بدل منك)

(٥) البيت في أنوار الربيع مج ٥ / ، والمثل السائر ج ١ ص : ٢٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القسم الخامس عندما قسّم التصريع أما الطيبي لم يقسّم التصريع المكرر إلى قسمين كما فعل ابن الأثير بل وضع التصريع المجازي كقسم مستقل عن التقسيم الثاني ، وبوضعه التصريع المجازي كقسم مستقل جاء تقسيمه لموضوع التصريع محتوياً على ثمانية أقسام ، ونستغني هنا عن نقل ما كتبه الطيبي في موضوع التصريع لأنه تقريباً نقله نقلاً يكاد يكون حرفياً عن ابن الأثير والاختلاف بينهما طفيف جداً في الشواهد (١) .

ويتابع الطيبي دراسته لموضوعات علم البديع في باب الفصاحة ، في اللفظ المركب متأثراً بما كتبه ابن الأثير ففي الجناس يقول ابن الأثير : ((واعلم أنّ التجنيس غرة شادخة وجه الكلام وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا ولاسيما المحدثين منهم ، وصنف الناس فيه كتباً كثيرة))(٢)

وبهذا التمهيد في الجناس يعرفه قائلاً :((وإنما سمي هذا النوع من الكلام مجانساً لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد وحقيقته أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً)) (٣) ثم ينتقل إلى أقسام التجنيس فيقسمه إلى سبعة أقسام : القسم الأول هو التجنيس الحقيقي والأقسام الستة الأخرى وضعها تحت ما يشبه التجنيس، وسنذكرها هنا باختصار مع بعض الأمثلة :

أ - التجنيس الحقيقي : وهو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها مثل قوله تعالى :((ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة))(٤) .

---

(١) ينظر المثل السائر في موضوع التصريع ج ١ ص : ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠- ٢٦١ - ٢٦٢ . والتبيان للطيبي ص : ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ كذلك موضوع التصريع .
(٢) المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٢ .
(٣) المصدر السابق ص : ٢٦٢ .
(٤) سورة الروم ، الآية : ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم- ((خلوا بين جرير والجرير))(١)

ب - والأقسام التالية هي ما يشبه التجنيس وهي :

١ - أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها مثل : ((اللهم كما حسنت خَلقي حسن خُلقي))(٢)

٢ - أن تكون الألفاظ في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد مثل قوله تعالى :((وهم ينهون عنه وينأون عنه))(٣) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إن الخيل معقود بنواصيها الخير)).(٤)

٣ - أن تكون الألفاظ مختلفة في التركيب بحرف واحد كقوله تعالى : ((والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذٍ المساق))(٥)

٤ - وهو المشبه بالتجنيس ويسمى المعكوس وهو ضربان :

أما الأول فهو عكس الألفاظ كقول بعضهم :((عادات السادات سادات العادات)) (٦) .

أما الثاني فهو عكس الحروف كقول الأضبط بن قريع من شعراء الجاهلية :

وقد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه (٧)

٥ - ويسمى المجنب وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداهما كالتتبّع للأخرى والجنيبة لها كقول بعضهم :

أبا العباس لاتحتسب باني لشيء من حلى الأشعار عاري

---

(١) كشف الخفاء للعجلوني ج ١ ط ٣ دار إحياء التراث العربي سنة ١٣٥١ هـ ص : ٣٩٧ .
(٢) الحديث في المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٨ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ٢٦ .
(٤) الحديث الشريف في مسند الإمام أحمد بن حنبل دار الكتب العلمية ط ٢ سنة ١٣٩٨ هـ ج ١ ص : ٤٠٣ .
وقد جاء فيه : ((اللهم كما أحسنت خَلقي فأحسن خُلقي)) والصناعتين ص : ٣٣٢ والمثل السائر ج ١ ص : ٢٦٩ .
(٥) سورة القيامة الآية : ٢٩ - ٣٠ .
(٦) المثال في المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٠ والمصباح ص : ٩١ .
(٧) البيت في الشعر والشعراء ج ١ ص : ٢٩٩ وفيه البيت الأول فقط والمثل السائر ج ١ ص : ٢٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلي طبع كسلسال معين زلال من درّ الأحجار جاري (١)

وابن الأثير يرى أن هذا القسم من التجنيس يكون أقرب إلى لزوم ما لا يلزم أحسن من التجنيس .

٦ - ما يساوي وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم وتتأخر (٢) . كقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ((يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ)).(٣)

أما الطيبي فيعرف الجناس بقوله :((وهو تشابه الكلمتين في اللفظ)) (٤) ثم ينتقل مباشرة إلى أنواعه ويقسمه إلى اثني عشر نوعاً وهي الجناس التام ، والجناس الناقص ، والجناس الزائد ، والجناس المضارع ، والجناس اللاحق ، والجناس المركب ، والجناس المزدوج ، والجناس الخطي ، والجناس المشوش ، ،والتجنيس بالإشارة ، والجناس الاشتقاقي ، والثاني عشر وهو الجناس القلبي وقد قسمه إلى أربعة أقسام وهي : قلب الكل ، وقلب البعض ، وقلب المجنح ، وقلب المستوى (٥) فنلاحظ أن ابن الأثير كما ذكرنا سابقاً قد قسم الجناس إلى سبعة أنواع بينما الطيبي قسمه إلى اثني عشر نوعاً وهو بذلك يخالفه في التقسيم وكذلك في تسمية أقسامه ، أما من ناحية الشواهد سواء كانت آيات قرآنية أو أبيات شعرية أو أقوال ، أو أحاديث نبوية شريفة فقد نقل فيها الطيبي كثيراً من كتاب المثل السائر لابن الأثير .

فلي الجناس ويسميه ابن الأثير التجنيس الحقيقي أما الطيبي فيسميه الجناس التام فقد نقل الطيبي الآية القرآنية من كتاب المثل السائر واستشهد بها وهي :((ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما

---

(١) البيتان في المثل السائر ج ١ ص : ٢٧٦ . .
(٢) أنظر المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٢ حتى صفحة ٢٧٧ .
(٣) الحديث الشريف في المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٢ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ٤٩١ .
(٥) المصدر السابق : ٤٩١ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لبثوا غير ساعة))(١).

ونقل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ((خلوا بين جرير والجرير (٢))) (٣) .

كما نقل الطيبي في الجناس المضارع الآية القرآنية : ((وهم ينهوْن عنه ويناون عنه)) (٤) وكذلك حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ((الخيل معقود بنواصيها الخير)) (٥) وهذه الشواهد استشهد بها ابن الأثير في القسم الثاني من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لا غير(٦).

أما في الجناس الذي سماه ابن الأثير (المعكوس) وذكر في كتابه أن العلامة قدامة ابن جعفر سماه في كتابه (التبديل) فقد نقل عنه الطيبي أمثلة واستشهد بها في النوع الثاني من أوصاف اللفظ المركب وهو (العكس والتبديل) ، وهذا نوع آخر خارج من الجناس ومن أمثلة ذلك الآية القرآنية :((يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)) (٧) ، وكذلك القول : ((عادات السادات سادات العادات))(٨) .

وآخر ما نختم به قولنا في أثر ابن الأثير في العلامة الطيبي هو أن هذا الأخير قد تأثر بابن الأثير في باب الفصاحة واعتمد على كتابه المثل السائر ونقل عنه الكثير ونحن هنا إن اكتفينا ببعض الشواهد لنبين بها هذا الأثر فهذا ليس تقصيراً لأننا لسنا بصدد عقد مقارنة أو موازنة بين الرجلين وهذا يتطلب دراسة مستقلة وإنما كان هدفنا إبراز ومعرفة هذا الأثر عن طريق هذه الدراسة المبسطة

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٥٥ .
(٢) كشف الخفاء ج ١ ص : ٣٩٨ .
(٣) المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٣ والتبيان للطيبي : ٤٨٠ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٢٦ .
(٥) الحديث الشريف في الصناعتين ص : ٣٣٢ والمثل السائر ج١ ص : ٢٥٤
(٦) أنظر المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٨ - ٢٨٩ والتبيان للطيبي ص : ٤٩٤ .
(٧) سورة الروم ، الآية ١٩ .
(٨) المثال في المثل السائر ج ١ ص : ٢٦٠ - والمصباح ص : ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو باختصار كما ذكر الطيبي بانه لم يجد ما يعول عليه في باب الفصاحة سوى ما أودعه الفاضل ابن الأثير في كتابه المثل السائر . والظاهر أن الطيبي كما ذكرنا سابقاً أنه نقل من كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ) ولم يصرح بذلك وكانه لم يعتمده مصدراً اثناء تاليفه لكتابه التبيان .

والملاحظ كذلك أن ابن الأثير رجع إلى كتاب سر الفصاحة ونقل منه فلهذا فضل العلامة الطيبي الرجوع مباشرة إلى كتاب المثل السائر ونقل منه أشياء كثيرة منها تعريف الفصاحة (١) ، واللفظ المفرد واللفظ المركب أو المؤلف)) (٢) وأخذ عنه الكثير من الشواهد والأمثلة (٣) . والتي نقلها ابن الأثير من كتاب سر الفصاحة .

ويبقى أن نؤكد ان هذا الكل المتكامل من علماء البلاغة هم كتلة واحدة جاءت أو وصلتنا بعد أن وضع كل علامة لبنة بلاغية،واضاف عليها الذين جاؤوا بعده حتى اكتمل هذا الصرح البلاغي،وموازنتنا بين ما كتب من طرف هؤلاء البلاغيين لم يكن إلا :((لترى أنت إلى أي مدى انتفع المتاخر بالمتقدم أو أخذ منه أو اعتدى عليه)).(٤)

ابن مالك وأثره في الطيبي

إن أثر كتاب ابي عبدالله محمد بن جمال الدين محمد بن عبدالله ابن مالك الأندلسي الطائي (- ٦٨٦ هـ) . في الطيبي واضح وضوحاً جلياً وقبل أن نتعرض لدراسة هذا الأثر نود هنا ان نشير إلى أن هذا الكتاب (المصباح) يعتبر من الكتب المهمة في الدراسات البلاغية وأهميته تتجلى في عدة أمور من هذه الأمور أن كتاب المصباح لابن

---

(١) سر الفصاحة ص : ٦٠ وما يليها .
(٢) سر الفصاحة ص : ١٠٢ وما يليها .
(٣) المصدر السابق ص : ٢٣٩ - ٧٠ - ٢٢٦ - ١٣٤ .
(٤) التصور الأدبي في كتاب معاهد التنصيص ، د. محمد بركات ابوعلي، دار الفكر للنشر والتوزيع ١٤٠٤ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مالك هو تلخيص لكتاب المفتاح للسكاكي وقد مر بنا وتعرضنا لدراسة اثره في الطيبي .

والنقطة او الحدث البارز في كتاب المصباح للعلامة ابن مالك هو تقنينه التقنين النهائي للبلاغة العربية ، فلا يخفى علينا أن الشيخ السكاكي قد قسم العلوم البلاغية لأول مرة في كتابه المفتاح الى علم المعاني وعلم البيان والمحسنات وخص كل علم بموضوعات خاصة به وتابعة له ، بعد أن كانت المواضيع البلاغية متناثرة في المؤلفات غير مقننة ، وبمجيء العلامة ابن مالك وتاليفه كتابه المصباح وضع آخر اللمسات على العلوم البلاغية وأعاد ترتيبها فقسمها إلى علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وهو بذلك يعتبر أول علامة يضع العلوم البلاغية متناثرة في المؤلفات غير مقننة ، وبمجيء العلامة ابن مالك وتاليفه كتابه المصباح وضع آخر اللمسات على العلوم البلاغية وأعاد ترتيبها فقسمها إلى علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وهو بذلك يعتبر أول علامة يضع العلوم البلاغية في آخر قالب لها ، وبقيت منذ ذلك الوقت إلى حاضرنا كما هي عليه بنفس التقسيم والخلاصة التي اضافها هذا العلامة هو تسميته للمحسنات بـ ((علم البديع)) وبذلك ظهرت البلاغة بعلومها الثلاثة التي ذكرناها ويقول في ذلك ابن مالك : ((جعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام فالأول يعرف منه الإحتراز في الإفادة لتمام المراد بالمعنى عن الخطأ في كيفية التركيب وفي دلالة المركب على قيد من قيودها وهو علم المعاني والثاني يعرف منه الإحتراز عن الخطأ في التركيب مما دلالته غير وافية بتمام المراد من وضوح الدلالة أو خفائها وهو علم البيان والثالث تعرف منه توابع البلاغة من طرق الفصاحة وهو علم البديع))(١) .

فعلى هذا التقسيم البلاغي الذي بداه السكاكي ووضع تقنينه النهائي

---

(١) المصباح ص : ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن مالك رستّ العلوم البلاغية .

وقد اعتمد الطيبي على كتاب المصباح مصدر له وقد أكد ذلك في مقدمة كتابه قائلاً : ((ورشعته بما في المصباح والإيضاح من النوادر)) (١) .

فمن خلال تتبعي لهذا الأثر ودراستنا للكتابين : ((التبيان والمصباح)) لاحظت أن العلامة الطيبي قد تاثر تاثراً كبيراً بهذا الكتاب ونقل عنه الكثير من المواضيع في العلوم البلاغية الثلاثة ، حتى لانطنب كثيراً في الكلام ننتقل مباشرة إلى دراسة هذا الأثر ونوضحه بموازنة مدعومة بأمثلة بين كل من الطيبي وابن مالك .

ففي تعريف علم المعاني يعرفه الطيبي قائلاً : ((هو تتبع خواص التراكيب)) (٢) أما ابن مالك فيعرفه قائلاً : ((وهو تتبع خواص تراكيب الكلام)) (٣) ، وهذا التعريف هو تعريف السكاكي في كتابه المفتاح .

أما فيما يخص تعريف البلاغة فهما يتفقان في تعريفها بأن لها ((طرفان)) (٤) ويفتتح الطيبي علم المعاني بباب الإسناد الخبري ويقسمه إلى ثلاثة اقسام الأول منها : إبتدائي وهو ما خطب به خالي الذهن فلايؤكد بنحو (إن) و(اللام))والثاني طلبي وهو ما نفي به شك العالم بالطرفين . قال بشار :

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير (٥).

والثالث إنكاري وهو ما رد به حكم المخالف مثل :

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٤٤ .
(٢) المصدر السابق ص : ٤٩ .
(٣) المصباح ص : ٤ وينظر المفتاح ص : ١٦ .
(٤) المصباح ص : ٣ والتبيان للطيبي ص : ٤٧ .
(٥) البيت لبشار بن برد في النهاية ص : ٣٥٢ والمصباح ص : ٦ والإيضاح ج ١ ص : ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء شقيق عارضاً رمحه إن بني عمك فيهم رماح (١) .

وقد جاء الطيبي بهذا التقسيم من كتاب المفتاح وكذلك المصباح فعلى هذا النمط من التقسيم سار ابن مالك في الإسناد الخبري ونقل الطيبي عنه بعض الأمثلة التي استشهد بها وهذه الأمثلة غير موجودة في كتاب المفتاح للسكاكي مثل البيت الشعري : جاء شقيق عارضاً رمحه ... هذا البيت استشهد به ابن مالك فقط ونقله منه الطيبي واستشهد به .

وحتى لانسى نود أن نذكر أن ما كتبه ابن مالك في كتابه المصباح فما هو إلا تلخيص لكتاب المفتاح مع بعض الزيادات في الشواهد سواء كانت من التنزيل أو من المنظوم والحقيقة انه لايمكن لنا في فصل كهذا أن نستخرج كل ما نقله الطيبي من كتاب المصباح ، خاصة ونحن نبحث عما نقله الطيبي من كتاب المصباح من شواهد اجتهد فيها ابن مالك ولم ينقلها من كتاب المفتاح ، فلهذا فهذه الشواهد التي نبينها وهي نتيجة بحث بين الكتب الثلاثة وهي : المفتاح والمصباح والتبيان ونأخذ فقط الشواهد والآراء التي دونها ابن مالك في كتابه المصباح وزادها على ما أخذ من كتاب المفتاح ، ثم نبين أثر هذه الشواهد في كتاب الطيبي وما نقله منها . ففي باب المسند والحالة المقتضية لترك مفعوله نقل الطيبي المثال : ((فلان يعطي ويمنع)) (٢) ، وكذلك البيت الشعري للبحتري :

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واعي (٣)

وأما في باب الفصل والوصل فقد عرفه الطيبي قائلاً : ((وهو ترك العاطف بين الجمل وذكره)) (٤) وهو تعريف منقول من كلام ابن مالك الذي عرفه قائلاً : ((وهو ترك العطف بين الجمل التي لاموضع لها من

---

(١) البيت لحجل بن نضلة شاعر جاهلي : في النهاية ص : ٣٥٩ والمصباح ص : ٦ والإيضاح ج ١ ص : ٧٥ .
(٢) المصباح ص : ٢١ وينظر التبيان للطيبي ص : ١٠٦ - ١٠٧ .
(٣) ديوان البحتري دار صادر ج ١ ص : ١٥١ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإعراب وذكره الجملة)) (١) وتعريف الطيبي للوصل والفصل أقرب إلى تعريف ابن مالك رغم أنهما أخذا هذا التعريف من السكاكي (٢) .

والواضح أن السكاكي لم يتعرض في علم البديع إلى مصطلح الإيغال لهذا فقد نقله الطيبي من كتاب المصباح وقد رتبه في باب التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى تحت عنوان صغير هو ((ائتلاف المعنى مع المعنى)) . فقد نقل الطيبي البيت الشعري من كتاب المصباح واستشهد به في الإيغال وهذا البيت للشاعرة الخنساء تقول :

وإن صخراً لتاتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار (٣)

أما موضوع الالتفات فقد نقله الطيبي من كتابه إلا انه يختلف مع ابن مالك من ناحية تصنيف الإلتفات ، فالطيبي صنفه في علم البديع ، بينما صنفه ابن مالك في علم المعاني وهو بذلك قد سايَر السكاكي في تصنيفه (٤) .

والواضح أن الطيبي نقل نفس التقسيم الذي قسمه ابن مالك في الالتفات قائلاً : ((وله ستة أقسام)) .

وعلى هذا التقسيم سار العلامة الطيبي في موضوع الالتفات وقد قسمه إلى ستة أقسام (٥) وهي :

١ - الانتقال من الغيبة إلى الخطاب .

٢ - الانتقال من الحكاية إلى الغيبة .

٣ - الانتقال من الخطاب إلى الغيبة .

٤ - الانتقال من الغيبة إلى الحكاية .

٥ - الانتقال من الخطاب إلى الحكاية .

---

(١) المصباح ص : ٢٧ .
(٢) أنظر المفتاح ص : ٢٤٩ .
(٣) البيت للخنساء في المصباح ص : ١٠٥ - والإيضاح ج ٣ ص : ٢٠٢ . والديوان تحقيق ، أنور أبو سويلم ط ١ ١٤٠٩ هـ دار عمار وفي الديوان : ((أغر أبلج تاتم الهداة به)) بدل :((وإن صخراً لتاتم الهداة به)) ص ٣٨٦ .
(٤) أنظر المفتاح ص : ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ والمصباح ص : ١٤ - ١٥ - ١٦- ١٧ والتبيان للطيبي : ٢٨٤ وما يليها .
(٥) المصباح ص : ١٥ والتبيان للطيبي ص : ٢٨٤ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ - الانتقال من الحكاية إلى الخطاب .

أما بالنسبة للشواهد الشعرية والآيات القرآنية فقد نقلها الطيبي وزاد عليها وتبقى هنا نقطة مهمة نوردها كملاحظة ، أن هناك اختلافا بينهما في وضع الشواهد في أقسام الالتفات فمثلا في قسم : الانتقال من الخطاب إلى الحكاية استشهد الطيبي بأبيات أمرىء القيس :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد (١)
وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود

بينما نجد أن ابن مالك في كتابه المصباح قد استشهد بها في قسم الانتقال من الخطاب إلى الغيبة في باب الالتفات (٢) .

وموضوع الالتفات من المواضيع البلاغية التي اهتم بها العرب منذ البدايات الأولى لحياتهم وقد قال صاحب المصباح : ((والعرب يستكثرون منه)) (٣) كما تعرض لهذا الموضوع العلامة الزمخشري وكنا قد تعرضنا لذلك ونزيد هنا فقط قوله في الالتفات : ((ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للاصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد)) (٤) .

وموضوع الالتفات درس قبل هؤلاء العلماء فقد تعرض لدراسته الخليفة العباسي عبدالله بن المعتز (- ٢٩٦ هـ) في كتابه البديع واستشهد بالآية القرآنية : ((حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم)) (٥) ونقلت عنه هذه الآية من كتابه البديع (٦) . كذلك نقل

---

(١) الأبيات لامرىء القيس في الديوان ص : ٧٦ والمصباح ص : ١٦ والإيضاح ج ٢ ص : ١٩ .
(٢) أنظر المصباح ص : ١٦ والتبيان للطيبي ص : ٢٨٦ - ٢٨٧ .
(٣) المصباح ص : ١٥ .
(٤) الكشاف ج ١ ص : ٦٤ .
(٥) سورة يونس : ١٠ / ٢٢ .
(٦) البديع ابن المعتز (- ٢٩٦ هـ) محمد عبد المنعم الخفاجي مطبعة البابي الحلبي وأولاده ط ١٩٤٥ / ص : ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطيبي في علم البديع في باب التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى وفيه التفويف . فقد عرف ابن مالك التفويف قائلاً : ((أن تأتي بمعان متلائمة في جمل مستوية المقدار أو متقاربة من قولهم ثوب مفوف)) (١) .

وتعريف ابن مالك هو التعريف نفسه الذي نقله الطيبي قائلاً : ((والتفويف : وهو أن يؤتى بمعان ملائمة في جمل مستوية المقدار من قولهم : ثوب مفوف)) (٢) .

أما في باب الفصاحة في أوصاف التراكيب في رد العجز على الصدر فقد اختلف الطيبي مع ابن مالك في التعريف والتقسيم (٣) ، وبالرغم من هذا فقد نقل عنه بعض الشواهد الشعرية، واستشهد بها ونذكرها على سبيل تبيين الأثر وهي :

١- ذوائب سود كالعناقيد أرسلت فمن أجلها منا النفوس ذوائب (٤)

٢- وما شبتْ من كِبَرٍ ولكن لقيت من الأحبة ما أشابا (٥)

٣- لعمري لقد كان الثريا مكانه ثراء فأضحى اليوم مثواه في الثرى(٦)

وحقيقة النقل الذي نقله الطيبي من كتاب المصباح لابن مالك معظمه من الشواهد سواء كانت من الشعر أو من التنزيل الحكيم .

ففي علم البديع نقل من المطابقة الآية القرآنية (٧) : ((ولكن أكثر الناس لايعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا)) (٨) . أما

---

(١) المصباح ص : ٨٢ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٣٩٣ .
(٣) المصباح ص ٧٨ والتبيان للطيبي ص : ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ .
(٤) البيت لأبي الحسن نصر المرغيناني النهاية ص : ١٣٥ والمصباح ص: ٧٨ وهو بلا عزو.
(٥) البيت في النهاية ص : ١٣٩ بلا عزو وفيه ((شِبتهُ)) بدل ((شبتَ)) والمصباح ص : ٧٨ والديوان دار صادر ص : ١٤ وفيه وما إن شبت - رأيت . وهو لأبي فراس .
(٦) البيت في النهاية ص : ١٣٩ بلا عزو وفيه ((الآن)) بدل ((اليوم)) . والمصباح ص : ٧٨ بلا عزو .
(٧) انظر التبيان للطيبي ص : ٣٤٣ والمصباح ص : ٨٨ .
(٨) سورة الروم : ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في التتميم فقد نقل عنه بعض الشواهد الشعرية نذكر منها ما يلي (١) :

١- لئن كان باقي عيشنا مثل ما مضى فللموت إن لم تدخل النار أروح (٢)

٢- وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتي لظننت فيه جهنما (٣)

٣- ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب (٤)

وفي تاكيد المدح بما يشبه الذم نقل الطيبي من كتاب المصباح البيت الشعري :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (٥)

وخلاصة قولنا في أثر ابن مالك في العلامة الطيبي . إن هذا الأخير رجع إلى كتاب المصباح ((ودققه تدقيقاً كبيراً ونقل عنه الكثير من الاراء والشواهد سواء التي ذكرناها سابقاً او فيما نزيده للإشارة لها فقط . فقد نقل الطيبي من كتاب المصباح في موضوع الإسناد الخبري وكذلك في باب المسند إليه والمسند وفي باب التقديم والتاخير وفي باب الفصل والوصل وكذلك في باب الإيجاز والإطناب هذا فيما يخص علم المعاني ، أما فيما يخص علم البيان فقد نقل عنه وذكرنا بعض الأمثلة في ذلك سابقاً (٦) .

وتبقى لنا ملاحظة للسدارس الكريم بانه لايمكننا حصر ما نقله الطيبي من كتاب المصباح لابن مالك في كتابه التبيان لأن ما نقل ليس بالشئ القليل ، فلهذا فقد اعتمدنا على بعض الأمثلة مع الإشارة إلى المواضيع الأخرى التي نقلها الطيبي والبحث في هذه القضية ليس هيناً لأن هذه المجموعة من البلاغيين التي اعتمدها الطيبي متداخلة

---

(١) أنظر المصباح ص : ٩٦ والتبيان للطيبي ص : ٣٨٠ - ٣٨١ .
(٢) البيت في المصباح ص : ٩٦ وفيه ((يدخل)) بدل ((تدخل)) .
(٣) البيت في المصباح ص : ٩٦ والديوان ج ٤ ص : ١٤٣ .
(٤) البيت في المصباح ص : ٩٦ والإيضاح ج ٣ ص : ١٧٧ ذكره في باب الإطناب .
(٥) البيت في المصباح ص : ١٠٩ والبديع لإبن المعتز ص : ١١١
(٦) أنظر التبيان للطيبي ص : ٥٤ - ٥٥ - ٩٣ - ٩٥ - ١١٣ - ١٧٩ والمصباح ص : ٦ - ١٨ - ١٩ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومتشابكة مع بعضها فقد أعطى كل واحد منهم رأيه الخاص به في كل موضوع من مواضيع العلوم البلاغية .

وحسب رأي الدكتور محمد بدري عبد الجليل في تصنيف الطيبي ، فقد صنفه في صف أصحاب الشروح الذين شرحوا كتاب المفتاح (١) .

لكن نحن نذهب إلى غير ذلك من هذا الرأي ونصنف الطيبي من علماء البلاغة الذين ألفوا شيئاً علمياً جديداً لأن اعتماد الطيبي على مجموعة من البلاغيين في تأليف كتابه جعل منه صاحب مؤلف مستقل .

ويبقى دائماً الاعتماد على السلف السابق أهم مصدر بحثٍ للاحقين ففي أثناء بحثي أدركت ان الشواهد الشعرية قد استشهد بها بعض العلماء القدامى وتناقلتها أجيال العلماء من بعدهم ونعطي مثالاً عن هذا المثال أو الاستنتاج ففي مؤلف الدكتور رمضان عبد التواب الذي حققه وسماه البلاغة عند المبرد (- ٢٨٥ هـ) (٢) استشهد المبرد ببيت شعر للعباس بن الأحنف القائل :

سأطلب بعد الدار منكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا (٣)

فالبدايات الأولى للبلاغة كانت أسساً قوية لبناء علوم البلاغة القائمة حالياً بعدما قننها السكاكي وابن مالك في كتابيهما -المفتاح والمصباح - .

القزويني وأثره في الطيبي

كتاب ((الإيضاح)) لصاحبه قاضي القضاة أبو المعالي جلال الدين

---

(١) محاضرات في علم البديع د. محمد يسري عبد الجليل مكتبة كريدية اخوان ط ١٩٧٣ . ص : ٣٠

(٢) البلاغة عند المبرد (٢٨٥ هـ) دار رمضان عبد التواب مكتبة الثقافة الدينية ص : ٨٥ .

(٣) البيت في الإيضاح ج ١ ص : ٣٤ والبلاغة عند المبرد ص : ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن امام الدين عمر القزويني الشافعي (- ٧٣٩ هـ) .

يعتبر من أهم الكتب البلاغية المهمة خاصة بتلخيصه لما كتبه الشيخ السكاكي في كتابه المفتاح وقد أعطى عنوان كتابه ((الإيضاح)) وهذا لتلخيص وشرح ما جاء غامضاً في كتاب المفتاح ليكون كالشرح والتلخيص له، فبيّن المواضيع المشكلة وفصل القول في معانيه ، واعتمد القزويني كغيره من العلماء على مصادر في مرحلة تاليفه للكتاب فجعل من مصادره كتاب المفتاح وكتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز للعلامة عبد القاهر الجرجاني وغيرها من المؤلفات الأخرى والحقيقة أن القزويني قد عالج الكثير من القضايا والمسائل المهمة في العلوم البلاغية سواء في علم المعاني أو في علم البيان أو في المحسنات بأسلوب علمي أدبي دقيق ورصين ، ونظراً لأهمية الكتاب، فقد كتب حوله الكثير من الشروح والحواشي خاصة لما يمتاز به الكتاب كذلك من ترتيب وتنظيم وتقسيم في مواضيعه نرد على ذلك أسلوبه في الدراسة التطبيقية للمواطيع البلاغية وتيسير فهمها على الدارسين (١) .

وحقيقة كتاب ((الإيضاح)) أنه منذ أن ظهر والدارسون مهتمون به، ومنكبون على دراسته، لما يمتاز به من عمق الدراسة، والتحليل، وكثرة شواهده ولأن هذا الكتاب مهم جداً، فقد اعتمد عليه العلامة الطيبي ووضعه ضمن مصادره التي اعتمد عليها في تاليف كتابه ((البيان)). وقد أكد ذلك في مقدمة كتابه قائلاً :((ورشحته بما في المصباح والإيضاح من النوادر))(٢) .

وأثر هذا الكتاب في كتاب ((التبيان)) للطيبي واضح وضوحاً

---

(١) ينظر الإيضاح ج ١ ص : ٦٦ - ٦٧ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جلياً فقد رجع إليه وأخذ عنه الكثير من المواضيع : البلاغية التي عالجها .

ونورد ملخصاً لبعض المواضيع التي تأثر بها الطيبي في كتاب ((الإيضاح)) ونقل عنه التعريفات والشواهد .

ففي باب القلب يضعه الطيبي في علم البديع في الجناس القلبي، بينما يضعه القزويني في علم المعاني ، وإن كان الاختلاف بينهما في تحديد أو وضع المواضيع تحت عنوان كل علم إلا أنهما يتفقان في تعريف هذا الموضوع والاستشهاد بنفس الشواهد والآيات والأقوال مع بعض الزيادات لكل واحد منهما في الشواهد بصفة عامة، فلكل واحد منهما اجتهاده الخاص كما يختلفان في بعض الأحيان كذلك في التعريفات وتكون لكل منهما نظرته الخاصة ورأيه في الموضوع فمثلاً موضوع القلب عالجه الطيبي بتوسع وقسمه إلى أربعة أقسام وهي :

١ - قلب الكل .

٢ - قلب البعض .

٣ - قلب المجنح .

٤ - قلب المستوى .(١)

هذه التقسيمات هي التقسيمات نفسها التي قسمها ابن مالك في كتابه ((المصباح)) ، ونقلها منه الطيبي وإن اختلف معه في بعض النقاط مثل موضوع العكس والتبديل فقد أدخله ابن مالك في موضوع القلب بينما جعله الطيبي موضوعاً مستقلاً .

وإذا ما رجعنا إلى القزويني في كتابه ((الإيضاح)) فإننا نجده تعرض لدراسة موضوع القلب لكنه لم يتعرض لتقسيمه واكتفى بذكره موضوعاً كاملاً والملاحظة التي نود أن نذكرها هنا هي : اشتراكهم

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ٤٩١ وما يليها والمصباح ص : ٩١ والإيضاح ج ١ ص : ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الإستشهاد بنفس الشواهد مع بعض الزيادات لكل واحد منهما .

ويبقى الطيبي بكتابه ((التبيان)) رائد زمانه في العلوم البلاغية لاحتوائه على زبدة الكتب التي سبقته . ففي الأسلوب الحكيم وضعه الطيبي في علم البديع بينما تركه القزويني في علم المعاني كما لخصه من كتاب ((المفتاح)) للعلامة السكاكي أما تعريف الطيبي للأسلوب الحكيم فقد مزج وجمع بين تعريف السكاكي وتعريف القزويني وأعطى تعريفاً جديداً يجمع بين الرأيين أي رأي السكاكي ورأي القزويني في تعريفهما للأسلوب الحكيم .

فقد عرف الطيبي الأسلوب الحكيم بقوله :((هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب تنبيهاً به على أنه أولى بالقصد)) (١) . وحقيقة هذا التعريف أنه يجمع بين تعريف السكاكي وتعريف القزويني كما أشرنا سابقاً . فالسكاكي عرف الأسلوب الحكيم بقوله : ((هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب...)) (٢) .

أما القزويني فقد عرفه قائلاً :((وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه أولى بالقصد)) (٣) . فالأثر واضح والنقل يكاد يكون حرفياً .

ويختلف الطيبي في ترتيب المواضيع تحت كل علم مع القزويني ، فمثلاً موضوع الإعتراض يضعه الطيبي في علم البديع بينما يضعه القزويني في علم المعاني ، ويعتمد الطيبي في الأخذ والنقل في شتى المواضيع من كتاب الإيضاح،ففي موضوع الإيجاز والاطناب يتفق الطيبي والقزويني وكذلك معهم ابن مالك في تعريفه بقولهم : ((وهما من الأمور النسبية)) (٤) . وهذا التعريف المشترك هو نفس تعريف الشيخ

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ٣٦٠ - ٣٦١ والإيضاح ج ٣ ص : ٢٠٠ - ٢٠١ .
(٢) (٣) التبيان للطيبي ص : ٣٨٣ والإيضاح ج ٣ ص : ٢١٤ .
(٤) المصباح ص : ٣٥ والإيضاح ج ٣ ص : ١٦٩ والتبيان للطيبي ص : ١٤٥ والمفتاح ص : ٢٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السكاكي ، مع اختلافهم في منهجية الدراسة للموضوع وكذلك اختلافهم واتفاقهم في الشواهد ، ومن خلال تتبعنا لموضوع الإيجاز والاطناب عند القزويني فقد لخصه من كتاب المفتاح للسكاكي وفي نفس الوقت أعطى تعريفاً آخر حسب رأيه ، أما تعريف السكاكي فقد نقله القزويني حيث قال : ((قال السكاكي :((أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لايتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ...)) (١) .

أما تعريف القزويني للإيجاز والاطناب حسب رأيه فقد عرفهما بما يلي : ((المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تادية أصل الجواد بلفظ مساو له أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة)) (٢) .

فقد لخص القزويني رأي السكاكي في الإيجاز والاطناب ثم أعطى رأيه الشخصي فيهما ، ثم يعود مرة أخرى ويعطي معنى آخر لموضوع الإيجاز والإطناب وقال فيهما : ((واعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في أصل المعنى)) (٣) .

درسنا هذه الآراء لتقودنا إلى نتيجة وهي أن الطيبي في كتابه التبيان نقل من السكاكي والقزويني . والواضح أن الطيبي قد دقق في كتاب الإيضاح بدقة علمية كبيرة ونقل عنه آراءه التي تاثر بها ، ففي موضوع الإيجاز والاطناب نقل تعريفهما حسب رأي القزويني قائلا : ((وقد يعتبر الإيجاز والاطناب بتقليل الحروف وتكثيرها)) (٤) .

وهذا التعريف هو نفس تعريف القزويني تاثر به الطيبي ونقله وذيله في كتابه التبيان وحتى الشواهد التي استشهد بها الطيبي هي

---

(١) المفتاح ص : ٢٧٦ والإيضاح ج ٣ ص : ١٦٩ - ١٧٠ .
(٢) الإيضاح ج ٣ ص : ١٧٣ .
(٣) الإيضاح ج ٣ ص : ٢٢٣ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسها عند القزويني (١) كما قسم الطيبي الإيجاز ونقل تقسيمه عن كتاب الإيضاح بالرغم من وجود اختلاف بسيط في رأيهما في تقسيم الإيجاز (٢) .

وهكذا يبقى الطيبي متأثرا بما في الإيضاح مطلعا عليه مدققا في معلوماته ناقلا منه شتى المواضيع مستشهدا بالكثير مما استشهد به القزويني .

هذه هي أهم المصادر التي اعتمدها الطيبي في تأليف كتابه التبيان والحقيقة التي يجب ألا يجهلها كل دارس في العلوم البلاغية أن كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للعلامة الطيبي يعتبر من الكتب البلاغية المهمة جداً كمصدر للأبحاث البلاغية وإن كان تأخر تحقيق الكتاب وخروجه إلى عالم الكتب من مخطوطته ، فهذا العمل يفتح كذلك مجالات واسعة في الدراسة والبحث ، لأن الكتاب مهم جداً وغني بمصادره التي تعتبر من أمهات الكتب في العلوم البلاغية ، فقد جمع الطيبي زبدة ما كتب في العلوم البلاغية وأضاف عليها عصارة مجهوده وبهذا قدم لنا عملاً كاملاً نحن في أمسّ الحاجة إليه في دراستنا للوصول بواسطته إلى فهم أسرار التنزيل وآيه . وللتفنن في البلاغة كعلم أدبي بعلومها الثلاثة المعاني والبيان والبديع في تراثنا العربي (٣) .

---

(١) الإيضاح ج ٣ ص : ٢٣٣ - ٢٢٤ والتبيان للطيبي ص : ١٦١ - ١٦٢ .
(٢) المصدر السابق ص : ١٨١ - والمصدر السابق ص : ١٤٨ .
(٣) كتاب الأسلوب أحمد الشايب ط ٥ مكتبة النهضة المصرية ص : ٣٠ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

مجهود الطيبي في العلوم البلاغية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أظهر الطيبي مقدرة كبيرة ، وإطلاعا علميا واسعا ، عندما تعرض لدراسة مواضيع العلوم البلاغية ، حيث قسمها إلى معان وبيان وبديع واستعرضها موضوعا ، موضوعا ، واستدل بآراء من سبقوه ، كلما دعت الضرورة لذلك ، وفي كثير من الأحيان يوازن بين رأيين ثم يعلل، ثم ، يحكم ، أو يعطي رأيه أو يجتهد ولما تساع علمه ودقة بحثه ومعرفته الواسعة لم يترك ما قيل في هذه المواضيع من قبل العلماء الذين سبقوه ، أو عاصروه ، إلا واستشهد به ، كما أنه ساير الكثير من الآراء في ترتيب هذه المواضيع ، وفي نفس الوقت يكون قد خالف بعض العلماء في ترتيب هذه المواضيع ، تحت كل علم وسنعرض لكل مفصلاً فيما يأتي من صفحات .

ونظراً لأن مواضيع العلوم البلاغية طويلة جدا ، رأينا من الأحسن أن نقسمها إلى : معان ، وبيان ، وبديع ، وندرسها بترتيب حتى يسهل علينا دراستها وتتبعها ، وهذا ما يجعلنا نتتبع مجهود هذا العلامة خطوة خطوة ، في جميع العلوم وفي كل موضوع من مواضيعها . وقد اختصرنا ما رأينا أنه إطناب أو قل ما هو متعارف عليه عند البلاغيين حتى لا يكون هناك إطناب ممل ، في تتبع مجهود الطيبي وركزنا على أهم المواضيع ، والقضايا ، التي اهتم بها الطيبي كثيراً وسايرناه في مجهوده على نفس المنهج الذي سار عليه .

علم المعاني

إذا كان السكاكي سباقا إلى جمع وتقنين العلوم البلاغية ، وأول من ضبط المواضيع ، وقسمها إلى : معان ، وبيان ، ومحسنات فبعمله هذا يكون قد ثبت قواعدها وأصولها حتى أصبح منهجه المنهج الذي يسير عليه البلاغيون ، فمنذ أن قنّن البلاغة أحدث ثورة جذرية في مواضيعها وتغيرت الكثير من المفاهيم .

رغم هذا المجهود الكبير الذي قام به السكاكي خدمة للبلاغة ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن هذا لا يمنعنا القول أن السكاكي ليس أول من أطلق إسم علم المعاني وعلم البيان ، فالعلمان معروفان قبله لكن مواضيعهما لم تحدد وتضبط تحتهما ، وكل ما قام به السكاكي من مجهود أنه حدد المواضيع وقننها تحت كل علم وعلل وشرح الأسباب التي جعلته يحدد مواضيع كل علم . وبهذا يكون قد تقدم بالبلاغة خطوة مهمة وفي نفس الوقت أبدع أسلوبا علمياً لم يكن معروفا قبله ، ويأتي العلامة بدر الدين بن مالك ويضيف مجهودا آخر لمجهود السكاكي حيث وضع المحسنات اللفظية والمعنوية تحت اسم علم البديع وبهذا وصلت هذه القفزة إلى قمتها وأصبحت البلاغة معروفة بعلومها الثلاثة وهي : علم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع ولكل علم مواضيعه الخاصة به .

إن هذا الإرث البلاغي الضخم هو ثمرة مجهود مشترك وضعه أجيال من العلماء والدارسين عبر مختلف الأزمنة ، وحتى لا نظلم العلامة السكاكي نورد ما ذكره العلامة الزمخشري في كتابه الكشاف الذي ألفه لتفسير جوهر التنزيل الحكيم قال : ((ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة،وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله)) (١) .

فكلام الزمخشري واضح وضوحا جليّاً أنه لا يمكن الوصول إلى لطائف حجة الله إلا بعلمي المعاني والبيان .

وذكر العلامة الفخر الرازي وهو يتحدث عن الخبر : علم المعاني والبيان قال : ((ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتظهر فيه الدقائق العجيبة والأسرار الغريبة من علم المعاني

---

(١) الكشاف ج١ ص : ١٦-١٧ ، والبلاغة تطور وتاريخ ص : ٢٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبيان)) (١) . ويلاحظ أن عبارة ((من علم المعاني والبيان)) غامضة لا يفهم منها إلا معنى عام وهو البلاغة بصورتها الواسعة أما معانيها الخاصة التي حصرها السكاكي فلم يشر إليها الرازي وكان المعاني والبيان عنده يرادفان البلاغة (٢) . والسكاكي نفسه يذكر ويكرر بعض العبارات والمعاني مثل ((صناعة علم المعاني)) و ((علماء المعاني)) و«أذهان الراضة في علماء المعاني» و ((أئمة علماء المعاني)) . وإذا ما رجعنا إلى ما كتبه العلامة نجد أن عبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) يتكلم عن المعاني والبيان في كتابيه ((دلائل الإعجاز)) و ((أسرار البلاغة)) ولكنه لم يحددهما ولم يضبطهما (٣) .

وكلمتا معان وبيان عرفتا منذ القدم ومن الصعب أن نؤرخ لهما لأن التاريخ لهما ضرب عسير على الباحثين حتى وإن قالوا أن أوليات البلاغة ظهرت عندما ألف أبو عبيدة (- ٢١١ هـ) كتابه مجاز القرآن. وكتاب البديع لعبد الله بن المعتز (- ٢٩٦ هـ) ، وما كتبه جعفر ابن يحيى،وسهل بن هارون،والجاحظ في المعاني،فهذه كلها احتمالات لا أساس لها من الصحة لأن تحديد الزمان والرجال شيء صعب (٤) . وحتى لا نضيع ونتيه عما نحن فيه نقول : إن هذه المواضيع البلاغية ظهرت ووجدت بوجود اللغة وكانت شتاتا فيها وبتدرج الزمن،وتعاقب الأجيال، وانتقال العرب من مرحلة البداوة إلى مرحلة التمدن والتحضر واختلاط العرب بالشعوب الأخرى التي دخلت تحت لواء الإسلام وامتزاج العربية بغيرها من اللغات واللهجات وغيرها من العوامل الأخرى هذه المؤثرات فرضت التخصص والتحديد في مجالات الحياة العلمية .

---

(١) نهاية الإيجاز للرازي / محمد بركات أبو علي / د. السهرائي دار الفكر ص : ٦٩ .
(٢) القزويني وشروح التلخيص أحمد مطلوب ص : ٢٩٢ .
(٣) دلائل الإعجاز ص : ٣٥ ، ٤١ .
(٤) مناهج تجديد أمين خولي ص : ١٠٣ ، ١٠٥ ، وينظر كتاب التفكير البلاغي عند العرب / حمادي حمود منشورات الجامعة التونسية ١٩٨١ . ص : ٣١٥ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطيبي من العلماء البارزين الذين كانت لهم جولات عظيمة الفائدة في ميدان البلاغة العربية ، وسار على نهج المجددين إذا صح التعبير في الدراسات البلاغية ، ودرس البلاغة بعلومها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع بثوبها الجديد الذي ألبسه إياها السكاكي فعلم المعاني عنده : ((تتبع خواص التراكيب في الإفادة تفاديا عن الخطأ في التطبيق)) (١) فهذا التعريف هو تعريف السكاكي وتبعه ابن مالك ثم تبعهما الطيبي (٢) .

والتراكيب عند الطيبي هي ما صدر عن البليغ لنزول غيره منزلة النعيق ، أما الخواص ما يسبق منه إلى الفهم ، كنفي الشك أو رد الإنكار ، أو مجرد الأخبار ، أما الافادة فهي تفهيم المخاطب ، وأما الحكم كـ : ((زيد قائم)) أو لازمه وهو علمه به كـ : ((حفظت القرآن" لمن حفظه . وبالفهم فهم البليغ وإلا فلا اعتداد كما سئل علي (ع) من المتوفي ؟ بالكسر وقرأته عليه قال : الله لأن السائل لم يكن بليغا . أم بالنسبة للتطبيق فهو إيراد الكلام على ما يقتضيه الحال أو المقام فالخاصية إما جارية مجرى اللازم بالنظر إلى البليغ أو لازمة إلى نفس التركيب ، أما التراكيب من حيث خاصيتها التي هي عوارضها وهي خبرية أو طلبية .

أما الخبر فقد قيل : إنه مستغن عن التحديد لمعرفة كل" بالصادق والكاذب واحتمالهما لازمة ، ومرجعه إلى حكم الحاكم بمفهوم على مثله نفيا أو إثباتا لا إلى حكم مفعول يشير إليه بالذي هو لزيد ، فإن الصلة حقها أن تكون معلومة عند المخاطب وبانه زيد لأنه منقول من الحكمية إلى كونه أحد طرفيه يحكم له في حق أنه زيد ، أو به في الذي أدعيه أنه زيد .

وسبب الاحتمال إما تحقيق الحكم مع الصدق أو الكذب من حيث أنه

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٤٩ .
(٢) المصدر السابق ص : ٤٩ والمفتاح ص : ١٦١ ، والمصباح ص : ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكم ، والخبر الصادق ما يطابق الواقع . وما قيل : هو ما يطابق اعتقاد المخبر وإن خالفه لتبريه به لا معول عليه ، لكون تكذيبنا اليهودي ((الإسلام باطل)) وتصديقنا حق يقلعه : ((قالوا نشهد انك لرسول)) (١) وتكذيب الله إياهم مؤذن به . ويرى الطيبي في هذا التكذيب أن الشهادة من صميم القلب .

هذا ما ذكره الطيبي في تعريف علم المعاني والخبر وقد سار على نهج السكاكي وخالفهم الخطيب القزويني في تعريف علم المعاني وعرفه بقوله : ((وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال)) (٢) ورفض تعريف السكاكي لعلم المعاني الذي عرفه بقوله : ((هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)) (٣) ورد القزويني بأن التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه فلا يصح تعريف شيء من العلوم به (٤) . والخبر عند القزويني اختلف الناس في انحصاره ففيه الصادق وفيه الكاذب ، وذهب الجمهور انه منحصر فيهما . ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم : صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له،وذهب القزويني مع رأي الأكثرية وأخذ برأيهم لأنه هذا هو المشهور والمعول عليه،وساق رأي الجاحظ الذي أنكر انحصار الخبر في القسمين وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب وغير صادق ولا كاذب . لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه فالأول - أي المطابق مع الاعتقاد - هو الصادق والثالث - أي غير المطابق مع الاعتقاد - هو الكاذب ، والثاني والرابع - أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع

---

(١) سورة المنافقون الآية : ١ .
(٢) الإيضاح ج١ ص : ٨٤ .
(٣) المفتاح ص : ١٦١ .
(٤) الإيضاح ج١ ص : ٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عدم الاعتقاد - كل منهما ليس بصادق ولا كاذب (١) . سار الطيبي على ما اتفق عليه علماء البلاغة فذكر أول باب في الاسناد ، الخبر من علم المعاني وقسمه إلى ثلاثة أقسام : إبتدائي ، وطلبي ، وإنكاري . حسب ما به من مؤكدات يفرضها المقام .

والابتدائي هو ما خُوطب به خالي الذهن مثل : ((زيد قائم)) فلا يؤكد بـ : ((إن)) ((اللام)) فإنه كما ألقيَ إليه انتقش في ذهنه .

أما الطلبي فيؤكد بـ ((إن)) لينفي به الشك مثل : ((إنَّ زيدًا قائم)) . فيؤكد . وقد ينزل غير الطالب منزلته إذا قدّم له ما يتنبه به في مثل قول بشار (٢) :

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير .

وفي قوله تعالى : ((ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون)) (٣) أما الإنكاري فهو ما رُدّ به حكم المخالف مثل ((إني صادق)) فيؤكد بـ ((إن)) وهذا للمنكر . أو ((إني لصادق)) فيؤكد بـ ((إن)) و ((اللام)) للمبالغ في الإنكار . وقد ينزل غير المنكر منزلته إذا فعل ما يلابس الإنكار مثل قول الشاعر (٤) :

جاء شقيق عارضاً رمحه إن بني عمك فيهم رماح

وقد ياتي معكوسا فينزل المنكر منزلة غير المنكر كقوله تعالى : ((لا ريب فيه)) (٥) . هذا ما عالجه الطيبي في باب الإسناد وقبل أن نتوسع في دراسة علم المعاني عند الطيبي نورد المواضيع التي حصرها تحت هذا العلم .

فقد حصر تحت هذا العلم : الإسناد ، والمسند إليه ، والمسند ، والتقديم والتاخير والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب والطلب ،

---

(١) الإيضاح ج١ ص : ٨٧ .
(٢) البيت في المصباح ص : ٦ ، والإيضاح ج١ ص : ٩٥ .
(٣) سورة هود الاية : ٣٧ .
(٤) البيت في المصباح ص : ٦ والإيضاح ج١ ص : ٩٥ .
(٥) سورة البقرة الاية : ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد خالف القزويني في حصر المواضيع تحت علم المعاني فالقزويني حصر تحت هذا العلم ثمانية أبواب هي : حوال الإسناد الخبري ، وأحوال المسند إليه ، وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، والقصر والإنشاء ، والفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب والمساواة (١) . لم يخرج الطيبي عن أركان الجملة الخبرية أي:المسند والمسند إليه ، فالمسند إليه هو ما يعرف نحويا بالفاعل أو نائبه ، أو مبتدأ له وخبر ، أو إسم كان أو أنّ ، أو المفعول الأول لظنّ وأخواتها ، أما المسند فهو الخبر والفعل والمفعول الثاني لظنّ وأخواتها ، ولا بد من وجود رابط يربط المسند بالمسند إليه وهذا الرابط يعرف لدى البلاغيين بالنسبة الكلامية ، وزيادة عن ذلك فلكل من المسند إليه والمسند أحوال كثيرة كالحذف والذكر والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وكالمسند إليه والمسند هنا كمتعلقات الفعل كالمفعول والحال والتمييز والاستثناء والنواسخ الثلاثة ، والتوابع الأربعة وغير ذلك تعرض لها أحوال أيضا كتلك التي تعرض للمسند والمسند إليه (٢) .

قسم الطيبي المسند إليه إلى خمسة أبحاث رئيسية ثم فصّل فيها ، فالبحث الأول في باب المسند إليه من حيث كونه متروكا وهو إما لضيق المكان أو للتعويل على أقوى الدليلين من العقل واللفظ كقوله تعالى : ((وما أدراك ما هية)) (٣) ((نار حاميه)) (٤) .أو لتطهير اللسان أو لتطهيره عن اللسان ، أو أن الخبر لا يصلح إلا له ، وهو إما حقيقة أو ادعاءً ، أو لأن في عدم التصريح إحتياطا أو لتكثير الفائدة ، أو لأن الاستعمال وارد على تركه أو لمجرد الاختصار أو المدح . والبحث الثاني ففي إثباته : وهو أن الخبر صالح لأن ينسب

---

(١) الإيضاح ج١ ص : ٨٥ وما يليها والتبيان للطيبي ص : ٥١ وما يليها .
(٢) دراسات بلاغية عند ابن الأثير . عبد الواحد حسن الشيخ - مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٦ م . ص : ١٠٨ .
(٣) و (٤) سورة القارعة الآيتان : ١٠ ، ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى كل أحد لانتفاء القرينة والمراد تخصيصه بواحد مثل : زيد" جاء .

أو لأن ذكره تعظيماً أو استلذاذا ، أو تنبيهاً على غباوة السامع ، أو زيادة للإيضاح أو لمهانة المذكور أو بسطا للكلام والمقام يقتضيه للاستصغاء . أما البحث الثالث ففي تعريف وتنكير المسند إليه ،وذلك لأن يقصد الاعتداد بالفائدة . ولا شك أن الفائدة ولازمها حكم" أو التعريف يبعد الحكم عن الواقع فإذا بعُد عَجِبَ ، والمعجّب معتد به ، والبعد بحسب التخصيص وزيادته لزيادته فاعتبره في قولك : ((شيء ما موجود)) و ((فلان ابن فلان حافظ للتوراة والانجيل" وهو على وجوه :

١ - أن يكون مضمرا : إما حكاية أو خطابا أو رغبة والمسند مذكور ، أو في حكم المذكور لأن الذهن لا يلتفت إلى غير ، وقد يوضع المضمر مكان المظهر مثل : ((هو زيد عالم)) . ((وهي هند مليحة)) مكان الشأن والقصة ليتمكن في الذهن إجمالا وتفصيلا وعليه قوله تعالى : ((قل هو الله أحد)) (١) وعكسه إما بالزيادة التمكن أو لإدخال الروعة في ذهن السامع أو لتقوية داعي المأمور ، أو للاستعطاف ، أو للتوصل إلى الوصف أو لتعظيم الشأن ، أو للتنبيه على العلية أو لأن الأمر عظيم . وقد وضعوا مكان ضمير الواحد ضمير الجمع ، إما رفعة لمكانة المخاطب أو إظهار الأبهة ، أو تفخيما لما أوتي من النعم أو استرضاء أو تنزيها عما لا يليق بالمتكلم .

٢ - في كونه علما وهو إما لاحضاره ابتداء بما يخصه أو لما فيه من تعظيمه كالأسامي المحمودة أو لإهانته .

٣ - في كونه موصولا وهو أن يحضر بسبب جملة معلومة الانتساب إما لأن لا تعلم أنت غير أو لزيادة التقرير أو للاستهجان ذكره وله صفة كمال أو للتفخيم أو بالإهانة . أو إلى التعظيم ، أو إلى التنبيه

---

(١) سورة الإخلاص الآية : ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الخطا . أو إلى التسلية . أو إلى التشويق إلى الخبر .

٤ - في كونه إسم إشارة وذلك لبيان حال المشار إليه المحسوس في قربه وبعده وتوسطه ويتفرع اعتبارات مثل أن يقصد به أكمل تمييز أو أن ينبه عن غباوة السامع وإنه لا يميز الشيء إلا بالحس ، أو على كمال فطانته وبعد غور إدراكه بأن غير المحسوس بالبعد عنده كالمحسوس عند غيره ، أو يقصد إدعاء أنه ظهر لظهور محسوس أو اختص بحكم بديع الشان يغيب عن الخاطر وكأنه نصب عينه ، أو قصد بقربه إلى تحقيره ، أو ببعده لتعظيمه .

٥ - في كونه معرفا باللام وذلك إما للإشارة إلى نفس الحقيقة ، أو من حيث شمولها لجميع أفرادها ، وهو إما حقيقي أو عرفي . وقد ذكر الطيبي أن اللام عند العلامة السكاكي موضوعة للعهد لا غير (١) .

٦ - في كونه مضافا وهو إما لأن الاضافة متعينة ، ولا طريق سواها ، أو أن تومىء بها إلى اعتبار مجازي ، أو أتي تشريف المضاف أو تحرص بها على الطلب .

٧ - في كونه موصوفا والصفة إما كاشفة أو مادحة أو مخصصة أو مؤكدة ، ويرى الطيبي أن من حق الصفة أن توكون معلومة التحقق للموصوف عندك وعند السامع لأنها مميزة ، ويمتنع أن يميز شيء بما لا يعرف في متحققه في نفسها لأن تحققها للغير فرع تحققها في نفسها ، والموصوف كذا لأن ثبوت الشيء للشيء فرع ثبوته في نفسه فإذا يمتنع مجيئها إنشائية .

٨ - في كونه مؤكدا لئلا يظن بالحكم التجوز أو ليقصد به الشمول .

٩ - في كونه مبنيا وهو للإيضاح .

١٠- في كونه معطوفا وذلك لأن يستغني به عن الاطناب .

١١- في كونه مبدلا لإرادة تكرير الحكم وذكره المسند إليه بعد توطئة ذكره لزيادة التقرير وفائدة المبالغة .

---

(١) ينظر المفتاح ص : ١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢- في اقتضائه ضمير فصل وهو إذا كان المراد تخصيص المسند إليه وعكسه .

أما البحث الرابع فخصص في كون المسند إليه منكراً إما لقصد الإفراد شخصا أو نوعا ، أو أن تجمع النوعين مع بعض ، أو للتجاهل ، أو لتقليل مقداره ، أو لتعظيم شأن الأمر ، أو لتكثير مقداره ، وكذلك مثال التحقير والتعظيم وكذلك مثال التعظيم والتكثير .

أما البحث الخامس والأخير ففي كونه مقدما ، إما لأنه الأصل ، أو متضمناً للاستفهام أو لإظهار التشويق إلى الخبر ، وهذه هي خواص تراكيب الأخبار بالذي ، ومنه ضمير الشأن والقصة . أو لإرادة تقوي الحكم أو التفاؤل وعكسه كذلك ، أو لأن الكلام فيه كما إذا كان المطلوب اتصافه بالخبر . ويسوق الطيبي رأي السكاكي القائل : ((وقد يتصور في الفعل أن يكون المراد به وقوعه من الفاعل ، وأن يكون مجرد اتصافه به وعليه قوله تعالى : ((إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم)) (١) .

كما ساق رأي الزمخشري القائل : ((ليس الغرض بذكر ((على صراط مستقيم)) التمييز وإنما الغرض الوصف . أو لزيادة التخصيص أو ليوهم أنه لا يزول عن الخاطر أو للتعظيم أو للدلالة على العموم)) (٢)

هذا ما ذكره الطيبي في باب المسند إليه من تقسيمات وشروح . ولتشعب هذه التقسيمات وطول هذه الشروح فإنه يصعب على الدارس أو الباحث استيعابها ، وسار الطيبي تقريباً على نفس المنهج الذي سلكه السكاكي والقزويني (٣) . وقد وقف الطيبي موقفا محايدا بين السكاكي

---

(١) سورة يس الآية : ٣ ، ٤ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٨٦ ، والكشاف ج٢ ص : ٣١٤ ، والمفتاح ص : ١٩٤ .
(٣) ينظر موضوع المسند إليه في التبيان للطيبي ص : ٤٥ وما يليها ، والمفتاح ص : ١٧٥ وما يليها ، والإيضاح ج١ ص : ١٠٩ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقزويني ، ولم يعارض القزويني في آرائه التي عارض بها السكاكي ، مثلما فعل مع العلامة الزمخشري ، إذ كان كثيرا ما يعارضه ويؤيد آراء السكاكي على آرائه . ونعطي هنا بعض الأمثلة على الاختلافات ونبين أثرها الحميد في تطور وازدهار الأبحاث البلاغية .

ففي البحث الثاني عند الطيبي وهو البحث الخاص بإثبات المسند إليه وهو إمّا لأن الخبر صالح ينسب إلى كل أحد لانتفاءه القرينة والمراد تخصصه بواحد يقول القزويني : ((قال السكاكي : ((وإما لكون الخبر عام بالنسبة إلى كل مسند إليه . والمراد تخصيصه بمعين كذلك كقولك : زيدٌ جاء ، وعمرو ذهب ، وخالد في الدار)) .

هذا الموضوع يرى القزويني أن فيه نظراً ، لأنه إن قامت قرينة تدل عليه إن حذف فعموم الخبر ، وإرادة تخصيصه بمعين وحدها . لا يقتضيان ذكره وإلا فيكون ذكره واجبا ، ويتابع القزويني اعتراضه على السكاكي إذ يقول : ((قال السكاكي : وربما جُعل ذريعة إلى تحقيق الخبر)) كقوله (١) :

إن التي ضربت بيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها غول

أو ربما جعل إلى التنبيه للمخاطب عن الخطأ .

ولا يرى القزويني هذا الرأي لذلك يظهر بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر فرق ، فكيف يجعل الأول ذريعة للثاني ؟ والمسند إليه في البيت الثاني ليس فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر عليه ، بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقضيه عليه)) (٢) . لكن رغم هذه الاعتراضات يأخذ الطيبي دائما برأي السكاكي رغم اطلاعه على اعتراضات القزويني .

---

(١) البيت في الإيضاح ج١ ص : ١١٧ .
(٢) ينظر المفتاح ص : ١٧٧ والإيضاح ج١ ص : ١١٧ ، والتبيان للطيبي ص : ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونعود فنقول أن هذه الاختلافات قد أعطت دفعا قويا لمباحث العلوم البلاغية وهذه الاختلافات لم تكن محصورة بين فئة معينة بل هي موجودة بينهم في كل عصر فهذا البهاء السبكي يعارض الطيبي والزمخشري ، يذكر السبكي أن من مؤكدات الجملة ضمير الفصل ... كالسين واللام ، ومنها السين الافتتاحية التي هي للتنفيس عند الزمخشري كقوله تعالى : ((أولئك سيرحمهم الله)) (١) وقوله تعالى : ((سيجعل الرحمن لهم ودا)) (٢) ، وقوله تعالى : ((ولسوف يعطيك ربك)) (٣) . ودافع الطيبي عن رأي الزمخشري بقوله : إن السين في الإثبات هي في مقابلة إنْ في النفي . لكن البهاء لم ير هذا الرأي ويذهب مذهبا آخر (٤) .

أما الباب الثاني في علم المعاني فقد خصصه الطيبي للمسند وقسمه كذلك إلى عدة أبحاث :

١ - في كونه متروكا وهو إما لضيق المقام كقول المتنبي (٥) :

قالت وقد رأت اضطراري : من به وتنهدت فأجنتها : المتنهد

أو للتعويل على أقوى الدليلين ، أو يكون في ذكره عبث من حيث الظاهر ، أو لأن ذكره يخرج عن المقصود نحو قولك في المتصلة : ((أزيد عندك أم عمرو)) ، ولو قلت ((أم عندك عمرو)) خرج إلى المنفصلة أو لتكثير الكلام .

٢ - في كون المسند مذكورا : وهو لما سبق في المسند إليه ، أو للقصد التعجب من المسند إليه أو لافادة الثبات والدوام صريحا فيجاء اسما مثل : ((زيد عالم)) . وبعض الأسماء ، وإن دل على التجدد لكن بالغرض أو التجدد والحدوث فيجاء به فعلا ، وإلى تفاوت الجملتين تجددا أو ثبوتا مثل قوله تعالى : ((آمنا بالله وباليوم

---

(١) سورة التوبة الاية : ٧١ .
(٢) سورة مريم الاية : ٩٦ .
(٣) سورة الضحى الاية : ٥ .
(٤) البهاء السبكي وآراؤه البلاغية عبد الفتاح لاشين . ط١ ١٤٣٩ هـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر ص : ٢٤١ .
(٥) البيت في المصباح ص : ١٧ ، والإيضاح ج١ ص : ١٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآخر)) (١) في قول المنافقين أي أحدثنا الدخول في الإيمان ، وقوله تعالى ردا عليهم بأبلغ منه ((وما هم بمؤمنين)) (٢) حيث جيء إسميه ومع الباء . أو لاحتمال الأمرين بحسب التقديرين فيجاء به ظرفا نحو : زيد في الدار . إذ التقدير له حاصل أو حصل ، والثاني أقوى لتمام صلة الموصول به .

٣ - في كون المسند فعلا : وهو إذا أريد تخصيصه بأحد الأزمنة مع اختصار لإفادة التجدد كقوله تعالى : ((ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)) (٣) بمعنى أنكم : فريقا فرغتم عن تكذيبهم ، وفريقا فرغتم عن قتلهم . وها أنتم تبذلون جهدكم في قتل محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وقد يوضع المستقبل موضع الماضي إما لاستحضار الصورة الماضية في مشاهدة السامع كأنه ينظر إلى فاعلها حال وجود الفعل فيعجب لها قال تعالى : ((والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه)) (٤) مكتنفا قطراه بالماضي حكاية الحال التي وقعت من إثارة الريح للسحب وهي الصورة البديعية الدالة على القدرة الباهرة . وقول تابط شرا (٥) :

بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران

فإنه قصد أن يصورهم الحال التي تشجع فيها كأنه يبصرهم أياها .

وإما لإرادة استمرار وجود الفعل فيما مضى مثل قوله تعالى : ((الله يستهزيء بهم)) (٦) بعد قولهم : ((إنا معكم إنما نحن مستهزؤن)) (٧) . ليكون أبلغ من استهزائهم وإفادته الاستمرار

---

(١) و (٢) سورة البقرة الآية : ٨ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٨٧ .
(٤) سورة فاطر الآية : ٩ .
(٥) البيتان لتابط شرا وهو ثابت بن جابر الصعلوك الجاهلي . انظر المصباح ص : ٢٧ ، والإيضاح ج١ ص : ١٨٧ .
(٦) و (٧) سورة البقرة الآيتان : ١٥-١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاقتضاء المقام . أما وضع الماضي موضع المستقبل فهو لتراخي ابراز غير الحاصل في معرض الحاصل إما لقوة الأسباب المتظاهرة كقول المشتري : ((اشتريت)) حال انعقاد أسبابه ، أو لأن المخبَر صادق في وعده ، ووعيده قال تعالى : ((إنا فتحنا لك فتحاً مبينا)) (١) ، وقوله تعالى : ((ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار)) (٢) أو لأن للوقوع كالواقع كقوله تعالى : ((وبرزوا لله جميعا)) (٣) .

ويرى الطيبي أنه قد يستعمل فعل أو ما في معناه مع مصدر فعل آخر مثل : ((فعل الضرب)) . إيذانا بأن الفاعل مستقل وأنه أوجده تحقيقا قال تعالى : ((والذين هم للزكاة فاعلون)) (٤) مبالغة في وصفهم .

أو يقام المصدر مقام الفعل كقوله تعالى : ((فضرب الرقاب)) (٥) واصله فاضربوا الرقاب ضربا : فقد حذف للاختصار مع اعطاء معنى للتوكيد . وفي الأصل كان الفعل مطلوبا ويتبعه المصدر وهنا العكس فيفيد طلب المسارعة في الامتثال .

٤ - في كون المسند معرفا وهو إذا كان معلوما وقد يقال : فماذا يستفيد السامع إذا كان المسند معرفا ؟ ويجيب الطيبي :
يستفيد المستمع الحكم في مثل قولك : (أخوك زيد) أو (زيد أخوك) لمن له أخ وهو عارف له ، ويسمى بزيد لكن لا يعرف أن هو أو لازمه في مثل قولك : ((لا الذي أثنى علي بالغيب أنتَ)) . أو (أنت الذي أثنى علي بالغيب) لمن فعله .

ويرى الطيبي أن تقديم الحكم في المثالين الأولين ليس سدى لأنك عندما تقول "أخوك زيد" لمن يطلب الحكم على الأخ بتعيين أنه زيد ،

---

(١) سورة الفتح الاية : ١ .
(٢) سورة الأعراف الاية : ٤٤ .
(٣) سورة ابراهيم . الايتان : ٢١-٤٨ .
(٤) سورة المؤمنون الاية : ٤ .
(٥) سورة محمد الاية : ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و (زيد أخوك) لطالب الحكم على زيد بانه أخوك .

والمبتدأ والخبر عند الطيبي إذا عرفا ، فالمقدم هو المبتدأ مثل (المنطلق زيد") بمعنى الشخص وزيد بمعنى صاحب اسم زيد ، ومن ثم عُلِّقَ الظرف به مثل قوله تعالى : ((وهو الله في السموات)) (١) أي المعبود فيها والمعروف بالألوهية فيها . والتركيب حيث دار يفيد الانحصار ، ثم أن الانحصار إما حقيقة نحو : (الله الخالق) أو مبالغة مثل : (حاتم الجواد) .

٥ - في كون المسند منكرا . مثل قولك : ((الذي عندي في الدار رجل)) . أو تقصد عدم الانحصار والعهد مثل : (زيد كاتب) . أو ارتفاع شأنه كقوله تعالى : ((هدى للمتقين)) (٢) . أو أن يكون المسند إليه نكرة مثل : رجل من قبيلة كذا حاضر .

٦ - في كون المسند مقدما : إما لكونه متضمنا للاستفهام نحو : كيف زيد ؟ أين عمرو ؟ . أو المراد تخصيص المسند إليه مثل : ((تميميٌ أنا)) . قال تعالى : ((لكم دينكم ولي ديني)) (٣) ، أو للتنبيه على أنه خبر لا نعت مثل قولها : ((تحت رأسي سرجٌ وعلى أبيه درع)) (٤) . أو لأن قلب السامع معقود به مثل : ((هلك خصمك)) . أو لتشويق المسند إليه كقوله (٥) :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وكلما طال الكلام المتقدم كان أدخل في التشويق ، ولأن المطلوب إفادة التجدد في الدرجة الأولى وهذا رأي السكاكي . حيث قال : ((وحق الاعتبار وتطويل الكلام في المسند وإلا لم يحسن ذلك

---

(١) سورة الانعام الاية : ٣ .
(٢) سورة البقرة الاية : ٢ .
(٣) سورة الكافرون الاية : ٦ .
(٤) القول لأم تأبط شرا الشاعر الجاهلي الصعلوك : في المفتاح ص : ٢١٩ .
(٥) البيت في المفتاح ص : ٢٢١ ، والمصباح ص : ٩٥ ، والإيضاح ج١ ص : ١٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحسن)) (١) .

٧ - في كون المسند مفردا . وهو إذا كان فعليا ولم يقصد به التقوي. والفعلي عند الطيبي ما يكون مفهومه محكوماً به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتهاء عنه مثل : ((زيد أخوه ضاربٌ)) . أما التقوي مثل: ((زيدٌ ضَرَب)) يستدعيان كون المسند جملة أما التخصيص فمفرد لأن ابرازه في صورة الجملة لا يخرجه عن حقيقته لعروضه ويعلم من ذلك في قوله تعالى : ((لو أنتم تملكون)) (٢) .

ويرى الطيبي أن القراءة في قوله تعالى : ((كشجرة طيبة أصلها ثابت)) (٣) أقوى من قراءة (ثابت أصلها) (٤) .

٨ - في كون المسند جملة وهو لما أن يكون سببا ، أي يكون المسند الثاني مسند إلى متعلق بالمبتدأ مثل : (زيد أبوه انطلق) . أو يقصد به تقوي الحكم ، والسبب يقوي الحكم مثل : (أنت لا تكذب) فهي أقوى من : (لا تكذب أنت) لأنها تنفي الكذب عن المخاطب ومثل : (أنا عرفت) محتمل للتقوي إذا لم يقدر التقديم فيقصد كقوله تعالى : ((لا يخلقون شيئا وهم يخلقون)) (٥) فهذا تحقيق كونهم مخلوقين لا تخصيص خلقهم . وفيه ما يفيد التخصيص لا التقديم عندنا مثل قوله تعالى : ((وما هم بخارجين عن النار)) (٦) ومنه كذلك : (أنا عارف) ، ثم أن الضابط هو أن كل مبتدىء ليس بضمير بعده فعل أو يشبهه ، فيه ضمير له فهو للتقوي ، وكل منكر كذا غير مخصص ، فهو للتخصيص مثل : ((رجل عرف)) ، وما كان من ضمير بعده فعل كذا يصلح للتقوي والتخصيص مثل : (هو عرف) .

---

(١) رأي السكاكي في المفتاح ص : ٢٢١ ، والإيضاح ج١ ص : ١٩٤ .
(٢) سورة الإسراء الآية : ١٠٠ .
(٣) سورة ابراهيم الآية : ٢٤ .
(٤) أنظر الكشاف ج٢ ص : ٣٧٦ "وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها ..." .
(٥) سورة النحل الآية : ٢٠ .
(٦) سورة البقرة الآية : ١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند الطيبي لا بد من الجملة الواقعة خبرا من ضمير راجع . إلا ان يكون نفس المبتدا مثل : (هو زيد قائم) ، ومن الأسلوب قوله تعالى : ((وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)) (١) . ويعتبر الطيبي - لام - الكافرين للجنس .

٩ - في كون المسند مقيدا بما يتصل به من المفاعيل الخمسة ، والشرط وهو متى قصد به تربية الفائدة ، فإن بالتقييدات يزداد الحكم بعدا ، وأما خبر كان فليس بقيد بل القيد نفس كان ، والجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص ومن كلماتها (إن) ، وهي تختص بالمضارع المشكوك وقوعه مثل : (إن أكرمتني أكرمك) .

وتستعمل (إن) للاحتياط ، أو لأن المخاطب غير جازم ، أو للتجاهل ، أو للتوبيخ . وقد تستعمل (إن) في الماضي كقوله تعالى : ((إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون)) (٢) فقد ترك (يودوا) إلى الماضي المؤذن بالتحقيق ، إذ الكفر عندهم أهم من القتل .

أما إذا فهي للمضارع المقطوع حصوله . وقد يعدل إلى الماضي قال تعالى : ((فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه)) (٣) . فقد أتى بجانب الحسنة ب (إذا) لأن الحسنة المطلقة حصولها مقطوع به .

وقد جوز السكاكي أن يكون تعريفها للعهد وتبعه الطيبي في ذلك (٤) . لأن تعريفها للعهد هو أقصى حد للبلاغة من تعريفها للجنس . ويذكر الطيبي مثل : من ، متى ، متى ما ، وأخواتها هي من المعممات المحترز بها عن التطويل .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٨٩ .
(٢) سورة الممتحنة الآية : ٢ .
(٣) سورة الأعراف الآية : ١٣١ .
(٤) ينظر المفتاح ص : ٢٤١ ، والإيضاح ج١ ص : ١٧٨ والتبيان للطيبي ص : ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ذكر (غير) ، و(أن) ، أما (لو) فهي لتعليق ما امتنع بامتناع غيره على القطع ، والتعليق يوجب الجملتين فعليتين ، والقطع يوجب كونهما ماضيتين مثل : (لو جئتني أكرمتك) .

١٠ - في ترك المسند للفعل وهو إما لاتباع الاستعمال ، أو لأنه مفسر" كقوله تعالى : ((وإذا السماء انشقت)) (١) ، أو لأن في الجارة الدالة عليه مطلقا ، فإذا أريد تقييده بحسب المقام : (إسم الله) ، إذا أخذت في القراءة أو بالاقتراف وعموم الأحوال ، أو المقدر كقوله تعالى : ((يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال)) (٢) أو لضيق المكان يدعو إليه ، أو لكونه مسببا عن المذكور ، أو لأن سياق الكلام ينبيء عنه كقوله تعالى : ((وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا)) (٣) ، أو الفاء الفصيحة كقوله تعالى : ((اضرب بعصاك الحجر فانفجرت)) (٤) ، أو الجزاء كقوله تعالى : ((فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم)) (٥) .

١١ - في ترك المسند لمفعوله : وهو إما للقصد إلى نفس الفعل لجعله منزلة اللازم ذهابا مثل : (فلان يعطي ويمنع) إلى معنى انه يوجدهما ويفعل حقيقتهما إيهاما للمبالغة بأن القصد إلى فرد دون فرد مع تحقيق الحقيقة كقوله تعالى : ((فلا تجعلوا لله أندادا" وأنتم تعلمون)) (٦) وقد يعدى بالجارة كاللازم كقوله تعالى : ((واصلح لي في ذريتي)) (٧) أو كناية عن متعدّيه كقوله تعالى : ((أنعمت عليهم)) (٨) أو يكون كناية عن أفعال شتى وكيفيات متعددة كقوله تعالى : ((فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا)) (٩) او إذا تعلقت به غرابة ، أو لأن

---

(١) سورة الإنشقاق الاية : ١ .
(٢) سورة النور الاية : ٣٦-٣٧ .
(٣) سورة الكهف الاية : ٤٨ .
(٤) سورة البقرة الاية : ٦٠ .
(٥) سورة الأنفال الاية : ١٧ .
(٦) سورة البقرة الاية : ٢٢ .
(٧) سورة الأحقاف الاية : ١٥ .
(٨) سورة الفاتحة الاية : ٧ .
(٩) سورة البقرة الاية : ٢٣-٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدب في أن يترك ولا يذكر . كذكر العورة مثلا . أو يأتي للاختصار كذلك .

١٢ - في اضمار فاعله : وهو لأن يكون على الحكاية والخطاب مثل : (عرفتهُ) و (عرفتَ) أو أنه مسبوق مثل : (جاءني رجل وطلب كذا) أو في حكم المسبوق أنه نصب عينيك كقوله تعالى : ((ولما سُقط في أيديهم)) (١) أو الآتي مشيرا إليه .

ومن الأمثلة ما بني للمفعول ولا يصار إليه إلا حيث يكون الفاعل رفيع القدر عليّ الشأن ، ومثل ذلك الفعل لا يمكن أن يصدر إلا عن مثله كقوله تعالى : ((وقيل يا أرض ابلعي ماءك)) (٢) .

أو للفعل ما ينتزه عليه كقوله تعالى : ((غير المغضوب عليهم)) (٣) . أو لإيثار غرض المخاطب ، أو المقصود صدور الفعل لا عمّن صدر مثل : ((قُتل الخارجيّ)). أو حرف لروي كقول الشاعر (٤) :

وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوما أن ترد الودائع

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

أو لتقارب السجع قيل : (كثر النصال وقتل الرجال) (٥) .

التقديم والتأخير

قال عبد القاهر الجرجاني في التقديم والتأخير : ((هو باب كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصريف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترلك على بديعه ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال تسمع شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبباً أن راقك ولطف عندك

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٤٩ .
(٢) سورة هود الآية : ٤٤ .
(٣) سورة الفاتحة الآية : ٧ .
(٤) البيتان في أنوار الربيع ج٢ ص : ٧٦ ، والأول في ج٥ ص : ١٩٧ .
(٥) ينظر موضوع المسند في المفتاح ص : ٢٠٥ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان)) (١) .

وعند الطيبي التقديم والتأخير مفيد وهو إما للتخصيص كقوله تعالى : ((إياك نعبد وإياك نستعين)) (٢) ، أو لأنه يستدعي سبق الخطأ من المخاطب في الفعل أو المفعول أو غير ذلك ، واصابته في الفعل مثلا وأنت تقصد رده إلى الصواب مثل قولك : (أنا ضربت زيدا) كان المدلول (ضربته زيدا ولم يضربه غيري) . لأنه إذا اثبت غير معتقده استدعى المقام نفي معتقده . أما إذا قلت : ((ما زيدا ضربته)) كان المفهوم : (ما ضربتُ زيد) وضربتُ غيره ، لأنك إذا نفيت معتقده استدعى اثبات غيره ، فيجتمع اثبات نفيه مع نفي مثبته فذلك هو معنى القصد .

ثم هو إما للأفراد وهو قطع الشركة عن متعلق الحكم المتوهم شركته ، أو للقلب وهو رد المتوهم إلى ما يخالفه فيلزم منه ثبوت الحكم عند المخاطب ولكن الخطأ في متعلقه وهو إما قصر الموصوف على الصفة أو عكسه .

هذه هي مقدمة التقديم والتأخير عند الطيبي ، وقد قسم هذا البحث إلى فصول :

١ - في تقديم الفاعل المعنوي مثل : (أنا سعيت في حاجاتك) وهي في قصر الإفراد ونفي الشركة في السعي ، أما قولهم : (أتعلمني بضبٍّ أنا حرشته) (٣) فالإفراد . أما قوله تعالى : ((وما أنت علينا بعزيز)) (٤) فلنفي العزة إذ كانوا يقصدون أن العزيز رهطه لا هو ، وهذا ملحق بالفعل في التقوي والتخصيص على رأي الطيبي . ويرى الزمخشري : ((أن إيلاء الضمير حرف النفي يدل على أن الكلام في

---

(١) دلائل الإعجاز ص : ٧٢-٧٣ .
(٢) سورة الفاتحة الآية : ٥ .
(٣) القول في دلائل الإعجاز ص : ٨٥ ، والمصباح ص : ٢٢ ، والإيضاح ج١ ص : ١٣٩ .
(٤) سورة هود الآية : ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاعل لا في الفعل)) . أما . رأي عبد القاهر الجرجاني قال : ((فتقديمك ضميرك وإيلاؤه حرف النفي يقتضي نفي أن تكون ضربته)) (١) مثل قولك : (ما ضربت أنا زيدا) . وفي قول الشاعر (٢) :

وما أنا أسلمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

نفى كونه فاعلا للسقم والضرم . فلهذا لا يجوز أن يقال : (ما أنا سعيت في حاجتك ولا أحد سواي) ويجوز (ما سعيت أنا في حاجتك ولا أحد غيري) (٣) .

٢ - في تقديم مفعوله : إفرادا وقلبا يؤكد بلا غيره مثل قولك : (زيدا عرفت) ولا يقال : (ما ضربت ولا أحداً من الناس) ، و (لا ما زيدا ضربت ولكن أكرمته) . فتعقب المنفي بإثبات ضده لأن الكلام ليس في الفعل فيرد إلى آخر ، وإنما هو في المفعول يقتضي أن الانكار في طريق الإحالة والمانع وهذا على رأي عبد القاهر (٤) .

٣ - في تقديم المجرور كقوله تعالى : ((وأرسلناك للناس رسولا)) (٥) فقد قدمه ، أما اللام للاستغراق مريدا به قصر قلب ردا لزعم اليهود أن بعثته اختصت بالعرب لكون الكل في مقابلة للبعض فلا يحمل على العهد لئلا تختص بهم ولا على الجنس كيلا يخرج الجنس المتقابلهما .

٤ - في التقديم الواقع بين المعلومات : وذلك للاهتمام دون التخصيص كما إذا قيل لك : (عرفت شركاء لله) . يقف شعرك وتقول : لله شركاء .

وعليه قوله تعالى : ((وجعلوا لله شركاء)) (٦) ويرى الطيبي في

---

(١) ينظر الكشاف ج٢ ص : ٢٨٩ ، ودلائل الاعجاز ص : ٨٤ ، والإيضاح ج١ ص : ١٣٧، ١٣٨ ، والتبيان للطيبي ص : ١١٤ .
(٢) البيت في دلائل الاعجاز ص : ٨٤ والإيضاح ج١ ص : ١٣٧ .
(٣) ينظر دلئل العجاز ص : ٨٥ ، والإيضاح ج١ ص : ١٣٧ .
(٤) ينظر دلائل الاعجاز ص : ٨٢ في تقديم المفعول على الفعل مع الاستفهام .
(٥) سورة النساء الاية : ٧٩ .
(٦) سورة الانعام الاية : ١٠٠ وسورة الرعد الاية : ٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا التقديم أن الانكار وإن كان عائداً إلى النسبة لكن في تقديم أحد المنتسبين فائدة ليست في التأخير لأن الكلام يقع بالأصالة فيه ويكون الاخر تبعاً له ولتدعيم رأية استشهد بما قاله العلامة سيبويه : ((إنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم)) (١) فلهذا لو قدم - الله - كان المقصود بالذات استعظام ذاته تعالى من أن يكون له شركاء من غير نظير إلى حال الشركاء أولا ، وإن كان يلزمه بالعرض انتفاء نسبتها عنه ، ولو قدم - شركاء - لم يكن كذلك .

ومن التقديم الواقع بين المعمولات تأخير المنصوب عن المرفوع تارة كقوله تعالى : ((لقد وعدنا نحن وآباؤنا)) (٢) ومنه تقديم المفعول على التابع في قوله تعالى : ((شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم)) (٣)، ويكون الغير كالتابع كقوله تعالى : ((وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)) (٤) ، أما تأخير المتبوع كقوله تعالى : ((إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)) (٥) . أو يكون كقوله تعالى : ((وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه)) (٦) التقديم للاحتياط فلو أخر من (آل فرعون) لأوهم أنه من صلة يكتم ، فلم يفهم أن الرجل من الال .

ويكون كذلك لرعاية الفواصل كقوله تعالى : ((طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)) (٧) إلى قوله : ((آمنا برب هارون وموسى)) (٨). وقد تعترض جملة بين جملة إهتماما قال تعالى : "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى)) (٩) إلى قوله : ((فلا خوف عليهم)) (١٠)،

---

(١) أنظر التبيان للطيبي ص : ١١٨
(٢) سورة المؤمنون الاية : ٨٣ .
(٣) سورة آل عمران الاية : ١٨ .
(٤) سورة البقرة الاية : ١٢٧ .
(٥) سورة يوسف الاية : ٤ .
(٦) سورة غافر الاية : ١٤٤ .
(٧) (٨) سورة طه الايات : ١ ، ٢ ، ٧٠ .
(٩) (١٠) سورة المائدة الاية : ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالصابئون رافع بالابتداء وخبره محذوف ، والنية التأخير فكأنه قيل : ((إن الذين آمنوا حكمهم كذا والصابئون كذلك)) . لأنهم أشد غيّاً من أولئك .

ويرى الطيبي أنه إذا تحقق القصر في التقديم فبالحري أن نلحق به ما يتم به الغرض فنقول في طريق النفي والاستثناء ، إن الاستثناء مستدع للمستثنى منه والعموم فيه ، والمناسبة بينهما في الجنس والوصف بمعنى كونه : فاعلا أو مفعولا أو ذا حال أو حالا أو غير ذلك . أما في حالة ((إنما)) فتفيد القصر لتضمنه معنى (ما) و (إلا) ولذلك صح انفصال الضمير عنه كقول الفرزدق (١) :

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

لأن (إن) لتأكيد المسند للمسند إليه ، واتصلت بها (ما) المؤكدة تضاعفه تأكيدها وفي قوله تعالى : ((إنما حرم عليكم الميتة)) (٢) جاءت منصوبة لأن معناها : (ما حرم عليكم إلا الميتة) وهي مطابقة لقراءة الرفع أي لتعريف الخبر وهو أن المحرم عليكم الميتة ، والضابط فيه أن قيد الأخير في الكلام ينزل منزلة المستثنى والحصر فيه ، فقدر فيه كقوله تعالى : ((إنما يخشى الله من عباده العلماء)) (٣) . فهو إنما يخشى العلماء من عباده الله لكون الأول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء ، والثاني انحصار خشية العلماء على الله .

والقصر عند الطيبي كما يجري بين الفعل ومتعلقاته يجري بين المبتدأ أو الخبر ، وذكرنا طريقتين ونذكر الآن الباقي :

١ - طريق العطف كأن تقول في قصر الموصوف على الصفة إفرادا أو قلبا

---

(١) البيت في المصباح ص : ٤٨ ، ودلائل الإعجاز ص : ٢١٥ ، والإيضاح ج١ ص : ٢١٦ .
(٢) سورة النحل الآية : ١١٥ .
(٣) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ما زيد شاعر بل منجم) أو (زيد شاعر منجم) ، وعكسه (زيد قائم لا عمرو ، أو لا غير) و (ما عمرو قائم بل زيد) .

٢ - طريق النفي والاستثناء كأن تقول في قصر الموصوف على الصفة إفرادا أو قلبا : (ليس زيد إلا شاعرا) و (ما زيد إلا شاعرا) ، ومنه الإفراد في التنزيل : ((وما محمد إلا رسول)) (١) أما القلب قوله تعالى : ((ما قلت لهم إلا ما أمرتني به)) (٢) .

ويذكر الطيبي مجموعة من الملاحظات شاملة يعطي رأيه فيها فيرى أن التحقيق قصر الموصوف على الصفة حتى قلت : (ليس زيد) توجه النفي إلى صفته لا إلا ذاته لأن أنفس الذوات لا تنفى ، فإذا قلت : (إلا شاعرا) جاء القصر ، ومتى قلت : (ما شاعر) وثبوت الشاعرية مسلم الحكم في نفس الأمر . ولدلالة (ما) على نفي جميع الصفات فتكون (لا) نافية لما هو منفي بها ، وشرط منفي (لا) أن يكون منفي قبلها بغيرها من كلمات النفي .

٣ - طريق - إنما - في قصر الموصوف على الصفة إفرادا وقلبا : (إنما زيد جاء) وعكسه (إنما يجيء زيد) وفي قوله تعالى : ((إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد)) (٣) متضمن كلا النوعين .

ومن هذا الطريق ما يجامع العطف ، وأما من جهة المتكلم فيستعمل في حكم لا يعوزه تحقيقه مثل قوله تعالى : ((إنما يستجيب الذين يسمعون)) (٤) أو ادعاءً كقول الشاعر (٥) :

إنما مصعب شهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهه الظلماء

أو استعطافا كقوله (٦) :

إنما أنت والد والأب القا طع أفنى من واصل الأولاد

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٤٤ .
(٢) سورة المائدة الآية : ١١٧ .
(٣) سورة الأنبياء الآية : ١٠٨ .
(٤) سورة الأنعام الآية : ٣٦ .
(٥) البيت في دلائل الإعجاز ص : ٢١٧ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٢١ .
(٦) المصدر السابق ص : 216 . المصدر السابق ص : ٢٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولطريق (إنما) مزية على طريق العطف وهي أن يعقل منها إثبات الفعل ونفيه عن غيره مرة واحدة وأحسن مواقعها ما إذا رعي فيه التعريض قال تعالى : ((إنما يتذكر أولوا الألباب)) (١) عرض به أن الكفار ليسوا من العقلاء .

٤ - طريق التقديم في قصر الموصوف على الصفة إفرادا أو قلبا كقولك: (تميميٌ أنا) أو (قائم هو) وعكسه (أنا كفيت مهمك) ، وفي التنزيل : ((لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)) (٢) ، وإنما أخّر في قوله : ((ريب فيه)) (٣) لينبه أن هذا الكتاب حق وصدق لا باطل ولا كذب . وكذلك ما ينبغي عليه عليٌ القدر لكون الفعل عظيم الخطر كقوله تعالى : ((الله نزل أحسن الحديث)) (٤) . أي أن مثل هذا الحديث لا يجوز أن يصدر إلا عن الله . قال صاحب الكشاف - رحمه الله - : ((وإيقاع اسم الله مبتدأ أو بناء (نزل) عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبيه على أنه وحي معجز بيان لسائر الأحاديث)) (٥) .

وموضوع القصر إذا ما وازناه بين ما كتبه العلامة القزويني وما كتبه العلامة الطيبي لا نجد هناك إختلافا كبيرا في المادة العلمية وكل ما هو موجود من اختلاف داخل في منهج البحث (٦) .

الفصل والوصل

اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة ، تستأنف واحدة منها

---

(١) سورة الرعد الآية : ١٩ ، سورة الزمر الآية : ٩ .
(٢) سورة الصفات الآية : ٤٧ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٣ .
(٤) سورة الزمر الآية : ٢٣ .
(٥) أنظر الكشاف ج٣ ص : ٣٩٤ .
(٦) أنظر موضوع القصر عند القزويني ، الإيضاح ج١ ص : ٢١٣ وما يليها ، والتبيان للطيبي ص : ١١٣ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد الأخرى : ((من أسرار البلاغة ومما لايتأتى - لتمام الصواب فيه إلا للأعراب الخلص والأقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فناء من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد ، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل فقال : معرفة الفصل من الوصل . ذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة)) (١) هذا ما قاله العلامة عبد القاهر الجرجاني في الوصل والفصل وقسمه إلى قسمين : فائدة العطف في المفرد ، وفائدة العطف في الجملة (٢) وقد اهتم عبد القاهر بتحديد خصوص الجمل التي لا محل لها من الإعراب وخصوص - الواو - من بين سائر حروف العطف ويرى الزمخشري أن الفصل وصل تقديري خفي أقوى من الوصل الظاهر بحروف العطف ، وأن التنبه إلى هذا الوصل الخفي باب دقيق من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه (٣) .

وللسكاكي جهد كبير في هذا الباب حيث صبه في قالبه العلمي وتبعه من جاؤوا بعده قال : ((مركوز في ذهنك لا تجد لرده مقالا ، ولا لارتكاب جحده مجالا أن ليس يمتنع بين مفهومي جملتين اتحاد بحكم التآخي ، وارتباط لأحدهما بالآخر مستحكم الأواخي ولا أن يباين احدهما الآخر مباينة الأجانب لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب ، ولا أن يكونا بين بين لاصرة رحم ما هنالك فيتوسط حالهما بين الأولى والثانية لذلك . ومدار الفصل والوصل)) (٤) .

وقال القزويني فيه : ((الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه)) (٥) وذكر قيمته : "وتمييز أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ ،

---

(١) (٢) دلائل الإعجاز ص : ١٤٦ .
(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٤٣٠ .
(٤) المفتاح ص : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
(٥) الإيضاح ج١ ص : ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يعرفه على وجه ، ولا يحيط علما بكنهه إلا من أوتي فهم كلام العرب طبعا سليما ورزق في إدراك أسراره ذوقا صحيحا ، ولهذا قصر بعض علماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل ، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك ، وإنما حاول التنبيه على مزيد غموضه وأن أحدا لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان" (١) .

واستفاد الطيبي من سلفه في دراسته للفصل والوصل ، فمنهم من شرحه بمنهج أدبي ، ومنهم من عرضه بطريقة منطقية ، ومنهم من مزج بين الطريقتين . والفصل والوصل عند الطيبي : ((هو ترك العطف بين الجمل وذكره)) (٢) .

ورأى أن العطف يعتمد على معرفة أربعة أصول هي :

١ - تقدم متبوع وافٍ بما قصد بالقياس إلى التابع مغاير له قوله . أما تقدم متبوع فاحترازا من : (جاء زيد") . أما وافٍ فاحتراز من المبدل فإنه تواطئة . أما القياس إلى التابع ليدخل فيه مثل : ((جاءني أخوك زيد وعمرو)) . أما مغاير له فاحترازا من الوصف والبيان والتوكيد .

٢ - مشاركتهما في المعنى الذي دل عليه الاعراب .

٣ - أن يكون بينهما جهة جامعة وهي أن تضمها المفكرة بواسطة العقل أو الوهم أو الخيال بحيث إذا تصور أحدهما خطر الثاني بالبال كما بين العلو والسفل ، والأبيض والأسود ، ومن الجامع العقلي اتحادهما في تصور كالمخبر عنه والمخبر به أو قيد من قيودهما وهذا لا يشعر بكون كل أحد منهما كافيا في صحة العطف كما ظن لأن البواقي كذلك .

٤ - اتفاق الطلبية والخبرية .

وفرق الطيبي بين هذه الأصول الأربعة وبين التقديم والتأخير

---

(١) الإيضاح ج١ ص : ٢٤٦ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ١٣٠ والمفتاح ص : ٢٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى لا يقع خلط بينهما ففي قوله تعالى : ((وإياي فارهبون)) (١) فتقديره إياي ارهبوا فارهبون . فهذا من باب التقدم والتأخير . وكذلك قولك : (زيد فاضربه) فيتضمن معنى الشرط كأنه قيل : (وما كان فلا تدعوا رهبته) . وفي قولهم : (أعجبني زيد وكرمه) فالعطف فيه للدلالة على أن لذات زيد أيضا مدخلا في أن يتعجب منه .

وفي قوله تعالى : ((وما أهلكنا من قرية إلا ولها)) (٢) فالواو للحال وصاحبها موصوف . وقد تعرض القزويني لهذه القضية وذكر فيها رأي كل من السكاكي والزمخشري ، فالسكاكي يرى في : ((ولها كتاب معلوم)) (٣) حال للقرية لكونها في حكم الموصوفة نازلة منزلة ، وما أهلكنا قرية من القرى ، لا وصف وجملة على الوصف سهو لا خطأ (٤) . أما عند الزمخشري : ((لها كتاب)) فهي جملة واقعة صفة لـ ((قرية)) والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى : ((وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون)) (٥) والواو توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف (٦) . وقد أيد الطيبي رأي السكاكي وسار عليه .

ويرى الطيبي أن الذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يسلب معنى التغاير ليتجرد في الربط كما هي في الجملة الحالية فيؤكد بها لصوق الصفة بالموصوف . فتُفعَل بالهمزة وأَم كما في قوله تعالى : ((سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)) (٧) . وعبد القاهر لم تفته هذه القضية حيث قال : "واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه ، وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به ، والتأكيد لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد كذلك يكون

---

(١) سورة البقرة الآية : ٤٠ .
(٢) (٣) سورة الحجر الآية : ٤ .
(٤) ينظر المفتاح ص : ٢٥١ .
(٥) سورة الشعراء الآية : ٢٠٨
(٦) ينظر الإيضاح ج١ ص : ٢٧٩ .
(٧) سورة البقرة الآية : ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحال في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها ، وهي كل جملة كانت مؤكدة قبلها التي قبلها ومبينة لها وكانت إذا حصلت لم تكن شيئا سواها . كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتاكيد غير المؤكد ... وليس يثبت الخبر غير الخبر ، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه ، وعاطف يعطفه عليه ومثل ذلك قوله تعالى : ((إن الذين كفروا سواء عليه أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" (١))) (٢) .

وفي الجامع يرى الزمخشري أن حرف العطف يستلزم أن يكون بين الجملتين قدر من الاتفاق يصح الربط بينهما ولكنه لا يكون اتفاقا قويا حتى يصل إلى حد اتحاد الجملتين في المعنى أو نشوء إحداهما عن الأخرى ، ولذلك وقع الفصل بين قصة الذين كفروا والحديث عن الكتاب الذي لا ريب فيه يقول في قوله تعالى : ((إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)) (٣) . فإن قلتَ لم قطعت قصة للكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله : ((إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم)) (٤) وغيره من الآي الكثيرة ؟ قلت: ليس وزان هاتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه ((هدى للمتقين)) وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب" (٥) .

وعند القزويني أن الجامع قطع عما قبله لأنه كلام في شأن الذين كفروا وما قبله كلام في شأن القرآن ، وعلى رأي السكاكي أنه يكفي أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما (٦) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٦ .
(٢) دلائل الإعجاز ص : ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٦ .
(٤) سورة الانفطار الآية : ١٣ ، ١٤ .
(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص : ٤٣٨ .
(٦) الإيضاح ج١ ص : ٢٦٣ ، والمفتاح ص : ٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في النداء كقوله : ((اللهم اغفر لنا أيتها العصابة)) (١) وفي قوله تعالى : ((واتخذ الله ابراهيم خليلا)) (٢) فيحمل على الاستئناف على أنها معترضة . أما إذا توسطت فكقوله تعالى : ((سبعة وثامنهم كلبهم)) (٣) .

أما من عطف الخاص على العام فكقوله تعالى : ((وملائكته ورسله وجبريل)) (٤) .

بعد هذه المقدمة العامة يمهد الطيبي للدخول في مباحث هذا الموضوع المهم : ((واعلم أن تمييز مواقع العطف بين الجمل التي لم يتمهد فيها الأصول عُسرٌ وبلغ في الغموض إلى حيث اقتصرت البلاغة على معرفته فنقول : الجملُ الممهدة فيها الأصول أجمعُ لازمةٌ العطف ، والمفقودة التشريك بين أمرين : العطف للوجود والفصل للقطع أو الاستئناف ، والمفقودة التغاير أو الجامع لازم لها الفصل ، والمفقودة الاتفاق الأصل فيها الفصل)) (٥) .

بهذا يكون الطيبي قد مهد للدخول في دراسة موضوع الفصل والوصل بأربعة مباحث هي :

١ - في الفصل لفقدان التشريك وهو نوعان :

أ - أن يكون الكلام السابق حكما لا تريد أن تشرك فيه فتفصل ويسمى قطعا ، وهما إما إحتياطا وذلك إذا وجد قبله كلام لا مانع من العطف عليه ، ولكن لا يعطف كي لا يظن على ما فيه مانع كقول الشاعر (٦) :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الظلال تهيم

لم يعطف (أراها) على (تظن) مع جوازه كيلا يظن أنه معطوف على

---

(١) القول في الإيضاح ج١ ص : ٢٤٥ ، وفيه : "واغفر لهم" .
(٢) سورة النساء الآية : ١٢٥ .
(٣) سورة الكهف الآية : ٢٢ .
(٤) سورة البقرة الآية : ٩٨ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ١٣٣ .
(٦) البيت في المفتاح ص : ٢٦١ ، والمصباح ص : ٢٨ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أبغي) لقربه منه (١) .

ب - أن يكون الكلام السابق كالمورد للسؤال فيقطع ليكون جوابا له ويسمى استئنافا وفائدته إما التنبيه على مكان السؤال أو الإغناء عنه أو لئلا ينقطع الكلام أو غير ذلك وهو كذلك نوعان :

أ - أن ينطوي الجواب على بيان الموجب وذلك بإعادة صفة من استؤنف عنه الحديث قال الشاعر (٢) :

ولقد غرضته من الدنيا فهل زمني معطٍ حياتي لغر بعدما غرِضا ؟

جربت دهري وأهليه فما تركت لي التجارب في ودّ امرىء غرضا

فإنه حين أبدى الشكاية من الزمان حمّل السامع أن يقول : لماذا تشكو منه ؟ وبماذا استحق هذه الشكاية ؟ قال لأني جربت دهري ومارست حلوه ومره فلم يبقى لي غرض (٣) .

ب - أن يعاد بذكر من استؤنف عنه الحديث فيبعدى عن التعليل كقولك : (أحسنت إلى زيد) أو (زيد حقيق بالإحسان) ، وقوله تعالى : ((أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)) (٤) إذ جعل (الذين يؤمنون) تابعا للمتقين صفة أو اختصاصا كأنه قيل : ما للمتقين الجامعين بين هذه الصفات ؟ فأولئك الموصوفون غير مستبعد أن يفوزوا بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا ولك أن تجعل الموصول الأول تابعا كذا ، والثاني مبتدأ ، وأولئك خبره ، تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا والأول ادخل في البلاغة من الاخرين لما فيه من بيان الموجب للحكمين ، كونه هدىً لهم وكونهم على هدىً أما الثاني فأحسن من الأخير لمكان الاستئناف وعدم فك الموصولين وعكسه لوقوع أولئك الذي هو الموجب خبرا له ولمكان التعريض وإفادة الاستطراد إذا أجرى المتيقن على الحقيقة واستلزام الهدى لهؤلاء بالطريق الأولى إذا حمّل على

---

(١) انظر المفتاح ص : ٢٦١ .
(٢) البيتان في المفتاح ص : ٢٦٤ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٥٦ .
(٣) انظر المفتاح ص : ٢٦٤ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٥٦ والتبيان للطيبي ص : ١٣٤ .
(٤) سورة البقرة الاية : ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز لأن الجملة حينئذ من مستتبعات هو هدىً للمتقين لا للمتقين و لاستيجاب كون الذات موجبا في الثاني (١) .

٢ - فصل في فقدان التغاير وذلك إما لأن في الكلام السابق نوع توهم للتجوز فيؤتى بكلام آخر دفعا كقوله تعالى : ((ذلك الكتاب لا ريب فيه)) (٢) نزّل منزلة التاكيد المعنوي ، لأنه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال حيث جعل المبتدأ إسم إشارة ، وتعريف الخبر باللام حمل عند السامع قبل التامل أن هذا من قبيل التجوز أو الحقيقة فقدره بقوله : ((لا ريب فيه)) (٣) وإن اختلفا .

أو أن ينزل اللفظي في اتحاد المعنى ، فإن معنى الكلام الأول معنى الثاني وذلك أنه تعالى لما وصفه بأنه الكتاب الكامل في معناه وعقبه بالمبالغة في نفي الشك على سبيل الاستغراق أثبت له وصف الهداية لأن من شأن الكتب السماوية الهداية لا غير (٤) . أو يأتي على خفاء فيقصد توضيحه كقوله تعالى : ((وما هم بمؤمنين)) (٥) فقصل يخادعون لأنه موضحا الأول (٦) .

أو هو نوع تقصير فيعاد بنظمٍ أوفى منه كقوله تعالى : ((اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسالكم أجرا وهم مهتدون)) (٧) . وقول الشاعر (٨) :

أقول له : ارحل لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلما

فقد فصل ((لا تقيمن)) لأن المقصود إظهار الكراهة لإقامته بسبب نفاقه (٩) .

---

(١) (٢) ينظر التبيان للطيبي ص : ١٣٥ ، ١٣٦ ، والمفتاح ص : ٢٦٤ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٣ .
(٤) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٣٥ وما يليها ، والمفتاح ص : ٢٦٨ .
(٥) سورة البقرة الآية : ٨ والآية : ٩ .
(٦) أنظر المفتاح ص : ٢٦٧ .
(٧) سورة يس الآيتان : ٢٠ ، ٢١ .
(٨) البيت في المفتاح ص : ٢٩٦ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٥٣ .
(٩) أنظر ما قاله السكاكي في المفتاح ص : ٢٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ - الفصل لفقدان الجامع وذلك بأن لا تضمهما المفكرة لما يضمهما قال الشاعر (١) :

لا والذي هو عالم" أن النوى صبر" وأن أبا الحسين كريم

فقد عابوا أبا تمام على هذا البيت ، إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى لأنه تعاطى الجمع بينهما (٢) .

٤ - فقدان الاتفاق كقول الشاعر (٣) :

وقال رائدهم : ارسو نزاولها فكل حتف امرىء يجري بمقدار

فصل (نزاولها) عن (ارسو) للاختلاف ، وقول الشاعر (٤) :

ملكته حبلي ولكنه ألقاه من زهد على غاربي

وقال أرني في الهوى كاذب أنتقم الله من الكاذب

وردهم السكاكي إلى اختلاف الجملتين معنى لا لفظا ، أما عبد القاهر فردهم على الاستئناف بتقدير قلت (٥) .

وقد يوصل لقوة الجوامع بضرب من التأويل وهو إما لتضمين الخبر معنى الطلب كما قوله تعالى : ((إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون)) (٦) إلى قوله : ((وامتازوا اليوم)) (٧) عطف ((وامتازوا)) على ((أصحاب الجنة)) ، بعد أن ضمنه معنى الطلب ، بيانه قوله : ((ولا تجزون)) (٨) خطاب مجمل يعم أهل المحشر وفيهم الفريقان ، وتفصيله قوله تعالى : ((أصحاب الجنة اليوم)) (٩) ، ((وامتازوا)) (١٠) فهو على ارادة (وامتازوا اليوم أيها المؤمنون) وإنما أثر تأويل الخبر ليتفق المفصل المجمل في الخطاب .

---

(١) البيت في دلائل الإعجاز ص : ١٤٨ ، والمفتاح ص : ٢٧١ ، والمصباح ص : ٣١ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٤٧ .
(٢) أنظر المفتاح ص : ٢٧١ وفيه رأي السكاكي .
(٣) البيت في المفتاح ص : ٢٦٩ ، والمصباح ص : ٣١ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٤٩ .
(٤) البيتان في دلائل الإعجاز ص : ١٥٦ ، والمفتاح ص : ٢٦٩ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٥٠ .
(٥) دلائل الإعجاز ص : ١٥٦ ، والمفتاح ص : ٢٢٩ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٥٠ .
(٦) (٧) سورة يس الآية : ٥٥ .
(٨) (٩) (١٠) سورة يس الآيات : ٥٩ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تضمين الطلب معنى الخبر كقوله تعالى : ((فلما جاءها نودي أن بورك)) (١) إلى قوله ((وألق عصاك)) (٢) عطف ((ألق)) بعد أن ضمنه معنى الخبر بدليل مجيئه في سورة أخرى : ((أن ألق)) (٣) . والظاهر أن الأول أيضا انشاء لأنه دعاء .

وقوله تعالى : ((وبشر الذين آمنوا)) (٤) بعد قوله : ((فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) (٥) فعلى تقدير الزمخشري معطوفا على ((فاتقوا)) وعلى (قل) على رأي السكاكي قبل : ((يا أيها اعبدوا)) (٦) لكون إرادة القول في كلام الله العزيز غير عزيز ، وقد سار الطيبي على رأي السكاكي .

وفي محسنات الوصل مناسبة الجملتين في الإسمية والفعلية إلا إذا روعي التجدد في أحديهما والثبات في الأخرى كقوله تعالى : ((سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون)) (٧) .

أما قوله تعالى : ((فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي)) (٨) فلا يعطف إسم الفاعل على الفعل لإرادة استمرار التجدد في الأولى والثبات في الثانية لورود الفعلية بيانا وهذا رأي السكاكي (٩) .

الايجاز والاطناب

عرّف الطيبي الايجاز والاطناب بأنهما من الأمور النسبية والمعيار كلام الأوساط ، وهو ما يؤدّي به المعنى المقصود بالمطابقة ، وما نقص منه إن لم يخل بالمقصود فهو الايجاز ، وإلا

---

(١) (٢) سورة النمل الاية : ٨ والاية : ١٠ .
(٣) سورة الأعراف الاية : ١١٨ .
(٤) (٥) (٦) سورة البقرة الايات : ٢٥ - ٢٣ - ٢١ .
(٧) سورة الأعراف الاية : ١٩٣ ، وسورة القصص الاية : ٣١ .
(٨) سورة الأنعام الاية : ٩٥ .
(٩) ينظر الكشاف ج١ ص : ٢٥٤ ، والمفتاح ص : ٢٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالتقصير وما زاد عليه إن عني به المبالغة فهو الاطناب وإلا فالتطويل والتمييز بين المذكور يحتاج إلى دقة نظر (١) ، ورأى الطيبي أنه لا بد من إيجاز بلا إخلال واطناب بلا إملال . لأن الايجاز لم يكن محمودا في كل المواطن (٢) .

وقد عارض القزويني هذا التعريف ورأى أن فيه نظراً لأن كون الشيء نسبيا لا يقتضي أن لا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق ، والبناء على شيء عرفي ، ثم البناء على متعارف الأوساط ، والبسط الذي يكون المقصود جديرا به ردّ إلى جهالة فكيف يصلح هذا التعريف؟ ورأي القزويني أنه من الأقرب أن يقال :((المقبول من طرق التعبير عن المعنى : هو تادية أصل المراد بلفظ مساوٍ له ، أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه بفائدة))(٣) . ومثلما عارض القزويني السكاكي في هذا التعريف ، عارض بالمثل الطيبي القزويني في موضوع المساواة وذلك في قوله تعالى : ((ولا يحيق المكر السيء إلا باهله)) (٤) . إذ رأى الطيبي أن هذا ليس من المساواة لأن فيه إطنابا من وجه وقد حوى جميع أنواع الايجاز من وجه .

وقيل مثال التقصير كقول عروة (٥) :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أغدرا

أما التطويل كقول المتنبي (٦) :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فلفظ الندى من الاكثار لأن المفهوم أن لا فضل للشجاعة والندى لولا

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ١٤٥ ، والمفتاح ص : ٢٧٦ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٨٠ .
(٢) كتاب أثر النحاة في البحث البلاغي ، عبد القادر حسين دار نهضة مصر . ص : ١٥ .
(٣) ينظر الإيضاح ج١ ص : ٢٨٠ ، ٢٨١ .
(٤) سورة فاطر الآية : ٤٣ .
(٥) عروة بن الورد ترجمته في الشعر والشعراء ج٢ ص : ٥٦٦ ، البيت له في الإيضاح ج١ ص : ٢٨١ .
(٦) البيت للمتنبي في الإيضاح ج١ ص : ٢٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموت ، وإنما يستقيم هذا في الشجاعة دون البذل لأن المقدام إذا عاين الموت ثم خاض فيه حمد ، والباذل إذا أيقن من عدم الموت لم يحمد على البذل ، وقد عدّ هذا القزويني من الحشو المفسد للمعنى (١) .

والايجاز عند الطيبي نوعان : إيجاز حذف ، وإيجاز غير حذف :

١ - إيجاز الحذف هو حذف جملة أم لا ، والقسم الأول : إما جملة مستقلة أم لا، والضرب الأول من القسم الأول مثل قوله تعالى : ((تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم)) (٢) إلى قوله : ((وفيه يعصرون وقال الملك)) (٣) وقد حذف في هذا المجاز جمل مفيدة والحذف واضح من سياق الكلام ، وهو جملة مفيدة ، وهو جملة الحوار بين سيدنا يوسف عليه السلام وبين فرعون مصر (٤) .

أما الايجاز بحذف أكثر من جملة كقوله تعالى : ((اذهب بكتابي هذا فألقِه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يا أيها الملأ)) (٥) . وفيه إيجازان أحدهما ((ثم تول عنهم)) (٦) أي تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ؟ وثانيهما أخذ الكتاب وذهب به فلما ألقاه إليها فتناولته ثم قرأته وقالت : ((يا أيها الملأ)) (٧) وهذا من باب الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات (٨) .

أما الضرب الثاني فكقوله تعالى : ((ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله)) (٩) . فقد قدره صاحب الكشاف وزأى أن أصل قوله تعالى : ((ولقد آتينا داود وسليمان علما فعملا به وعلماه

---

(١) ينظر الإيضاح ج١ ص : ٢٨٢ والتبيان للطيبي ص : ١٤٧ .
(٢) (٣) سورة يوسف الآيات : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ .
(٤) دراسات في البلاغة عند ابن الأثير ص : ١١٧ .
(٥) (٦) (٧) سورة النمل الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .
(٨) ينظر التبيان ص : ١٤٨ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٩٨ ، ودراسات في البلاغة عند ابن الأثير ص : ١١٥ .
(٩) سورة النمل الآية : ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرفا حق النعمة وقالا الحمد لله)) . أما السكاكي قال : ((ويحتمل عندي أنه أخبر تعالى عما صنع بهما وأخبر عما قالا كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم وهما فعلا الحمد تفويضا إستفادة ترتيب الحمد على إيتاء العلم فهم السامع ، أما مثل هذا عند القزويني فرتبه في إيجاز حذف أكثر من جملة (١) .

ومنه ما حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول المفيد للاختصاص كقوله تعالى : ((إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون)) (٢) فاصله إن لم تخلصوا لي في العبادة في أرض فاخلصوا في غيرها .

وقوله تعالى : ((أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)) (٣) وجوابه : ((فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)) (٤) .

فكل واحد من هذه الجمل المدخول عليها الفاء لا يصلح جوابا بشهادة معنى الانكار . وقوله تعالى : ((فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت)) (٥) . أي اضرب فانفجرت . وقد حذف ليشير إلى أن الموحى إليه يتوقف عن امتثال الأمر فسميت هذه الفاء فصيحة لافصاحها عن محذوف غير شرط هو سبب لما بعده أو لأنها لا تكاد توجد إلا في الكلام فيصبح شرطاً كان . وعده القزويني إيجاز حذف جملة مضمونها سبب بعد ذكر مسببه (٦) .

أما القسم الثاني من النوع الأول ففيه حذف المضاف والمضاف المكرر ، والمضاف إليه وحذف الموصوف والصفة وحذف الجار والمجرور وحذف صلة الموصول والمتعلق ففي حذف المضاف كقوله تعالى : ((لمن

---

(١) ينظر الكشاف ج٣ ص ك ١٣٩ ، والمفتاح ص : ٢٧٨ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٩٨ ، والتبيان للطيبي ص : ١٤٩ .
(٢) سورة العنكبوت الاية : ٥٦ .
(٣) (٤) سورة فاطر الاية : ٨ .
(٥) سورة البقرة الاية : ٦٠ .
(٦) ينظر الإيضاح ج١ ص : ٢٩٧ والتبيان للطيبي ص : ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يرجو الله))(١) . أي رحمة الله . أما حذف المضاف المكرر كقوله تعالى : ((فقبضت قبضة من اثر الرسول)) (٢) . أي من أثر تواب حافر فرس الرسول .

وحذف المضاف إليه كقوله تعالى : ((لله الأمر من قبل ومن بعد)) (٣) . وحذف الموصوف كقوله تعالى : ((وآتينا ثمود الناقة مبصرة)) (٤) . أي آية مبصرة . وحذف الصفة كقوله تعالى : ((كل سفينة غصباً)) (٥) أي سفينة صحيحة .

وحذف الجار والمجرور كقوله تعالى : ((خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا)) (٦) . أي خلطوا عملا صالحا بسيء وآخر سيئا بصالح. وحذف صلة الموصول كقولهم : "جاء بعد اللّتيّا والتي" ، أي الخطة بلغت مبلغا يبهت الواصف عن كنهها . أما حذف المتعلق كقوله تعالى : ((أي الفريقين خير مقاما)) (٧) أيّ أيّ الفريقين أبلغ في خير مقامه من الاخر في شره ، أقيم المتعلق مقام متعلقه على حد قولهم : (العسل أحلى من الخل) . أي شدة حلاوة العسل أبلغ من شدة حموضة الخل (٨)

٢ - إيجاز غير الحذف وهو النوع الثاني قسمه الطيبي إلى ضروب منها : إيجاز قصر ، وإجاز تقدير ، وإيجاز جامع (٩) .

أما إيجاز القصر هو أن يقصر اللفظ على المعنى كقوله تعالى : ((إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين)) (١٠) . فجمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .
(٢) سورة طه الآية : ٩٦ .
(٣) سورة الروم الآية : ٤ .
(٤) سورة الإسراء الآية : ٥٩ .
(٥) سورة الكهف الآية : ٧٩ .
(٦) سورة التوبة الآية : ١٠٢ .
(٧) سورة مريم الآية : ٧٣ .
(٨) انظر التبيان ص : ١٥٢ والإيضاح ج١ ص : ٢٩٣ .
(٩) انظر كتاب المعاني / عبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية ط ١٩٧٢ ص : ١٩٣ .
(١٠)سورة النمل الآيتان : ٣٠ - ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه ما كتب المأمون لمن يعنى بحاله إلى بعض عماله : ((هذا كتاب واثقٍ بمن كتب إليه ولن يُضيع بين الثقة والعناية)) (١) .

أما إيجاز التقدير وهو أن يقدر معنى زائد عن المنطوق . قال تعالى : ((فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف)) (٢) ، أي خطايا قد غفرت فهي له لا عليه . أما إيجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة كقوله تعالى : ((خذِ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)) (٣) وهي آية خاطب بها عز وجل رسوله .

وقوله تعالى : ((في القصاص حياة)) (٤) فهي موجزة بالرغم مما فيها من المطلوب للحياة التشريعية ، وهي أوجز من كلام العرب : ((القتل أنفى للقتل)) (٥) .

وازن الطيبي بين الآية والقول ليبين فضل كلام رب العزة على قول عباده بالبرهان وموازنة الطيبي لهذه الآية مع القول لم يكن سباقا فيها ، وإنما دراسة جديدة لأن للقزويني وابن الأثير رأيهما كذلك في هذه الموازنة وقد سبقا الطيبي إليها .
ولأهمية هذه الدراسة نوردها كمثال حي .

فضل الطيبي الآية الكريمة على القول نظرا إلى :

١ - أنها أخصر لفظا وأقل حروفا .
٢ - جعل التفويت والقتل ظرفا للحياة .
٣ - دلالة التنكير والتكثير على ما ذكر .
٤ - ليس فيها تكرير اللفظ .
٥ - سلامة ألفاظها عما يوحش السامع .

---

(١) القول في الإيضاح ج١ ص : ٢٩٠ وفيه : ما كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون ، وفيه : والعناية حامله .
(٢) سورة البقرة الآية : ٢٧٥ .
(٣) سورة الأعراف الآية : ١٩٩ .
(٤) سورة البقرة الآية : ١٧٩ .
(٥) القول في نهاية الإيجاز ص : ٣٤٧ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ - تخصيصها بالحياة المرغوب فيها .

٧ - بعدها عن تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة .

٨ - تخصيصها بتكرير الصاد المستجلب باستعلائها واطباقها مع الصفير الفصاحة .

٩ - هي رادعة للقتل والجرح والضرب .

١٠- تقديم خبرها .

١١- مُطابقة الطباق المعنوية بين القصاص والحياة .

١٢- إن القتل ظلما قتل قتل مع أنه جالب للقتل لا رادع له والتخصيص يخرجه عن هذا النوع إلى التقصير (١) .

أما موازنة القزويني فاستنتج منها ما يلي :

١ - أن عدة حروف ما يناظره منه وهو ((في القصاص حياة)) (٢) . عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر .

٢ - ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر لها عن القتل بغير حق . لكونه أدعى إلى الاقتصاص .

٣ - ما يفيد تنكيره ((حياة)) من التعظيم أو النوعية .

٤ - الموادة بخلاف قولهم : فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

٥ - سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم .

٦ - استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فإن تقديره القتل أنفى للقتل من تركه .

٧ - أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق .

٨ - جعل القصاص المنبع والمعدن للحياة بإدخال ((في)) عليه (٣) .

أما موازنة ابن الأثير فنظر إليه من أن :

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ١٥٦ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٧٩ .
(٣) ينظر الإيضاح ج١ ص : ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ - الاية لفظتان والمثل العربي ثلاثة .

٢ - في المثل تكرير ليس في الاية .

٣ - ليس كل قتل نافيا للقتل إلا إذا كان على حكم القصاص (١) .

إن هذه الموازنات والاراء هي ثمرة مجهود بين علماء البلاغة فالدارس يلاحظ مدى اجتهاد هؤلاء العلماء بالاضافات التي يضيفونها خدمة للبلاغة وحتى تلك الخلافات في المواضيع هي أصلا خدمة للبلاغة فالبيان في الإيجاز عند قوم ومنهم الطيبي ، والايجاز والمساواة عند قوم آخرين مثل القزويني ، وفريق ثالث في الاطالة كل حسب فهمه للموضوع ورغبته وحاجاته واهتماماته (٢) .

الاطنـــاب

تعرض الطيبي لدراسة الاطناب لكنه اختلف في دراسته بمنهجه ، فقد قسمه بعض العلماء أمثال ابن الأثير والخطيب القزويني بمنهج يختلف عن منهج الطيبي . فقد رأى أن الاطناب يأتي تارة بغير الجمل، وتارة يأتي بها ، فمثال الأول قول الخضر لموسى - عليهما السلام - في الكرة الثانية : ((ألم أقل لك)) (٣) . مطنبا بزيادة - لك - وقوله تعالى : ((رب اشرح لي صدري)) (٤) مطنبا بزيادة - لي - تاكيد لانشراح الصدر .

وأدخل الطيبي في هذا الضرب الأول جميع حروف الصلات لأنها من قبيل الاطناب لا التطويل . وقوله تعالى : ((لا أقسم بيوم القيامة)) (٥) ففيه اطناب وهذا رأي السكاكي : ((وقول البلغاء في

---

(١) المثل السائر ج٢ ص : ٣٥٢ ودراسات في البلاغة عند ابن الأثير ص : ١٢٥ .
(٢) مقدمة في دراسة البيان العربي / محمد بركات أبو علي دار الفكر ١٩٨٦ ص : ١٧٤ .
(٣) سورة الكهف الاية : ٧٥ ، وانظر المفتاح ص : ٢٨٣ .
(٤) سورة طه الاية : ٢٥ ، وانظر المفتاح ص : ٢٨٣ .
(٥) سورة البقرة الاية : ١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجواب مثل لا ، وأصلحك الله ، بزيادة الواو ، خلافا لما عليه كلام الأوساط . من الاطناب في موقع)) (١) .

أما الضرب الثاني من الاطناب فهو الذي يأتي في الجمل كقوله تعالى : ((إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)) (٢) أطنب فيه أبلغ الاطناب - على رأي الطيبي .

وقوله تعالى : ((الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به)) (٣) فحملة العرش ليسوا ممن لا يؤمنون لكن ذكر الإيمان لشرفه والترغيب فيه .

ومن أمثلة الاطناب بالجمل قوله تعالى : ((ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا)) (٤) .

ويستشهد الطيبي برأي الزمخشري في هذه الآية قال : قال صاحب الكشاف : ((وكان حق الكلام أن يقال ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلا إلى الأرض فحططناه فوضع قوله : ((ومثله كمثل الكلب)) (٥) موضع فحططناه أبلغ حطا لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك)) (٦) .

وذكر الطيبي الايجاز والاطناب بتقليل الحروف وتكثيرها (٧)

---

(١) أنظر المفتاح ص : ٢٨٣ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٦٤ .
(٣) سورة غافر الآية : ٧ .
(٤) (٥) سورة الأعراف الآية : ١٧٦ .
(٦) أنظر الكشاف ج٢ ص : ١٣١ ، والتبيان للطيبي ص : ١٦١ .
(٧) أنظر الإيضاح ج١ ص : ٣١٩ ، والتبيان للطيبي ص : ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كقول ابي تمام (١) :

يصد عن الدنيا إذا عنّ سؤدد ولو برزت في زي عذراء ناهد

وهذا البيت من الاطناب الكثير الحروف ، أما ما قلت حروفه فكما ورد في الحديث : ((الحزم سوء الظن)) (٢) وقولهم : ((الثقة بكل أحد عجز)) (٣) . أما قوله تعالى : ((رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا)) (٤) فقد خصص لها الطيبي دراسة مستفيضة على غرار ما فعل السكاكي ونظرا لأهمية هذه الدراسة ندونها كما جاءت ونوازنها بدراسة السكاكي ونزيد عليها آراء القزويني والعلامة الزمخشري ولو باختصار .

قال الطيبي : ((فإذا نظر أن مقام مباثة الشكوى لإلمام المشيب وانقراض الشباب يستدعي الاطناب قلت : أصل الكلام - شخته - وفيه خواص لآية التجدد مع التحقق لكونها فعلية وماضيا ، وإن القصد به إلى مجرد الاخبار لعدائه من المؤكدات ، ثم في الدرجة الثانية ضعف بدني وشاب رأسي وهي أعلى لانقلابها إلى جملتين وصلتا للجامع العقلي لأنهما مسببان عن الشيخوخة والخيالي نظرا إلى البدن والرأس ولمكان الكناية في كل منهما على سبيل الرمز ، وفيهما على الإيماء، ثم الاضافة في بدني للاستغناء عن تفاصيل الأعضاء في رأسي لتعينها ولا طريق سواها .

ثم في الثالثة : وهنت عظام بدني ، واشتعل شيب رأسي ، وهي أبلغ لأن الكناية الأولى انقلبت تلويحية لتدرجها إلى لازم آخر ، والثانية الرمزية إلى الاستعارة المصرحة التبعية أو المكنية على رأي الشيخ أو التمثيلية على رأي جار الله (٥) .

---

(١) البيت في الإيضاح ج١ ص : ٣١٩ .
(٢) (٣) الحديث والقول في الإيضاح ج١ ص : ٣٣١ .
(٤) سورة مريم الآية : ٤ .
(٥) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٦٣ ، والكشاف ج٢ ص : ٥٠٢ ، والمفتاح ص : ٢٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم في الرابعة : وهنت العظام من بدني ، واشتعل الشيب من رأسي وهي أوغل الابهام والتبيين والتعريف يحتمل الجنس والعهد ، ويحتمل أن تكون ابتدائية أو تجريدية .

ثم في الخامسة : وهنت العظام مني واشتعل رأسي شيبا وهي أفخم ، لأن التجريد في الأولى انقلب من البدن إلى نفسه . وزيد الابهام في الثانية وزانه حينئذ وزان قوله : واشتعل بيته نارا ، ثم النكرة إما للنوع أو التفخيم .

ثم في السادسة : ((وهن العظم مني واشتعل شيبا)) (١) وهي أشمل لتوهين كل فرد العظام ، وكما اشتعال تلك الحقيقة منه .

ثم في السابعة : أنا وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا وهي أقوى للتركيب السببي ولانقلاب التجدد إلى نوع ثبوت .

ثم في الثامنة : إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا وهي أدخل لدخول (أن) الطلبية أو الانكارية .

ثم في التاسعة : يا ربي أني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا وهي أوفق لدلالة "يا" على الاستقصار وربي على الاستعطاف .

وإذا نظر أن ضيق المقام يستدعي الايجاز قُدِّر الأصل يا رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا وكيت كيت . ثم رُوِّي بحسب المقام وهلم جرا إلى أن يتصل إلى قوله : شيخته . ثم إنك إن تصفحت فني المعاني والبيان وتصفحت أكثر البديع وجدتها من الايجاز والاطناب بموضع ، وبمنزل فصيح ما حد)) (٢) .

أما ما كتبه السكاكي في هذا الموضوع فقد لخصه القزويني في

---

(١) سورة مريم الآية : ٤ .
(٢) ينظر هذه الدراسة في التبيان للطيبي ص : ١٦٣ ، ١٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتابه الإيضاح ، واعتبر القزويني الآية الكريمة : ((رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا)) (١) إيجاز حذف جزء من أجزاء الجملة ، على غير ما ذكره من أمثلة الايجاز بالحذف وكأنه يقصد أن هذا نوع خاص من الايجاز (٢) . ورأى أن أصل الآية : يا رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس مني شيبا .

وتعرض القزويني لرأي السكاكي قال : ((وعده السكاكي من القسم الثاني من الايجاز على ما فسره ذاهبا إلى أنه وان اشتمل على بسط فإن انقراض الشباب وإلمام المشيب جديران بأبسط منه ، ثم ذكر أن فيه لطائف يتوقف بيانها عن النظر في أصل المعنى ومرتبته الأولى :

ثم أفاد أن مرتبته الأولى : يا ربي قد شخت فإن الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ثم تركت هذه المرتبة لتوخي مزيد التقرير إلى تفصيلها في ضَعُفَ بدني وشاب رأسي . ثم ترك التصريح بـ : (ضعف بدني) إلى الكناية وهنت عظام بدني . لما سيأتي أن الكناية أبلغ من التصريح ثم لقصد مرتبة رابعة في أبلغ في التقرير بُنيت الكناية على المبدأ فحصل : أنا وهنت عظام بدني .

ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ . أدخلت (إن) على المبتدأ فحصل : إني وهنت عظام بدني . ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه ، قصد مرتبة سادسة وسلوك طريقي الاجمال والتفصيل فحصل : إني وهنت العظام من بدني . ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصد مرتبة سابعة وهي ترك توسيط البدن فحصل : إني وهنت العظام مني .

ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا . قصدت مرتبة ثامنة وهي ترك الجمع إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد فرد فحصل ما ترى ، وهكذا تركت الحقيقة في (شاب رأسي) إلى

---

(١) سورة مريم الآية : ٤ .
(٢) الإيضاح ج١ ص : ٢٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستعارة في اشتعل شيب رأسي لما سياتي أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة . ثم تركت هذه المرتبة إلى تحويل الاسناد إلى الرأس وتفسيره شيبا لأنها أبلغ من جهات : إحداهما إسناد الاشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس . إذ وازن : ((اشتعل شيب رأسي)) و ((اشتعل رأسي شيبا))،وزان ((اشتعل النار في بيتي)) و ((اشتعل بيتي نارا)) والفرق نير .

وثانيهما : الاجمال والتفصيل في طريق التمييز .

وثالثهما : تنكير ((شيبا)) لإفادة المبالغة . ثم ترك ((اشتعل رأسي شيبا)) لتوخي مزيد التقرير إلى ((اشتعل الرأس مني شيبا)) على نحو: ((وهن العظم مني)) (١) ثم ترك لفظ (مني) لقرينة عطف ((اشتعل الرأس)) على ((وهن العظم مني)) لمزيد التقرير وهي إيهام حوالة تأدية مفهومه على العقل دون اللفظ ثم قال عقب هذا الكلام : ((واعلم أن الذي فتق أكمام هذه الجهات عن أزاهير القبول في القلوب هو أن مقدمة هاتين الجملتين وهي : ((ربّ)) اختصرت ذلك الاختصار بان حذفت كلمة النداء وهي (يا) وحذفت كلمة المضاف إليه ، وهي ياء المتكلم واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى والمقدمة للكلام - كما لا يخفى على من له قدم صدق في نهج البلاغة - نازلة منزلة الاساس للبناء ، فكما أن البناء الحاذق لا يرمي من الاساس إلا بقدر ما يقدر من البناء عليه كذا البليغ يضع بمبدأ كلامه فمتى رأيته قد اختصر المبدأ فقد آذنك باختصار ما يورد)) (٢) .

وقد ذكر القزويني كذلك راي الزمخشري وقال : ((قال : إنما ذكر ((العظم)) لأنه عمود البدن ، وبه قوامه وهو أصل بناءه ، وإذا وهن العظم : تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان

---

(١) سورة مريم الاية : ٤ .
(٢) ينظر المفتاح ص : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما وراءه أوهن ووحّده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده : إلى هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركّب منه الجسد ، قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصد إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملته حتى لا يبقى من السواد شيء أو لا يبقى منه إلا مما لا يعتد به)) (١) .

ولا يفوتنا أن نذكر أن العلامة ابن الأثير له يد طولى في هذا الموضوع . وقد خالف الطيبي والقزويني في دراسة الايجاز والاطناب ، لأن الطيبي لم يتعرض لدراسة المساواة ، كما أنه أدخل بعض المواضيع مثل التوشيع والتكرير والايغال والتذييل في علم البديع بينما اعتبرها القزويني من علم المعاني ودرسهم في موضوع الاطناب وهو بهذا يكون قد ساير السكاكي في منهجه لدراسة هذا الموضوع (٢) .

الطلب

أنهى الطيبي مواضيع علم المعاني بموضوع الطلب واختلف مع العلامة القزويني في ترتيبه ، فالقزويني عالج موضوع الانشاء هذا ، بعد ما كان تعرض لدراسة المسند إليه والمسند ، وأحوال متعلقات الفعل ثم القصر ...الخ . بينما ترك الطيبي هذا الموضوع آخر ما دُرس من مواضيع علم المعاني وهذا نفس المنهج الذي سلكه السكاكي (٣) ولم يخرج الطيبي عن تعريف السكاكي للطلب فقد عرفه : ((فهو أيضا مستغن عن التحديد لتقابله الخبر ولا بد للطالب من تقدم تصور المطلوب إجمالا كشيء ما أو تفصيلا كإنسان . ومن أن لا يكون

---

(١) أنظر الكشاف ج٢ ص : ٥٠٢ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٩٦ .
(٢) أنظر موضوع الايجاز والاطناب عند الطيبي في التبيان ص : ١٤٥ وما يليها ، والمفتاح ص : ٢٧٦ وما يليها . وانظر كتاب البديع في البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ / عبد - آ - علي مهنا دار الكتب العلمية ط١ ١٤٠٧ هـ وفيه الاسهاب والاطناب ص : ٢٦١ .
(٣) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٦٤ ، والمفتاح ص : ٣٠٢ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلوب حاصلا عند الطلب وهو نوعان . نوع لا يستدعي إمكان حصول المطلوب كالتمني وآخر يستدعيه ، وهو ليحصل في الخارج مطابق له وهو إما للاستعلاء كالأمر والنهي أو أعم كالنداء)) (١) .

والطلب عند الطيبي أبحاث :

١ - التمني : وهذا النوع لا يستدعي امكان حصول المطلوب ، وأداته هي (ليت) كقولك : (ليت الشباب يعود) . وقوله تعالى : ((يا ليتني كنت ترابا)) (٢) . وقد يتمنى بـ (هل) كقوله تعالى : ((فهل لنا من شفعاء)) (٣) .

وقد يتمنى بـ (لو) في مثل قولك : ((لو تأتيني فتحدثني)) بالنصب (٤) .

ومن التمني كذلك حروف التنديم والتخصيص مثل : (هلا أكرمت زيدا) أي ليتك أكرمته وعلى مثلها (لولا) ، (لوما) ، (ألا) لأنها ماخوذة من (هلا) ومركبة قال السكاكي: ((وكان الحروف المسماة بحروف التنديم والتخصيص وهي : هلا ، وألاّ ، ولولا ، ولما . ماخوذة منها ومركبة مع لا وما المزيدتين" (٥) .

وقد خالف الطيبي هذه القاعدة بأن جعل ((ألا)) ماخوذة من ((هلا)) مثل ما أخذت منها ((لولا)) و ((لوما)) . أما ((لعلّ)) مثل : (لعلّي أحج فازورك) بالنصب لبعد المرجو عن الحصول فمبالغة عند الطيبي وقد نقلها الطيبي حرفيا من كتاب الإيضاح للقزويني (٦)

---

(١) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٦٤ ، والمفتاح ص : ٣٠٢ .
(٢) سورة النبأ الآية : ٤٠ .
(٣) سورة الأعراف الآية : ٥٣ .
(٤) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٦٥ ، والمفتاح ص : ٣٠٧ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٢٧ .
(٥) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٦٥ ، والمفتاح ص : ٣٠٧ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٢٨ ، وانظر كتاب خزانة الأدب للبغدادي (١٠٣٠ هـ) . عبد السلام محمد هارون . دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ ج٢ ص : ١٥ .
(٦) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٦٥ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والموضوع متقارب جدا في الدراسة بين كل من السكاكي والقزويني والطيبي (١) .

أما ما يستدعيه فكا لاستفهام ومن أدواته الهمزة ، وهي تعم التصور مثل قولك : ((أدبس في الإناء أم عسل)) ؟. فهذه لطلب المسند إليه ، أو في المسند فكقولك : (أفي الخابية عسلك أم في الزق) ؟ . وهي تعم كذلك التصديق مثل قولك : (أحصل الانطلاق) ؟ و (أزيد منطلق) ؟ .

والمتتبع لهذا الموضوع عند الطيبي يستنتج أنه خلاصة أفكار لمجموعة من علماء البلاغة فأثر عبد القاهر واضح وكذلك أثر السكاكي وابن مالك والقزويني ، فقد لخص الطيبي زبدة آرائهم في موضوع واحد (٢) .

وقد تأتي الهمزة في الاستفهام على وجوه منها : همزة الانكار الاسم ، فيقدم على الفعل حتى يكون الشك في الفاعل دون الفعل مثل قوله تعالى : ((قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم)) (٣) . وقال هو عليه السلام : ((بل فعله كبيرهم)) (٤) لأنهم لا يسألون عن الفعل لأن الفعل قد وقع وكسرت أصنامهم لكنهم يبحثون عن الفاعل(٥).

وقد تأتي هذه الألفاظ في غير معان للاستفهام على نحو :

- التهديد والوعيد والانكار كقوله تعالى : ((ألم نهلك الأولين)) (٦) .

---

(١) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٦٥ ، والمفتاح ص : ٣٠٣ ، والمصباح ص : ٤٢ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
(٢) ينظر دلائل الإعجاز ص : ٧٦ وما يليها والمفتاح ص : ٣٠٣ ، والمصباح ص : ٤٢ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٢٨ والتبيان للطيبي ص : ١٦٥ .
(٣) سورة الأنبياء الاية : ٦٢ .
(٤) سورة الأنبياء الاية : ٦٣ .
(٥) دلائل الإعجاز ص : ٧٧ والتبيان للطيبي ص : ١٦٦ .
(٦) سورة المرسلات الاية : ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- التعجب والتعجيب كقولك : (ألا أعرفك) ، (أما ذهبت) .
- الاستبطاء كقوله : ((ألم يأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم)) (١)
- التقرير مثل قولك لمن جاءك : أجئتني ؟ .
- والتوبيخ لمن يؤذي الأب كقولك : (أتفعل هذا ؟)
- انكار فعل مختص بصورة أخرى مثل قوله : ((قل آلذكرين حرم أم الأنثيين)) (٢) .

والتوبيخ أعصيت ربك ؟. أو التكذيب مثل قوله : ((أفاصفاكم ربكم بالبنين)) (٣) أوالردع مثل قولك : (أتذهب في غير الطريق) . وقد يكون الانكار كالتقرير ويشرط أن يلي المنكر الهمزة كقوله تعالى : ((قل أغير الله اتخذ وليّا)) (٤) .

وكذلك فقد تختص ((هل)) بالتصديق مثل قولك : (هل زيد منطلق)) . ولهذا امتنع ((هل عندك عمرو أم بشر)) على الاتصال دون الانقطاع لحصول النسبة .

وقبح في مثل قولك : (هل رجلٌ عرف ؟) مما سبق أن التقديم ستدعي حصول التصديق بنفس الفعل والشك فيما قدم عليه . وهذا الرأي هو الرأي نفسه عند السكاكي والقزويني (٥) . وقد علل القزويني تعليل بعضهم لهذا القبح بأن أصل (هل) أن تكون بمعنى (قد) إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام (٦) .

و(هل) تختص المضارع بالاستقبال كقولك : (هل تضرب زيدا ؟) وتخصيصها المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمنيا

---

(١) سورة الحديد الآية : ١٦ .
(٢) سورة الأنعام الآية : ١٤٤ .
(٣) سورة الإسراء الآية : ٤٠ .
(٤) سورة الانعام الآية : ١٤ .
(٥) أنظر الإيضاح ج١ ص : ٢٢٩ ، والتبيان للطيبي ص : ١٦٨ والمفتاح ص : ٣٠٩ .
(٦) الإيضاح ج١ ص : ٢٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أظهر كالفعل (١) . وقوله تعالى : ((فهل أنتم شاكرون)) (٢) أوكد في الثبوت من قوله : (فهل تشكرون) لصريح الفعل فيهما .

وقد يتولد منه :

أ - التوبيخ كقولك لمن يهجو أباه : (فهل تهجو إلا نفسك ؟) .

ب - الاستبطاء كقولك للغلام : (هل أنت منطلق ؟) أي الناس انطلقوا فما وقوفك ؟ .

ج - الحث والانبعاث .

د - الاستقصار والتغيير كقوله تعالى : ((فهل أنتم منتهون)) (٣) .

هـ - الاستعلاء واظهار الحيرة قال (٤) :

بدا قراع فؤادي حسن منظره فقلت : هل ملكٌ ذا الشخص أم ملكُ ؟

و - التمني .

وأما (ما) التي هي من أدوات الاستفهام فهي والبواقي يسأل بها عن الجنس والتصور ويقصد بالجنس أي أجناس الأنواع التي عندك مثل : الكتاب ، الفرس ، القلم ...الخ (٥) . ومثلها سؤال فرعون لموسى - عليه السلام - : ((وما رب العالمين)) (٦) ، فقد سأل عن جنس الإله ، ورد موسى - عليه السلام - : ((رب السموات)) (٧) .

وقد تجيء (ما) للاستعظام كقولها : (زوجي أبو زرع وما أدراك ما أبو زرع ؟) (٨) أو للتعجب كقولهم : ((ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق)) (٩) . أو تستعمل في ذوي العلم وأريد بها

---

(١) التبيان للطيبي ص : ١٦٨ ، والمفتاح ص : ٣٠٩ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٢٩ .
(٢) سورة الأنبياء الآية : ٨٠ .
(٣) سورة المائدة الآية : ٩١ .
(٤) البيت في المصباح بلا عزو ص : ٤٤ وفيه : حسن صورته .
(٥) انظر التبيان للطيبي ص : ١٦٩ ، والمفتاح ص : ٣١٠ ، والإيضاح ج١ ص : ٢٣٠ .
(٦،٧) سورة الشعراء الآية : ٢٣ ، ٢٤ .
(٨) القول في أنوار الربيع ج٣ ص : ١٨٢ .
(٩) سورة الفرقان الآية : ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوصفية لا غير كقوله تعالى : ((ونفس وما سواها)) (١) .

وأما (من) فيسأل بها عن ذي العلم . قال الزمخشري : ((لو قيل : من تعبدون ؟ لم يعم إلا أولي العلم وحدهم)) (٢) . وهي عند السكاكي للسؤال عن ذوي الجنس (٣) . وقد يؤتى بها للاستخفاف في مثل قوله : ((من فعل هذا بآلهتنا)) (٤) .

أما ((كيف)) فللسؤال عن الحال : كيف زيد ؟ فجوابه مشغول أو فارغ . ويتولد منه التعجب والتعجيب قال تعالى: ((كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون)) (٥) فصدور مثل هذا من القادر مظنة تعجب وتعجيب .

وعلى هذا تأتي بقية أدوات الاستفهام مثل : ((كم)) ، ((وأنى))، ((أين)) ، ((متى)) ، ((إيان)) ، ((أي)) .

أما الموضع الثالث في الطلب - فالأمر - وهو اللفظ الطالب للفعل بصيغته . فإذا كان الأمر أعلى رتبة من المأمور وطلب ما يقصد حصل الوجوب ، وإن منع ترك كقوله تعالى : ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم))(٦) . أو الندب إن لم يمنع كقوله تعالى : ((وانكحوا الأيامى منكم)) (٧) أو لطلب التعجيز كقوله : ((فأتوا بسورة من مثله))(٨) . أو للوعيد كقوله : ((من شاء فليكفر)) (٩) ، والنهي كقوله : ((ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)) (١٠) . أو أن يأمر المتكلم نفسه تجريدا

---

(١) سورة الشمس الآية : ٧ . أنظر المفتاح ص : ٣٣١ ، والتبيان للطيبي ص : ١٧٠ .
(٢) الكشاف ج١ ص : ٣١٤ .
(٣) المفتاح ص : ٣١١ .
(٤) سورة الأنبياء الآية : ٥٩ .
(٥) سورة البقرة الآية : ٢٨ .
(٦) سورة البقرة الآية : ٢١ .
(٧) سورة النور الآية : ٣٢ .
(٨) سورة البقرة الآية : ٢٣ .
(٩) سورة الكهف الآية : ٢٩ .
(١٠)سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما في قراءة ابن عباس : ((ومنْ كفر فامتعه)) (١) .

والتمني والاستفهام والأمر والنداء هي أبواب تشترك في الاعانة على تقدير الشرط أما قوله تعالى : ((فهب لي من لدنك وليا يرثني)) (٢) قال الزمخشري : ((الجزم جواب الدعاء والرفع صفة)) ، أما السكاكي قال : ((بالجزم ، وأما قراءة الرفع فالأولى حملها على الاستئناف دون الوصف لئلا يلزم منه أنه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا)) (٣) ورأى الطيبي أنه لازم على التقدير لترتيب الطلب على الوصف المناسب بالفاء ، على أن الاستئناف أيضا رابط معنوي والصحيح أن الأنبياء وإن كانوا مستجابي الدعوة لكن ليس كل ما دعوه استجيب لهم (٤) .

ومن أنواع الطلب النداء - وأدواته الهمزة ، وأي للقريب ، و(يا) للبعيد ومن هو بمنزلته كأن يكون المدعوّ بليد ساه ، أو الخطاب المتلو معني به كقوله تعالى : ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم)) (٥) ليتفطن له .

أو لاظهار الحرص على إقبال المدعو كقوله : ((يا موسى أقبل)) (٦) . أو لانحطاط شأن المدعو نحو قولك : ((يا هذا إن البغاث في أرضنا لا تستنسر)) ، أو لارتفاع شانه أو للاختصاص مثل : ((أنا أفعل كذا أيها الرجل)) . أي أنا مختص بهذا الفعل . أو قولك: ((أقبل يا مظلوم)) . زيادة لتقرير شكواه إذ لا يتصور فيه الاقبال مثل قوله : ((يا جبال أوبي معه والطير)) (٧) ، و ((يا أرض إبلعي ماءك)) (٨) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٢٦ .
(٢) سورة مريم الآيتان : ٥ ، ٦ .
(٣) أنظر الكشاف ج٢ ص : ٥٠٢ ، والمفتاح ص : ٣٢١ .
(٤) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٧٣ .
(٥) سورة البقرة الآية : ٢١ .
(٦) سورة القصص الآية : ٣١ .
(٧) سورة سبأ الآية : ١٠ .
(٨) سورة هود الآية : ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يخرّج الخبر معنى الطلب ويعكس :

١ - قولك : (أعاذك الله من الشبهة) لدلالة الماضي على حصول المطلوب وقولك : (رحمه الله ورضي عنه) إظهار للحرص على وقوع المطلوب . وكذلك الاحتراز إلى صورة الاستعلاء .

وقوله تعالى حكاية عن هود - عليه السلام - : ((إني أشهد الله وأشهد أني بريء مما تشركون)) (١) . فلم يقل وأشهدكم ليوازي شهادة الله تهاونا بهم . وقراءة ابن عباس : ((ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون)) (٢) بيانا لشدة العذاب (٣) .

والأمر في باب التعجب نحو : (أكرم بزيد) على أنه بمعنى الخبر. والهمزة من قبيل ذي كذا ، والباء زائدة منخرطة في هذا السلك .

علم البيان

عرف العرب في الجاهلية علم البيان واستعملوه كثيرا في أشعارهم وخطبهم وطبقوه تطبيقا أدبيا بعيدا عن الروح المنطقية التي تهتم بالتحديد والتقسيم ، فاستعملوا شتى المواضيع البيانية من تشبيه وكناية واستعارة ومجاز ، عفويا دون أن يطلقوا عليها إسم علم البيان ، بل قل إن كلمة علم لم تكن معروفة عندهم ، فهذه الصور البيانية معروفة بقيمتها الجمالية لدى الشعراء والخطباء فقد أكثروا من استعمالها أو توظيفها لتزيين محاسن ومقاصد أغراضهم سواء كانت من الشعر أو النثر ، لأن هذه الفنون البيانية هي معان يستغلها الأديب لتوسيع خياله وتوظيفه لإخراج ما يجيش في نفسه من انطباعات تخص هدفه المقصود فكل أديب له استعاراته وتشبيهاته ومجازاته .

---

(١) سورة هود الاية : ٥٤ .
(٢) سورة الدخان الايتان : ٣٠ ، ٣١ .
(٣) أنظر الكشاف ج٣ ص : ٥٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والدارس لأشعار القدماء في العصر الجاهلي يلاحظ أنهم اهتموا كثيرا بموضوع التشبيه في أشعارهم وهذا دليل على ترابط الحياة ببعضها بعض ، فالشعراء الجاهليون وظفوا ما أمكن توظيفه من بيئتهم كتشبيهات في أشعارهم لإبراز مقدرتهم على التحكم في خيالهم وحصر الكلمات وتطويعها ومن ثم لاستيعابها ، وبهذا يبرزون قدرتهم الشعرية كشعراء بين أفراد قبيلتهم أولا ثم بين مختلف القبائل ثانيا ، لأن الحقيقة تؤكد أنه ليس بإمكان أي إنسان أن يوظف تلك التشبيهات فيما قل ودل وبصور رائعة ، وإلا لكان كل الناس شعراء .

ومع تلاحق الأجيال والتغير الجوهري الذي أحدثه الإسلام وتمدن وتحضر العرب وامتزاجهم بالشعوب الأعجمية تغيرت المفاهيم والموازين فانتبه بعض الدارسين إلى أهمية دراسة هذه الظواهر الأدبية ، وقلت - الظواهر - لأنها قبل دراستهم لها لم تكن مواضيعَ وانتقالها من العفوية إلى الصنعة ، لأنهم انتبهوا إلى التشبيهات في أشعار شعراء الجاهلية وروعة جمالها فبدأت هذه المواضيع تتدوّن في المؤلفات فكتب المبرد (- ٢٨٥ هـ) في موضوع التشبيه وقسمه إلى أربعة أقسام: ((تشبيه مفرط ، تشبيه مصيب ، تشبيه مقارب ، تشبيه بعيد)) (١) .

ومع تدرج الزمن وتقدم الدراسات تفطن الدارسون في البلاغة لهذه المواضيع مثل التشبيه والكناية والمجاز وأعطوها حقها من الدراسات المعمقة الواسعة والشاملة ومن هؤلاء عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) ومجهوده بارز في هذه الدراسات وكتاباه ((أسرار البلاغة)) و ((دلائل الإعجاز)) خير شاهد عما نقوله حيث تصدى لدراسة التشبيه والاستعارة (٢) كما بحث الحقيقة والمجاز والتشبيه والتمثيل وفصّل

---

(١) الكامل للمبرد / محمد أبو الفضل ابراهيم / والسيد شحاته ج٣ دار نهضة مصر ص : ٣٢ .
(٢) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني / السيد محمد رشيد رضا ، ط٦ سنة ١٩٥٩ مكتبة القاهرة ص : ٢٠ ، ٦٤ ، دلائل الإعجاز ص : ٤٧ ، ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذه المواضيع بدقة .

ثم يأتي السكاكي (- ٦٢٦ هـ) ويؤلف كتاب المفتاح الذي قلب به البلاغة فتغيرت المواضيع والمفاهيم وخاصة القسم الثالث من هذا الكتاب وطبق منهاج المدرسة المنطقية وقسم البلاغة إلى علومها الثلاثة ، ولم يستطع السكاكي إخراج التشبيه من علم البيان لأنه رأى أن دلالته وضعية وهي التي لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة وهذا يخص علم المعاني ، وبالرغم من نظرته هذه تبرك التشبيه في علم البيان كما درس الكناية والمجاز في هذا الباب (١) .

والتشبيه عُرف منذ القدم وهو كثير في كلام العرب يقول المبرد (- ٢٨٥ هـ) : ((والتشبيه جار في كثير من الكلام أعني كلام العرب حتى لو قال قائل أن أكثر كلامهم لم يبعد)) (٢) .

ثم جاء القزويني (- ٧٣٩ هـ) وسار على نفس المنهج الذي رسمه السكاكي وبمجيئه وجد العلوم البلاغية مستقرة فعرف علم البيان : ((علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه)) (٣) وفسر دلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره كما تعرض لشروط دلالة الالتزام ، وعلى هذا المفهوم حصر مواضيع علم البيان في التشبيه والمجاز والكناية .

جاء الطيبي (- ٧٤٣ هـ) وعرف علم البيان : ((هو معرفة إيراد المعنى الواحد في الطرق المختلفة الدالة بالخفاء على مفهومها تفاديا عن الخطأ في التطبيق لتمام المراد)) (٤) . ويعني بتمام المراد كُنه ما يقصد البليغ من التراكيب من المبالغة ، وبالمعنى

---

(١) مفتاح العلوم ص : ٣٣١ .
(٢) الكامل للمبرد ج٣ ص : ١٢ وما يليها .
(٣) الإيضاح ج٢ ص : ٣٢٦ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ١٧٩ ، ١٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواحد ما يقتضيه علم المعاني وبالطرق التراكيب ، وإنما قيد الدلالة بقوله : على مفهومها احترازا على دلالات الألفاظ المترادفة المختلفة بالخفاء لأن خفاءها ليس باعتبار مفهوم التراكيب بل باعتبار منطوقها لقلة دورانها على الألسنة،وذلك غير مجد في المبالغة وإنما أعرضنا عن ذكر الوضوح لأن الغرض من ذلك الإيراد ، المبالغة ، وهي إنما تحصل من خفاء الدلالة ، وكلما ازدادت خفاءً ازدادت مبالغة مثاله إذا أردنا ايراد معنى قولنا : (زيد جواد) . مثلا في الأصول الثلاثة نقول :

وفي طرق التشبيه : زيد كالبحر في السخاء .

وفي طرق الاستعارة : رأيت بحرا في الدار .

وفي طرق الكناية : زيد مضياف . زيد كثير أضيافه (١) .

فقد عني بتمام المراد دلالات الألفاظ الدالة عليها بالخفاء وفسر بأن خفاءها ليس باعتبار مفهوم التراكيب بل باعتبار منطوقها لقلة دورانها على الألسنة وكلما إزدادت هذه الدلالة خفاء ازدادت مبالغة . ورأى أن مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة في اثبات المعنى للشيء وذلك إما على طريقة الإلحاق أو الإطلاق والثاني إما إطلاق الملزوم على اللازم أو عكسه . وبهذا قسم مباحث علم البيان إلى تشبيه،ومجاز، وكناية ، وبهذا يكون الطيبي قد وضع التشبيه علم البيان ولم يأخذ برأي السكاكي الذي أراد إخراجه من علم البيان مدعيا أن دلالته وضعية (٢) وعلى هذا سنعرض ولو بايجاز مواضيع علم البيان وكيف عالجها الطيبي ؟

---

(١) المصدر السابق : ١٨٠ .
(٢) المفتاح ص : ٣٢٩ . وينظر التشبيه في كتاب بديع القرآن ابن أبي الأصبع المصري / حنفي محمد شرف مكتبة نهضة مصر ط١ ١٣٧٧ هـ ص : ٥٨ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه

اهتم الطيبي بفن التشبيه وضمه إلى علم البيان لما رآه بابا واسعا وكثير الاستعمال في أساليب العرب ولم أعثر على باحث لم يشر إلى أهمية فن التشبيه وقيمته البلاغية الجمالية رغم اختلافهم في تصنيفه يقول السكاكي - رحمه الله - واصفا فن التشبيه : ((فهو الذي إذا سهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني)) (١) ويشاطره الرأي الخطيب القزويني بقوله في فن التشبيه : ((وإذا عرفت معنى التشبيه في الإصطلاح فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره ، وفخامة أمره في فن البلاغة)) (٢) .

وقد ساير الطيبي السكاكي في أن الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجود في التشبيه وقد تعرضنا لهذا سابقا . وكذا الاختلاف في اعتبار التشبيه مجازا أو غير مجاز فقد اختلفوا فيه . وعبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - من العلماء الأوائل الذين فصلوا بين التشبيه والمجاز وصرح بذلك : ((إن كل متعاط لتشبيه صريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه فإذا قلت : ((زيد كالأسد)) و ((هذا الخبر كالشمس في الشهرة)) و ((له رأي كالسيف في المضاء)) لم يكن نقل اللفظ عن موضوعه ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب ألا يكون في الدنيا تشبيه ألا وهو مجاز ، وهو محال لأن التشبيه معنى من المعاني وله حروف وأسماء تدل عليه فإذا صرح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه)) (٣) . وتبع الفخر الرازي (- ٦٠٦ هـ) في كتابه النهاية ، عبد القاهر الجرجاني في أن التشبيه ليس مجازا : ((لأنه معنى من المعاني وله حروف وألفاظ تدل عليه فإذا صرح بذكر تلك

---

(١) المفتاح ص : ٣٣١ .
(٢) الإيضاح ج٢ ص : ٣٢٨ .
(٣) أسرار البلاغة ص : ١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الألفاظ الدالة عليه وضعا كان الكلام حقيقة فإذا قلت : ((زيد كالأسد ، و هذا الخبر كالشمس في الشهرة ، و له رأي كالسيف في المضاء ، لم يكن منك نقل للفظ عن موضعه فلا يكون مجازا)) (١) .

أما ابن رشيق فقد أكد أن التشبيه داخل في المجاز : ((وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة)) (٢) وذهب ابن الأثير إلى أن المجاز ينقسم إلى قسمين : توسيع في الكلام وتشبيه ، والتشبيه ضربان : تشبيه تام ، وتشبيه محذوف وهو الاستعارة (٣) . وهذا ما ذهب إليه بهاء الدين السبكي في تفسيره لهذا الموضوع (٤) .

هذه بعض الآراء عن موضوع علم البيان واختلاف وجهات نظر العلماء في بعض المواضيع كالتي ذكرناها يبقى أن نذكر رأي الطيبي واجتهاده في هذا الموضوع فالتشبيه عند الطيبي : ((هو وصف الشيء بمشاركته الآخر في معنى)) (٥) ومعنى هذا أن تصف طرفا يكون مشاركا في معنى الطرف الثاني لتحصل الصورة التشبيهية بينهما . وتقسيم الطيبي لأركان التشبيه لا يختلف عن تقسيم سلفه إلا أنه خالفهم وزاد ركنا خامساً وأركان التشبيه عنده : ((الطرفين ليحصل، والوجه ليجمع، والغرض ليصح، والأحوال ليحسن، والأداة لتوصّل)) (٦) فقد زاد الطيبي هذا الركن وهو الأحوال (٧) .

---

(١) نهاية الإيجاز ص : ٢٢ .
(٢) العمد لابن رشيق / محمد محي الدين عبد الحميد / دار الجيل ط٤ ١٩٧٢ . ج١ ص : ٢٦٨ .
(٣) المثل السائر ج٢ ص : ٧١ .
(٤) عروس الأفراح للبهاء السبكي طبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٣٧ ج٣ ص : ٢٩ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ١٨٠ .
(٦) المصدر السابق ص : ١٨٠ .
(٧) المصدر السابق ص : ١٨٠ ، والمفتاح ص : ٣٣٢ وما يليها ، والإيضاح ج٢ ص : ٣٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما فيما يخص الطرفين وهما المشبه والمشبه به فهما إما حسيان ويكون ذلك في المبصرات وفي المشمومات وفي المذوقات وفي الملموسات وفي المسموعات وقد يتركب بعضهما مع البعض كقول كثير (١) :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاتها وعوارُها
بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
كأن على أنيابها بعد هجعة إذا ما نجوم الليل حان انحدارها
مجاجة نحل صفقت بمدامة معطرة صهباء طاب اعتصارها
اديف عليها المسك حتى كأنها لطيمة دار يفتق فارها

وإما عقلي ، وإما حسي خيالي ، وإما وهمي وحسي كما قال (٢) :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها

ويمضي الطيبي في هذه التقسيمات الطويلة المعقدة التي يتيه الدارس فيها ويصعب عليه فهمها بسهولة، ويخرج بهذه التقسيمات عما ذكره غيره في ((الطرفين)) مثل السكاكي والقزويني(٣) أما وجه الشبه عنده : ((وهو أمر يشترك فيه طرفان))(٤) وهو إما حقيقة أو حكماً، وإما متعدد . فالأول إما حسي وطرفاه حسيان ويسمى أيضا مفرقا ، أو على اللف ، وهذا اللف قد يثنى أو يأتي للمشبه المتعدد بالمشبه به قال (٥) :

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي
وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

وقد سماه كذلك تشبيه التسوية وفيه عكسه كقول البحتري (٦) :

فهي كالشمس والقضيب اللدن قدّاً والريم طرفا وجيدا

---

(١) التبيان للطيبي ص : ١٨٢ .
(٢) المصدر السابق ص : ١٨٣ .
(٣) ينظر التبيان للطيبي ص : ١٨٠ وما يليها ، والمفتاح ص : ٣٣٢ - ٣٣٣ ، والإيضاح ج٢ ص : ٣٣٥ وما يليها .
(٤) التبيان للطيبي ص : ١٨٤ .
(٥) التبيان في الإيضاح ج٢ ص : ٣٧١ ، وأنوار الربيع ج٥ ص : ٢٤٢ .
(٦) التبيان للطيبي ص : ١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذا من أقسام التشبيه في وجه الشبه أن يكون عقليا وطرفاه حسيّان ، أم عقلي وطرفاه عقليان ، أم عقلي وحسي ، وعكسه . بعد هذه التقسيمات للحالة الأولى لوجه الشبه يؤكد أن الوجه في الحسي يرجع إلى العقلي لأنه كلي منتزع من أمرين محسوسين ثم ينتقل إلى دراسة الحالة الثانية لوجه الشبه وهو أن يكون الوجه منتزعا من عدة أمور متوهمة ويسمى تمثيلا قال ابن المعتز (١) :

اصبر على مضض الحسو دِ فإن صبرك قاتله
فالنار تاكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

وبتقسيمه هذا أدخل التمثيل في التشبيه واعتبره منه وهو بذلك يأخذ برأي عبد القاهر الجرجاني والشيخ السكاكي (٢) وقد ذهب قدامة ابن جعفر في كتابه نقد الشعر وآخر أن التشبيه والتمثيل مختلفان ويعتبر أن التمثيل من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى . ((والتمثيل وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه)) (٣) . ويستشهد الطيبي بالآية الكريمة في قوله تعالى : ((مثلهم كمثل الذي استوقد نارا)) (٤) ليبين الفرق بين التشبيه الحقيقي والتمثيلي فيقول : ((فإن الوجه هو دفع الطمع إلى تيسير مطلوبهم بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان لانقلاب الأسباب وهو أمر توهمي . والذي نحن بصدده كثيرا ما يلتبس بالحقيقي والفرق أن الحقيقيّ معان مستقلة والتمثيلي مستند إلى قصة متوهمة أو شبهها ومن ثمّ لو اختل من تلك الأمور شيء اختل التشبيه)) (٥) وينهي الطيبي فيما يخصّ الوجه من عدة وجوه وذلك أن يكون من عدة أمور . إما حسي كلها ، أو

---

(١) التبيان في المصباح ص : ٥٤ ، والمفتاح ص : ٣٤٦ ، والإيضاح ج٢ ص : ٣٧٢ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ١٩١ ، أسرار البلاغة ص : ٦٤ والمفتاح ص : ٣٤٦ ، والإيضاح ج٢ ص : ٣٧١ .
(٣) الشعر قدامة بن جعفر . عبد المنعم خفاجي ط١ ١٣٩٨ هـ مكتبة الكلية الأزهرية ص : ٩٠ .
(٤) سورة البقرة الآية : ١٧ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ١٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقلي كلها ، أو مركب منها كقول العارف بن الفارض (١) :

لها البدر كأس وهي الشمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

أما من ناحية الغرض فقد عرفه بقوله : ((وهو ما يقصد المتكلم في إيراد التشبيه وذلك عائد إلى المشبه غالبا وقد يعود إلى المشبه)) (٢) أما ما يعود إلى المشبه فهو مستدع ثمانية أحوال هي: في بيان حاله ، في بيان مقدار حاله في القوة ، في بيان وجوده كما إذا أشبه معقول في الذهن باحد أفراده في الخارج دلالة على وجوده مثل : الكلمة كزيدٍ وهذا يسمى مثالا . في امكان وجوده كما إذا أريد تفضيل فرد على نوعه ، في تقدير حاله عند السامع ،وفي تقرير تحقيقه ،وفي إظهار التزيين أو التشويه ليرغّب فيه ، أو عنه ، قصد استظرافه وذلك أن يكون المشبه به نادر الحضور كما إذا شبه الفحم فيه جمر ، يبحر من المسك موّجه التذهب . أو نادر الحضور مع ذكر المشبه .

أما الثاني فهو الغرض العائد إلى المشبه وهو أن يكون الغرض عائداً إلى المشبه به وهو المسمى بالطرد والعكس ومرجعه إلى كون المشبه أتم من المشبه به في الوجه للمبالغة، لأن المشبه به حقه أن يكون أعرف بجهة التشبيه وأقوى،فإذا عكس كان مبالغة ،ومثال ذلك (٣):

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

فإنه تعمد إلى إيهام أن وجه الخليفة في الوضوح أتم من الصباح خاصة عندما قال ((حين يمتدح)) . ومثله قوله تعالى : ((إنما البيع مثل الربا)) (٤) للذين جعلوا الربا في الحل أقوى من البيع .

وإذا ما وازنا هذه التقسيمات بتقسيمات ابن مالك في كتابه

---

(١) البيت في أنوار الربيع ج٥ ص : ٢١٠ .
(٢) التبيان للطيبي ص ك ١٩٦ .
(٣) البيت في المفتاح ص : ٣٤٣ والإيضاح ج٢ ص : ٣٦١ .
(٤) سورة البقرة الآية : ٢٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصباح نجدها متقاربة جدا فليس هناك اختلاف يذكر (١) .

أما عن أحوال التشبيه فقد عرفها : ((كيفيات يحصل بها حسن التشبيه وقبحه وقبوله ورده)) (٢) . والطيبي وإن سار على منهج السكاكي لكنه خالفه من حيث الترتيب في هذا الموضوع (٣) .

أما عن أحوال الحسن في التشبيه فهي على وجوه :

١ - أن كون التشبيه تفصيليا لأن المجمل أسبق إلى النفس،والشيء بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب وهي أن يأتي تمثيليا مثل قوله تعالى : ((مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس)) (٤) أو مركب حسي أو خيالي .

٢ - أن يكون المشبه به معقولا أو موهوما .

٣ - أن يكون نادر الحضور لأن المستطرف مما تشتهي إليه النفس .

٤ - أن يكون التشبيه بعيد المتناول لا يدرك في بدء الفكرة لأن المعاني الفائقة لا بد لها من بناء شان على الأول .

٥ - أن يكون سليما في الابتذال لا تستعمله العامة كقولهم في السواد كالفحم وفي البياض كالثلج (٥) .

أما أحوال القبول فهي أن يكون التشبيه وافيا بإفادة الأغراض المذكورة بأن يكون المشبه به أعرف بالوجه إذا قصد إلحاق الكامل بالناقص ، أو قصد زيادة التقرير ومسلم الحكم إذا قصد بيان امكان لوجود ونادر الحضور إذا قصد غرابته .

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ١٩٦ ، والمصباح ص : ٥٣ .
(٢) المصدر السابق ص : ٢٠٣ .
(٣) المصدر السابق ص : ٢٠٣ ، ولمفتاح ص : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .
(٤) سورة يونس الأية : ٢٤ .
(٥) أنظر كتاب من قضايا النقد والبلاغة . توفيق الفيل مكتبة نهضة الشرق . ص : ٦٩ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الخامس ففي الأداة : ((وهو ما يتوصل به إلى وصف المشبه بمشاركته المشبه به في الوجه)) (١) وعرف أدوات التشبيه وعددها مثل : الكاف وكأن ومثل وشبه وما ف معناهما كحكى ونحو واخ (٢) .

ويختم الطيبي موضوع التشبيه بخاتمة قائلا : ((والحاصل من مراتب التشبيه ثمان)) . ثم يعددها :

١ - ذكر أركانه الأربعة : مثل زيد كالأسد في الشجاعة .

٢ - ترك المشبه مثل : كالأسد في الشجاعة .

٣ - ترك كلمة التشبيه مثل : زيد أسد .

٤ - ترك المشبه وكلمة التشبيه مثل : أسد في الشجاعة .

٥ - ترك وجه الشبه مثل : زيد كالأسد .

٦ - ترك المشبه ووجه الشبه مثل : كالأسد .

٧ - ترك كلمة التشبيه ووجهه مثل : زيد أسد .

٨ - افراد المشبه به بالذكر مثل : أسد" .

ويبرز الطيبي أن التشبيه قد ينتزع من نفس التضاد ، فإن كل واحد من الضدين متصف بمضادة صاحبه ، فينزل لذلك شبه التناسب بواسطة فيقال للجبان ، ما أشبهه بالأسد ، وللبخيل هو حاتم ، أو للتلميح كما تقول للأسود كافور . هذه الخاتمة التي أنهى بها الطيب موضوع التشبيه متأثرا بما كتبه القزويني في الإيضاح ناقلا عنه هذه الخاتمة نقلا يكاد يكون حرفيا إذ لا جديد فيها للطيبي وإنما الفضل فيها يعود إلى القزويني)) (٣)

درس الطيبي الأصل الثاني من علم البيان كما سماه ، والأصل

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢١٢ .
(٢) أنظر كتاب الجمان في تشبيهات القرآن / ابن ناقيا البغدادي (- ٤٨٥ هـ) د. أحمد مطلوب وخديجة الحديثي دار الجمهورية ١٣٨٧ هـ ، ص : ٤٣ وما يليه .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٢١٦ والإيضاح ج٢ ص : ٣٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني عنده فن المجاز . وقد دُرس هذا الفن من قبل البلاغيين واعتبروه الركيزة الأساسية في علم البيان فبواسطة المجاز يمكن ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة وعكس ما ذكرناه سابقا عن فن التشبيه في تردد البعض في ضمه إلى علم البيان ، أما فن المجاز فلا اختلاف عليه ولا تردد فيه فهو عندهم جميعا من صميمه ، والمجاز فن قديم قدم اللغة وعرفه الأوائل ووضعوه عناوين لكتبهم مثل كتاب ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة وقد مر ذكره . واهتم البلاغيون بهذا الفن وبدأوا يحددون معالمه وبمجيء العلامة عبد القاهر الجرجاني بسط القول في هذا الفن وبين منزلته وأهميته الفنية وبهذه الدراسة لهذا الفن استقرت قواعده وأصوله يقول في تعريفه للمجاز : ((وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهو مجاز وإن شئت قلت : كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فيه مجاز)) (١) والمجاز عند عبد القاهر قسمان : مجاز لغوي ، ومجاز عقلي ، وبهذه الدراسة المفصلة اتضحت معالم هذا الفن وساير البلاغيون عبد القاهر في تقسيمه للمجاز كالسكاكي مثلا (٢) .

أما الخطيب القزويني فقد خالفهم في تقسيمه للمجاز . وقسمه إلى مجاز مفرد ومجاز مركب وهما مختلفان . ثم يعرف المجاز المفرد بأنه : ((الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ي اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته)) (٣) وعنده أن الكلمة المستعملة هي احتراز عما لم يستعمل لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازا ، كما لا تسمى حقيقة ، أما اصطلاح التخاطب ليدخل فيه نحو لفظ :

---

(١) أسرار البلاغة ص : ٢٨١ ، ٢٨٢ .
(٢) المفتاح ص : ٣٦٤ ، ٣٩٣ .
(٣) الإيضاح ج٢ ص : ٣٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

((الصلاة)) إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا ، أما على وجه يصح ، فهي احتراز عن الغلط ، أما قرينه عدم ارادته ، فهي احتراز عن الكناية (١) .

ثم يتعرض القزويني لأنواع الحقيقة قائلا : ((الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب)) (٢) كما عرّف بانواع المجاز المفرد فهو : لغوي أو شرعي أو عرفي ويعرفنا باشتقاق كلمة مجاز بانها : مِفْعَل" من جاز المكان إذا جازه أو يجوزه إذا تعداه .

ثم قسم المجاز إلى ضربين : مرسل واستعارة (٣) أما المرسل وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه كاليد إذا استعملت في النعمة . أما النوع الاخر للمجاز المرسل فيقع على وجوه كثيرة منه تسمية الشيء بجزئه كالعين في الربيئة ومنها عكس ذلك مثل : قطعته السارق ، أي يده ، ومنها تسمية اسم المسبب مكان السبب مثل رعينا الغيث بمعنى النبات ، ومنها تسمية السبب مكان المسبب مثل ((كما تدين تدان)) . ومنه تسمية الشيء باسم ما كان عليه كقوله عز وجل : ((وآتوا اليتامى أموالهم))(٤) أي الذي كانوا يتامى . ومنه تسمية الشيء باسم يؤول إليه كقوله تعالى : ((فليدع ناديه)) (٦) بمعنى أهل ناديه . ومنه تسمية الشيء باسم آلته كقوله تعالى : ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)) (٧) أي بلغة قومه .

وينهي القزويني المجاز المرسل بهذه المنهجية في الدراسة

---

(١) الإيضاح ج٢ ص : ٣٩٤ .
(٢) المصدر السابق ص : ٣٩٥ .
(٣) المصدر لسابق ص : ٣٩٦ .
(٤) سورة النساء الاية : ٢ .
(٥) سورة يوسف الاية : ٣٦ .
(٦) سورة العق الاية : ١٧ .
(٧) سورة ابراهيم الاية : ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والواضح من دراستنا للمصادر المختلفة أننا لم نعثر على أحدٍ قبله استعمل مصطلح المجاز المرسل فهو الذي أطلق عليه هذا الإسم (١) .

وبمجيء العلامة الطيبي اتضحت معالم هذا الفن واستفاد من بحوث سلفه في التعمق في دراسة هذا الفن فقد قسم المجاز إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي ثم قسم المجاز اللغوي إلى مجاز مرسل ، واستعارة ، وقسم المجاز المرسل إلى خال من الفائدة ، ومفيد (٢) وبهذا يكون قد أظهر استفادته من غيره الذين سبقوه في هذا الميدان كالسكاكي والقزويني فقد جمع بين ما ذكره السكاكي وبين ما ذكره القزويني في منهج علمي جديد .

أما المجاز المرسل الخالي من الفائدة وذلك أن يعدّى الكلمة عن حقيقة بقيد إليها بدونه مثل أن يستعمل المرسن في أنف إنسان أو إنه موضوع لمعنى الأنف قيد أن يكون مرسونا .

أما المجاز المتضمن الفائدة فقد قسمه لعدة وجوه :

١ - اطلاق السبب على المسبب كاليد على النعمة . وقوله تعالى : ((أشداء على الكفار رحماء بينهم)) (٣) وحمل الطيبي هذا الوجه على التشبيه وأجازه ، بينما عارض من حمله على الاستعارة . والقزويني هو الذي ذهب مذهب حمله على الاستعارة ورأى الطيبي أن هذا خطأ . يقول القزويني : ((وأما اليد في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (٤) : ((المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم)) فهو استعارة)) .

٢ - اطلاق المسبب على السبب مثل أمطرت السماء نباتا أي غيثا .

٣ - تسميته باسم ما يؤول إليه قال تعالى : ((هدى للمتقين)) (٥) أي

---

(١) الإيضاح ج٢ ص : ٣٩٧ .
(٢) ينظر التبيان ص : ٢١٧ وما يليها والمفتاح ص : ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
(٣) سورة الفتح الاية : ٢٩ .
(٤) الحديث في الإيضاح ج٢ ص : ٣٩٣ والتبيان للطيبي ص : ٢٢٠ .
(٥) سورة البقرة الاية : ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الضالين الصابرين إلى التقوى .

٤ - تسميته باعتبار ما كان قال تعالى : ((وآتوا اليتامى أموالهم)) (١) أي الذين كانوا يتامى .

٥ - تسمية الحال باسم محله قال تعالى : ((فليدع ناديه)) (٢) بمعنى أهل ناديه .

٦ - تسمية المحل باسم حاله قال تعالى : ((وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله)) (٣) أي في الجنة .

٧ - تسمية الشيء بآلته قال تعالى: ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)) (٤) أي بلغتهم .

٨ - تسمية الشيء بدواعيه كقولك : هذا يقول بقول الشافعي . أي بمذهبه .

٩ - تسميته باسم جهته كقولهم للمطر : سماء .

١٠- تسميته باسم حامله كقولهم للمزادة : راوية . والرّاوية الجمل .

١١- تسميته باسم محموله كالخفض على البعير ، وهو الأثاث .

١٢- تسميته باسم مجاوره نحو : سال الوادي .

١٣- تسميته بجزئه والشرط أن يكون أصلا فيما وقع المجاز بسببه قال تعالى : ((قم الليل إلا قليلا)) (٥) . أي صلّ .

١٤- تسميته بكله قال تعالى : ((يجعلون أصابعهم في آذانهم)) (٦) . أي أناملهم .

١٥- تسميته باسم ما يجمع بين مختلفين حقيقة ومجازا قال تعالى : ((إن الذين يؤذون الله ورسوله)) (٧) . عبر بإيذائهما عن فعل يكرهانه وما لا يرضيانه ويسمى بعموم المجاز .

---

(١) سورة النساء الآية : ٢ .
(٢) سورة العلق الآية : ١٧ .
(٣) سورة آل عمران الآية : ١٧ .
(٤) سورة ابراهيم الآية : ٤ .
(٥) سورة المزمل الآية : ٢ .
(٦) سورة البقرة الآية : ٨٩ .
(٧) سورة الأحزاب الآية : ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعند الطيبي أنواع أخرى من المجاز ، كالمجاز بقرينة ((لا)) . كقوله تعالى : ((ما منعك ألا تسجد)) (١) إذ بين الصارف عن الفعل وبين الداعي إلى تركه نوع التعلق ، أو إذا استعمل فعل أو شبهة بجارة مختصة بغيرهما فيجعل الجارة قرينة إما للتضمين وكذلك المجاز المستثنى . وذكر أنواعا كثيرة من المجاز .

والخلاصة التي نستنتجها من هذه الدراسة أن الطيبي استفاد في موضوع المجاز من العلامة السكاكي والقزويني ومزج بين منهجيهما بأسلوبه ومنهجه الخاص (٢) .

أما الضرب الثاني من المجاز اللغوي فالاستعارة ، والاستعارة كبقية الفنون البلاغية في القِدم . تعرض لدراستها البلاغيون ، ولعل من ضبط هذا الفن ضبطا دقيقا العلامة عبد القاهر الجرجاني عرفها : ((الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه)) (٣) كما قسم الاستعارة إلى مفيدة وغير مفيدة وتكلم عن الاستعارة الحقيقية والتخييلية والتمثيلية .

وعرفها الفخر الرازي بقوله : ((الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره أو اثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه)) ويعرفها تعريفا ثانيا : ((الاستعارة عبارة عن جعل الشيءِ الشيءَ أو جعل الشيءِ الشيءِ لأجل المبالغة في التشبيه)) (٤) .

كما تكلم فخر الرازي عن أنواع الاستعارة مثل : الأصلية والتبعية وتكلم عن ترشيح الاستعارة وتجريدها ، وعن الاستعارة

---

(١) سورة الأعراف الاية : ١٢ .
(٢) ينظر موضوع المجاز المرسل في التبيان للطيبي ص : ٢١٨ وما يليها ، والإيضاح ج٢ ص : ٣٩٧ وما يليها .
(٣) دلائل الإعجاز ص : ٤٥ .
(٤) نهاية الإيجاز ص : ٢٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالكناية والاستعارة التخييلية وختم قوله بالحديث عن الاستعارة الحسنة والقبيحة (١) . وإذا استعرضنا آراء هؤلاء العلماء فإن موضوع الاستعارة قد درس قبلهم فهذا الجاحظ - رحمه الله - في كتابه البيان والتبيين يعرف الاستعارة : ((الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه)) (٢) . وقد عرفها السكاكي : ((هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به)) (٣) وقسم الاستعارة إلى استعارة مصرح بها واستعارة مكني عنها . والمصرح به فيها التحقيقية والتخييلية . والاستعارة التهكمية والاستعارة بالكناية ، والأصلية والتبعية والاستعارة بـ ((لعل)) و ((اللام)) و ((ربما)) ثم تكلّم عن ترشيح وتجريد الاستعارة (٤) .

ثم يأتي الخطيب القزويني ويعرفها بقوله : ((وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له)) (٥) ، ثم قسم الاستعارة باعتبار الطرفين وباعتبار الجامع وباعتبار الثلاثة وباعتبار اللفظ وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله (٦) .

أما باعتبار الطرفين فهي قسمان لأن اجتماعهما في شيء إما ممكن أو ممتنع ويسمي الأولى وفاقية والثانية عنادية .

أما الوفاقية فكقوله تعالى : ((أحييناه)) (٧) في قوله : ((أو من كان ميتا فأحييناه)) (٨) والمراد ((بأحييناه)) هديناه .

أما العنادية فمنها ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد

---

(١) المصدر السابق ص : ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ .
(٢) البيان والتبيين ج١ ص : ١٥٣ .
(٣) المفتاح ص : ٣٦٩ .
(٤) المفتاح ص : ٣٧٠ وما يليها .
(٥) الإيضاح ج٢ ص : ٤٠٧ .
(٦) الإيضاح ج٢ ص : ٤١٨ .
(٧) (٨) سورة الأنعام الآية : ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالصفة وإن كانت موجودة لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود منها ، وإذا ما خلت منه لم تستحق الشرف ، كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة مثله فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك ، أو اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركا للموجود في ذلك ، أو اسم الميت للحي الجاهل ، لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بها ، أعني العلم فيكون مشاركا للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتا لأن النائم لا يشعر ما بحضرته ، كما لا يشعر الميت أو الحي العاجز لأن العجز كالجهل يحط من قدر الحي (١) .

أما الاستعارة باعتبار الجامع فقد قسمها إلى قسمين : أحدهما أن يكون الجامع فيه داخلا في مفهوم الطرفين ، كاستعارة الطيران للعدو ، ومنه استعارة التقطيع لتفريق الجماعة كما في قوله تعالى: ((وقطعناهم في الأرض أمماً)) (٢) . والثاني ما يكون فيه غير داخل في مفهوم الطرفين كقولك : ((رأيت شمسا)) وتريد إنسانا يتهلل وجهه .

كما قسم الاستعارة باعتبار الجامع إلى عامية وخاصية (٣) .

أما الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع فقد قسمها إلى ستة أقسام وهي :

١ - استعارة محسوس للمحسوس بوجه حسي كقوله تعالى : ((فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار)) (٤) .

٢ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي كقوله تعالى : ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)) (٥) .

---

(١) الإيضاح ج٢ ص : ٤١٩ .
(٢) سورة الأعراف الآية : ١٦٨ .
(٣) الإيضاح ج٢ ص : ٤٢٢ .
(٤) سورة طه الآية : ٨٨ .
(٥) سورة يس الآية : ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ - استعارة محسوس لمحسوس لما بعضه حسي وبعضه عقلي ((رأيت شمسا)). وأنت تريد إنسانا شبيها بالشمس .

٤ - استعارة محسوس لمعقول : ((فاصدع بما تامر)) (١) .

٥ - استعارة معقول لمعقول قال تعالى : ((من بعثنا من مرقدنا)) (٢) المستعار منه الرقاد والمستعار له الموت .

٦ - استعارة معقول لمحسوس قال تعالى : ((إنا لما طغى الماء)) (٣) بمعنى كثر الماء .

أما الاستعارة باعتبار اللفظ فقد قسمها إلى قسمين منهما الأصلية إذا كان اسم جنس كاسد أو تبعية كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ، أما الاستعارة باعتبار الخارج فقسمها إلى ثلاثة أقسام :

منها المطلقة وهي التي تقترن بصفة ولا تفريع كلام . والاستعارة المجردة وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له ، والمرشحة وهي التي قرنت بما يلائم المستعار منه . ويرى القزويني أن الترشيح أبلغ من التجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة (٤) .

وأخرا عقد فصلا للاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وعرفهما . قال : ((قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسا أو عقلا أجريَ عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها ، واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخييلية)) (٥) .

وبهذه الطريقة أنهى القزويني موضوع الاستعارة . ولنعد إلى

---

(١) سورة الحجر الاية : ٩٤ .
(٢) سورة يس الاية : ٥٢ .
(٣) سورة الحاقة الاية : ١١ .
(٤) ينظر الإيضاح ج٢ ص : ٤٢٨ ، ٤٤٤ .
(٥) الإيضاح ج٢ ص : ٤٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطيبي ونبرز ما كتبه في هذا الموضوع . وإذا كنا من حين لآخر نعرض بعض المواضيع للبلاغيين الذين سبقوه ، إنما هذا ليس من باب التطويل وإنما طبيعة الموضوع تتطلب هذا المنهج لأنه لا يمكن أن تعرف ما اجتهد فيه الطيبي إلا بعرض أمثلة عن سلفه (١) .

فالاستعارة هي الضرب الثاني من المجاز اللغوي عند الطيبي وعرفها بقوله : ((وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا عليه بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به من جنس اسمه أو لازمه أو لفظ يستعمل فيه نحو : (في الحمام أسد) ، و(المنية أنشبت أظفارها) . و في الصيف ضيعت اللبن)) (٢) . ويعلل الطيبي السؤال المطروح لماذا اسميناها استعارة ؟ فيجيب : سميت استعارة لأن الشجاع حال كونه فردا من أفراد الأسد يكتسي اسمه اكتساء الهيكل المخصوص أياه وهكذا العريّة فإن المستعير فيها كالمعير إلا في الملكية،ويسمى المشبه به مستعارا منه واسمه مستعارا والمشبه يسمى مستعارا له . ويناقش الطيبي قضية مهمة وحساسة وهي هل الاستعارة مجاز لغوي أم عقلي ؟ . لقد ناقش قبل الطيبي هذا السؤال الكثير من البلاغيين وذكر رأي القزويني في هذا الموضوع لأنه أبرز بلاغي عاصر الطيبي ، فالطيبي (- ٧٤٣ هـ) . والقزويني (- ٧٣٩ هـ) - رحمة الله عليهما - .

قال القزويني : ((وقيل إنّ الاستعارة مجاز عقلي بمعنى أن التصرف فيها بأمر عقلي لا لغوي لأنها لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به . لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كـ ((يزيد)) و ((يشكر)) استعارة .

---

(١) أنظر كتاب المجاز في البلاغة العربية / مهدي صالح السمرائي / دار الدعوة ط١ ١٣٩٤ هـ ص : ١١٤ وما يليها . وانظر كتاب التصوير البياني / محمد أبو موسى / مكتبة وهبة ط٢ ١٤٠٠ هـ ص : ٣٦٣ وما يليها .

(٢) التبيان للطيبي ص : ٢٢٧ ، أنظر الصفحات السابقة لتعريفات الاستعارة عند سلفه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه)) (١) . وقد ذهب القزويني مع الرأي القائل أن الاستعارة مجاز لغوي : ((والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوي كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أعم منهما كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقا لأنه لو كان موضوعا لأحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ، وأيضا لو كان موضوعا للشجاع مطلقا لكان وصفا لاسم الجنس)) (٢) .

والطيبي يرى في قول القائل : في أن الاستعارة مجاز عقلي لأنا لما ادعينا أن المشبه جنس المشبه به وفرد من أفراد حقيقية لزم أن يكون اللفظ مستعملا فيما وضع له، ولأنه إذا قلنا ((رأيت أسدا)) يعني شجاعا بما صح أن يقال : إنما جعل أسدا لما حصل فيه صفته بخلاف قولنا : سميته أسدا . وإذا كان اطلاق الاسم تبعا لوجود المعنى كان الاسم مستعملا في ما وضع له كأسماء الأجناس ولأن التعجب في قول الشاعر (٣) :

قامت تظللني من الشمس نفس أعز عليّ من نفسي
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس

بعدما يسرد الطيبي هذا الرأي يجيب عنه : بأن ادعاء : الأسدية للشجاع لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملا في غير ما وضع له، لأن الواضع لم يضع الأسد للشجاعة وحدها بل لها في تلك الجثة ، ثم أن لفظ الأسد لو كان تبعا لتلك الصفة لم يكن اسما بل كان صفة، وكان استعماله في غاية البطش ، والتعجب لبناء تناسي التشبيه في الاستعارة قضاء لحق المبالغة فإن قيل : الاصرار على ادعاء الأسدية

---

(١) الإيضاح ج٢ ص : ٤١٤ .
(٢) المصدر السابق ص : ٤١٤ .
(٣) البيتان لابن العميد في المصباح ص : ٦٢ والإيضاح ج٢ ص : ٤١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للرجل ينافي نصب القرينة قلنا : لا منافاة فإن بناء الدعوى على أفراد جنس الأسد قسمان :

أ - قسم متعارف : وهو الهيكل المخصوص مع الجرأة .

ب - وقسم غير متعارف : وهو الذي له تلك الجرأة لا مع ذلك الهيكل .

وبهذا الرأي يذهب الطيبي مذهب السكاكي والقزويني في أن الاستعارة مجاز لغوي (١) ثم ينتقل الطيبي إلى دراسة الاستعارة ويرجع إلى أن الجامع في الاستعارة إما أمر واحد ، أو في حكمه ، فالأول تتنوع الاستعارة فيه إلى أصلية وتبعية .

فالاستعارة الأصلية ي أن يكون المستعار اسم جنس نحو : رَجل ، أسد ، قيام ، قعود ، وهي مبنية على التشبيه لأن التشبيه وصف ، وتنقسم الأصلية إلى قسمين : إستعارة مصرح بها ، واستعارة مكني عنها ، لأن الطرف المتروك إن كان المشبه فهو المصرح بها وإلا فهي المكنى عنها .

وقسم المصرح به إلى قسمين (٢) :

أ - استعارة تحقيقية وهي أن يكون المتروك شيئا محسوسا مثل : رأيت أسدا يرمي . وقوله تعالى : ((اهدنا الصراط المستقيم)) (٣) .

ب - استعارة تخييلية وهي أن يكون المتروك شيئا متوهما محضا كما إذا شُبّهت المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة تشبيها بليغا ، كأنها هو ، ثم تتوهم للمشبه ما به قِوام المشبه به من لوازمه المناسبة كالأنياب في ما نحن بصدده ثم تشبه هذا المتوهم بمثله من المحقق ثم تطلق اسم المحقق على المتوهم ثم تضيفه إلى المشبه الأول لتكون قرينة مانعة كما تقول : ((أنياب

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٢٩ ، والمفتاح ص : ٤٠١ ، والإيضاح ج٢ ص : ٤١٤ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٢٣٢ .
(٣) سورة الفاتحة الآية : ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنية الشبيهة بالسبع نشبت بفلان)) . هذا التعليل يقول الطيبي فيه : ((فإن قيل : ما الفرق بين إثبات هذا اللازم للمشبه وبين الترشيح فإن كان كل واحد منهما اثبات بعض لوازم المشبه به للمشبه . قلنا الفرق هو في غاية الظهور لأن إثبات اللازم في الأولى لحصول الاستعارة وفي الثانية للمبالغة فيها والتتميم ، والأولى بدون هذا تمتنع وتلك لا تمتنع)) (١) . ويرى في قول زهير بن أبي سلمى (٢) :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطِلُه وعُرِّي أفراس الصبا ورواحله

أن استعارة البيت يمكن أن تكون تحقيقية بأن يجعل دواعي النفوس وشهوتها أو لأسباب من المال والمنال وهي المشبه المتروك . ويمكن أن تكون تخييلية وهو ما ذهب إليه القزويني وكذا في قوله تعالى : ((فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)) (٣) فهذه الاستعارة تحتمل ثلاثة وجوه :

أ - أن تكون عقلية بأن يستعار اللباس لما يغشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث ثم أطلق اللباس وأريد به ذلك (٤) .

ب - أن تكون حسية بأن يستعار اللباس لما يلبس الإنسان عند جوعه من انتفاع اللون ورثاثة الهيئة .

ج - وقيل تحتمل التخييلية وهو بعيد ويرفض الطيبي هذا الرأي .

وما قاله الطيبي في هذا الموضوع هو ما ذهب إليه القزويني عندما قال : ((وأما قوله تعالى : ((فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)) (٥) فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله استعارة عقلية لأنه قال : شبه باللباس - لاشتماله على اللابس - ما غشى الإنسان والتبس

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٣٣ .
(٢) البيت في المصباح ص : ٦٣ والإيضاح ج٢ ص : ٤٤٦ ، وأسرار البلاغة ص : ٣٣ وفيه الشطر الثاني .
(٣) سورة النحل الآية : ١١٢ .
(٤) أنظر كتاب تلخيص البيان في مجاز القرآن للشريف الرضي / دار إحياء الكتاب العربي / عيسى البابي الحلبي وشركاه ط١ ١٣٧٤ هـ . ص : ١١٩، ٢٠١ .
(٥) سورة النحل الآية : ١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

به من بعض الحوادث . وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح حسية لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه انتفاع اللون ورشاقة الهيئة)) (١) . لكن القزويني يضع هذه الاستعارة في الاستعارة المجردة ولم يساير لا السكاكي ولا عبد القاهر الجرجاني (٢) . فالمتتبع لآراء الطيبي البلاغية يتذوق البعد العلمي الدقيق عند تتبعه لمختلف الآراء البلاغية التي يجمعها الطيبي في دراسة جديدة وبمنهج جديد يجمع فيه بين المدرسة الأدبية والمدرسة المنطقية مستفيدا من سلفه فعلى سبيل المثال؛فالاستعارة التحقيقية والاستعارة التخييليّة تم التفريق بينهما من طرف العلامة عبد القاهر الجرجاني فقد ذكر أن الفصل بين القسمين هو أنك إذا رجعت في القسم الأول إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته تأتيك عفوا وإن رمته في القسم الثاني وجدته لا يواتيك تلك المواتاة وإنما يتراءى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه سترا وتعمل تأملا وفكرا ، وبعد أن تغير الطريقة وتخرج عن الحذو الأول . وطريقة أخرى في بيان الفرق بين القسمين هو أن الشبه في القسم الأول وصف موجود في الشيء الذي استعرت له واليد في : ((إذا أصبحت بيد الشمال زمامها)) . ليست توصف بالشبه ، ولكنه صفة تكسبها اليد صاحبها وتحصل له بها وهي التصرف على وجه مخصوص)) (٣) .

والاستعارة التخييلية اختلف القوم فيها فذهب عبد القاهر والزمخشري والقزويني إلى أنها إثبات لازم المشبه به للمشبه وعكسه ما ذهب إليه السكاكي والطيبي من أنها إسم لازم المشبه به المستعار الصورة الوهمية التي أثبتت للمشبه (٤) .

---

(١) الإيضاح ج٢ ص : ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
(٢) المصدر السابق ص : ٤٣٢ .
(٣) أسرار البلاغة ص : ٣١ ، ٣٣ ، وشروح التلخيص للقزويني / أحمد مطلوب ص : ٣٩٤ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ٢٣٣ ، والإيضاح ج٢ ص : ٤٤٤ ، وشروح التلخيص للقزويني د. مطلوب ص : ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الاستعارة المكنية فهي أن يذكر المشبه ، ويراد به المشبه به دالاً عليه بقرينة اللازم المساوي له إليه ، أو إضافته على سبيل التخييلية ، وذلك بأن توهّم المشبه مشبها به توهما محضا ، كما تُوهّم اللازم في التخييلية ، فيكنى باسم المشبه عن اسم المشبه به المُعنى به المتوهّم (١) .

فالمراد بالمنية غير الموت في بيت الهذلي (٢) :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقال لبيد (٣) :

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

فإنه شبه الشمال بالإنسان ، ثم أثبت لها يداً ، وحكم الزمام مع القوة حكم اليد مع الشمال فإن قلت أنكرت أولا أن المستعار له جنس واحد سوى جنس المستعار منه ، ثم تعترف الآن أنه جنس غيره حيث تذكره باسم جنسه قلتُه : ذكره باسم جنسه ليس للاعتراف بل لزيادة في المبالغة . بُولغ أولا حيث سمّي مسمّيان باسم واحد ثم زِيدَ فيها حتى جعل اسمان لمسمىً واحد .

بهذا الحكم يرى الطيبي أن قرينة الاستعارة المكنية يجب أن تكون تخييلية خلافا للزمخشري الذي يذهب إلا أنه ليس من الواجب أن تكون القرينة تخييلية . أما الاستعارة التبعية فقد عرفها الطيبي قائلا : ((وهي أن يكون المستعار أفعالا ، أو صفات ، أو حروفا ولا تكون هذه إلا مصرحا بها وإنما سميت تبعية لأن المذكورات لا تقع موصوفات ، فتقع في مصادر الأفعال والصفات وفي متعلقات معاني الحروف ثم تسري منها إليها)) (٤) .

ومتعلقات معاني الحروف عند الطيبي ما يعبر عنها عند تفسيرها

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٣٤ .
(٢) البيت في الإيضاح ج٢ ص : ٤٤٥ ، وأنوار الربيع ج١ ص : ٢٥٣ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٢٣٥ ، ٢٣٦ وانظر البيت في أسرار البلاغة ص : ٣١ .
(٤) المصدر السابق ص : ٢٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تقول : من ، كي ، لعل معناها ابتداء الناطق في الوضوح ، ثم تستعير الناطق في الوضوح ، ثم تستعير النطق للدلالة ، فتسري من معنى النطق إلى نطقت (١) .

فقوله تعالى : ((إنك لأنت الحليم الرشيد)) (٢) بدل السفيه الغوي في التهكمية استعار الحلم والرشد للسفه والغواية ثم سرى إلى الحليم الرشيد . وقوله تعالى : ((لعله يتذكر أو يخشى)) (٣) فعلى الاستعارة التمثيلية أي باشر الأمر مباشرة من يرجو .

وقوله تعالى : ((ربما يود الذين كفروا)) (٤) استعار ربما للتكثير بعد تشبيه التكثير بالتقليل تهكما أو تلميحا . ثم يسوق الطيبي رأي الأخفش في هذه الاستعارة فعنده أي الأخفش أصلية لأنه اسم حمل على كم الخبرية (٥) .

والقرينة التبعية عند الطيبي - في الأفعال والصفات تعود إلى الفاعل مثل قوله (٦) :

نطقت مقلة الفتى المملهوف فتشكحت بفيض دمع ذروف

أو تعود إلى المفعول الأول كقوله (٧) :

القاتل المحل إذ تبدو السماء لنا كأنها من نجيع الجدب في أرز

أو تعود إلى المفعول الثاني كقوله (٨) :

نقريهم لهذميات نقدم بها ما كان خاط عليهم كل زراد

أو تعود إلى لمفعولين معا كقوله (٩) :

وألقري المسامع إما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
(٢) سورة هود الآية : ٧٨ .
(٣) سورة طه الآية : ٤٤ .
(٤) سورة الحجر الآية : ٢ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٢٣٨ .
(٦) المصدر السابق ص : ٢٣٨ .
(٧) المصدر السابق ص : ٢٣٩ .
(٨) البيت في الإيضاح ج٢ ص : ٤٣١ .
(٩) المصدر السابق ص : ٤٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو تعود إلى المجرور قال تعالى : ((وبشرهم بعذاب أليم)) (١) . أو تعود إلى الجميع قال (٢) :

تقري الرياح رياض الحزن مزهرة إذا سرى النوم في الأجفان أيقاظا

أما القسم الثاني من موضوع الاستعارة فالاستعارة التمثيلية ، وهي أن يكون الجامع في حكم الواحد وذلك بأن تأخذ وصف إحدى الصورتين المنتزع من أمور فتشبهه بوصف صورة أخرى يشابهه ثم تدخل صورة المشبه في صورة جنس المشبه به مبالغة فتكسوها لفظ المشبه به من غير تغيير مثل ما كتب الوليد بن يزيد إلى محمد وقد بلغه أنه متوقف عن البيعة ولم يوضع منها قال : ((أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيتهما شئت)) (٣) فالمستعار إذا كان قولا سائرا شبه مضربه بمورده سمي مثلا وإلا سمي تمثيلا وبهذا يفرق الطيبي بين المثل والتمثيل .

والمثل عند الطيبي على ضربين :

أ - أن يكون المستعار منه شيئا محققا واقعا مثل : ((خذه ولو بقرطي مارية)) (٤) وهذا للشيء الثمين .

ب - أن يكون مقدرا مفروضا كقولهم : ((طارت به العنقاء)) (٥) أي طالت غيبته وليس للعنقاء عمل فيه .

وقد تكون الأمثال كذلك على ألسنة البهائم والجمادات كقولهم للشحم أين تذهب ؟ لقال : أسوي العَوَجْ . والمثل يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة .

أما التمثيل فوارد ومنه في كلام الله - عز وجل - وهو على

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٢١ .
(٢) البيت في المصباح ص : ٦٦ ، والمفتاح ص : ٣٨٣ ، والإيضاح ج٢ ص : ٤٣٢ .
(٣) القول في الإيضاح ج٢ ص : ٤٣٨ . وفيه : يزيد بن الوليد ، ومروان بن محمد .
(٤) (٥) مجمع الأمثال للميداني مكتبة الحياة بيروت ١٩٦١ . ج١ ص : ٣٢٣ ، ٥٩٣ وفيه : طارت بهم العنقاء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضربين :

أ - أن يكون تحقيقا كقوله : ((واعتصموا بحبل الله جميعا)) (١) .

ب - أن يكون تقديرا كقوله : ((إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض)) (٢) وهي تمثل حالة التكليف في صعوبتها وثقل حملها .

وقد تعرض الخطيب القزويني للاستعارة التمثيلية في المجاز المركب والظاهر أن المجاز المركب عنده هو الاستعارة التمثيلية وقد عرفه قائلا : ((هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي تشبيه إحدى الصورتين المنتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه)) (٣) . وأعطى القزويني أمثلة كثيرة عن هذا الموضوع كما فرق بين المثل والتمثيل قال : ((وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، وقد يسمى التمثيل مطلقا ، ومتى فشى استعماله كذلك سمي مثلا ولذلك لا تغير الأمثال)) (٤) . ويرى أن المثل السائر لما كان فيه غرابة استعير لفظة ((المثل)) للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شان وفيها غرابة وهو في القرآن كثير (٥) .

من خلال استعراض ما كتبه كل علامة في الاستعارة التمثيلية نستنتج أن الطيبي استفاد مما كتبه القزويني فلهذا جاء بحثه أكثر ضبطا ودقة من بحث القزويني . ويقسم الطيبي الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع إلى ستة أقسام :

١ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي كقوله تعالى : ((واشتعل الرأس شيبا)) (٦) فالمستعار منه هو النار والمستعار له هو الشيب والجامع

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣ .
(٢) سورة الأحزاب الآية : ٧٣ .
(٣) الإيضاح ج٢ ص : ٤٣٨ .
(٤) المصدر السابق ص : ٤٤١ .
(٥) المصدر السابق ص : ٤٤٢ .
(٦) سورة مريم الآية : ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانبساط . وساق الطيبي رأي الزمخشري في هذه الاستعارة الرافض لوجود تشبيهين في الآية وجعلها من الاستعارة التبعية بأن يجعل المشبه انتشار الشيب في الشعر والمشبه به اشتعال النار والجامع فُشُوّ الشيء في الشيء وردّ بأن هذا الاعتبار لا يمنع من الاعتبار الأول وأن مرجع التشبيهين في قول صاحب الكشاف إلى الاستعارة التمثيلية ، وذلك بأن شُبِّه الشيب وفشوه في الرأس وأخذه منه كل مأخذ بشواظ النار واشتعاله في الحطب فيسرع فيه الاحراق والجامع سرعة انبساط بياض في سواد مع تعذر التلافي (١) .

٢ - استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي كقوله تعالى : ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)) (٢) فالمستعار منه كَشْط الجلد والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر .

٣ - استعارة معقول قال تعالى : ((ولما سكت عن موسى الغضب)) (٣) المستعار منه مسك اللسان عن الكلام والمستعار له تفاوت الغضب على اشتداده إلى السكون والجامع الامساك عن الاغراء .

٤ - استعارة محسوس لمعقول قال تعالى : ((بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه)) (٤) استعار القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل والجامع إيراد الشيء على الشيء وإزالته عنه .

٥ - استعارة معقول لمحسوس قال تعالى : ((لما طغى الماء)) (٥) استعار منه التكبر والمستعار له كثرة الماء والجامع الاستعلاء المفرط .

٦ - استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي مثل قولك : (رأيت شمسا) وتريد إنسانا والجامع حسن الطلعة ونباهة الشأن .

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٤٥ ، والإيضاح ج٢ ص : ٤٢٧ ، والكشاف ج٢ ص : ٥٠٢ .
(٢) سورة يس الآية : ٣٧ .
(٣) سورة الأعراف الآية : ١٥٤ .
(٤) سورة الأنبياء الآية : ١٨ .
(٥) سورة الحاقة الآية : ١١ ، وهي عند القزويني ((لما طغى)) بدل (طغا) عند الطيبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمتتبع لهذه التقسيمات يجدها هي نفس التقسيمات التي قسمها القزويني وإن كان السكاكي قبله قد قسمها لكنه أهمل القسم السادس من هذا التقسيم (١) وقسم السكاكي الاستعارة إلى ثمانية أنواع : ((الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع، والاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع ، والاستعارة المصرح المحتمل التحقيق والتخييل، والاستعارة بالكناية ، والاستعارة الأصلية ، والاستعارة التبعية ، وتجريد الاستعارة وترشيحها)) (٢) .

وقبل أن ينتقل الطيبي إلى دراسة المجاز العقلي يتعرض لدراسة شرائط حسن الاستعارة ويرى بأنها على وجوه منها :

١ - أن لا تكون اللفظة مطلقة أي لم تعقب بصفات أو تفريغ كلام ملائم لأحد الطرفين بل تكون إما مجردة بأن يفرغ على المستعار له مثل : (حاورت بحرا جامعا للدقائق) . ومنها ما يجتمع فيها الترشيح والتجريد كقوله تعالى : ((أولئك الذي اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)) (٣) . ويذهب الطيبي مذهب من رأى أن الترشيح أبلغ من التجريد، وهذا نظرا لاشتماله على تحقق الاستعارة بأبلغ وجه التشبيه ، وصرف النفس عن توهمه حتى بني على علو القدر ما يبنى على العلو المكاني ، وهو ما ذهب إليه القزويني حيث يقول : ((والترشيح أبلغ من التجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة . ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه)) (٤) وهو رأي السكاكي كذلك .

ومن شروط الاستعارة كذلك أن لا تشم فيها من جانب اللفظ رائحة التشبيه ولذلك توصي في الاستعارة المصرحة أن يكون الجامع جليا

---

(١) ينظر تقسيم الاستعارة عن السكاكي في المفتاح ص : ٣٨٨ .
(٢) المفتاح ص : ٣٦٩ وما يليها . وشروح التلخيص للقزويني / أحمد مطلوب ص : ٣٨٠ .
(٣) سورة البقرة الآية : ١٦ .
(٤) الإيضاح ج٢ ص : ٤٣٤ ، والتبيان للطيبي ص : ٢٤٩ ، والمفتاح ص : ٣٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنفسه أو معروفا ، وإلا خرج إلى التعمية والألغاز ، وفي التخييلية أن تكون تابعة للمكنية في أن تذكر معها أو اللازم المساوي فإنه مشروط في المكنية وإذا لم تكن تابعة ولم يذكر معها اللازم استهجنت (١) . كما يجب أن تكون التخييلية مؤكدة لمعنى المشاكلة كما في قوله تعالى : ((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله)) (٢) . فقد أكد بقوله ((يد الله)) بعد التخييل معنى المشاكلة في ((يبايعون الله)) .

وكذلك من شروط حسن الاستعارة أن تكون بعيدة الغور لا تدرك في بدء الفكرة وكذلك أن تكون تفصيلية وأن يجتمع في الكلام عدة استعارات كقوله تعالى : ((فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)) (٣) . وفيها استعارتان أولهما استعارة مكنية حيث استعار القرية للأهل والثانية تحقيقية للذوى على الكسوة .

وأخيرا نقول أن الطيبي لم يكن سباقا إلى هذه الشروط فقد ذكرت قبله من طرف عبد القاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني . لِما رأوا فيها من مجال فني (٤) .

أما المجاز فكما ذكرنا فهو عند الطيبي : مجاز لغوي ، ومجاز عقلي . وبحث المجاز العقلي عند الطيبي لم يكن جديدا فقد سُبق في بحث التجوز في الاسناد فهذا الموضوع كان موضوع اهتمام النحاة والمتكلمين والبلاغيين منذ بداية الاشتغال بعلوم النحو والكلام

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٥١ ، ٢٥٢ .
(٢) سورة الفتح الآية : ١٠ .
(٣) سورة النحل الآية : ١١٢ .
(٤) أنظر أسرار البلاغة ص : ٢٠ وما يليها - الاستعارة وأقسامها - وانظر كتاب من قضايا النقد والبلاغة / عبد الرؤوف مخلوف مكتبة الفلاح ص : ٣٣٠ وما يليها .
وانظر كتاب مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين / أحمد عبد السيد الصاوي . منشأة المعارف ص : ١٣ وما يليها و ص : ١٩١ وما يليها . وينظر فن الاستعارة . أحمد عبد السيد الصاوي الهيئة المصرية العامة للكتاب ص : ١٥ - ١٩ - ٣٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبلاغة ، فاهتم به النحاة لأن موضوعه الحكم وهو موضع النفي والإثبات في الجملة وهو مناط الفائدة فيها ، واهتم به المتكلمون لاتصال صوره بموضوع أفعال الله وأفعال العباد ، واسناد الحكم والغي والاضلال وكل ما هو قبيح في نظرهم إلى المولى سبحانه فكان لا بد أن ينشط المانعون وأن يصرفوا هذا الاسناد عن وجهه وأن يثبينوا هذه الطريقة اللغوية وأن يفصلوا ملابساتها وقرائنها ، وقد اهتم الأدباء به لأنه طريقة من طرق الأداء يجري فيها الاسناد على غير المألوف(١) . فالطيبي كبقية البلاغيين عرف المجاز العقلي : ((وهو الكلام المحكوم فيه بخلاف ما عند المتكلم بالنزول)) (٢) وأعطى أمثلة كثيرة عن هذا الموضوع . ففي قول الموحد : « أنبت الربيع البقل » لما أنه رأى دوران الإنبات مع الربيع وجودا ، أو عد ما دوران الفعل مع اختيار القادر . حكم أنه من الربيع مبالغة . وقولهم : (كسا الخليفة الكعبة) . لما رأوا كسوة البيت مع أمره وجودا أو عد ما أسندوا إليه الفعل .

ويقصد الطيبي في تعريفه : ((بخلاف ما عند المتكلم)) هو احتراز عن أن يتفوه الدهري المخذول : ((بأنبت الربيع البقل)) ، لأنه لم يقصد فيه خلاف ما عنده ، ولذا لا ترى العلماء يحملون قول الشاعر (٣) :

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشي

على المجاز ما لم يعلموا أن قائله ما أراد .

واستدلوا على أن اسناد ((ميّزَ إلى الجذب)) في قول أبي النجم(٤) :

قد أصبحت أم الخيار تدعي عليّ ذنبا كله لم أصنع

ما أن رأت رأسي كرأس الأصلع ميز عنه قنزعا عن قنزع

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص : ٢١٤ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٢٥٤ ، أنظر أسرار البلاغة في المجاز اللغوي والعقلي والفرق بينهما ص : ٢٩٢ وما يليها .
(٣) البيت في المصباح ص : ٦٩ والإيضاح ج١ ص : ٩٩ .
(٤) المصدر السابق ص : ٦٩ والمصدر السابق ص : ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جذبه الليالي : أبطئي أو أسرعي .

فهذا مجاز بما أتبعه من قوله (١) :

أفناه قيل الله للشمس اطلعي

حتى إذا وراك أفق فارجعي

والتناول عند الطيبي هو احتراز عن الكذب وقد سمي هذا النوع مجازا لتعدي ، الحكم فيه عن مكانه الأصلي ويفسر الطيبي أكثر حتى تتضح الصورة البلاغية للقارىء ويقتنع . فالحكم على سبيل المثال في : ((أنبت الربيع البقل)) مكانه الأصلي ((أنبت الله البقل)) . وسماه عقليا لرجوعه إلى العقل دون الوضع . أي الصواضع ما قيد الفعل بأن يستعمل في القادر والمختار حتى إذا استعمل في غيره كان مجازا بل أطلق .

ويسوق الطيبي رأي الزمخشري مستشهدا به قال : ((قال جار الله : للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل : ((ختم الله على قلوبهم)) (٢) والمفعول به ((عيشة راضية)) (٣) وعكسه ((سيل مفعم)) والمصدر ((شعر شاعر)) والزمان ((نهاره صائم وليله قائم)) . والمكان ((طريق سائر)) و ((نهر جار)) ، ومن الأمثلة ما جاء في المجرور : ((فما ربحت تجارتهم)) (٤) أي التاجر في تجارته ، والظرف ((يوما يجعل الولدان شيبا)) (٥) أي في ذلك اليوم ، والمفعول به : ((تؤتي أكلها)) (٦) أي يؤتي الله الشجرة ثمرها والمضاف إليه : ((حتى تضع الحرب أوزارها)) (٧) . وقد استعمل في الانشائية أيضا قال تعالى : ((وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا)) (٨) .

---

(١) البيتان في المصباح ص : ٢٩ والإيضاح ج٢ ص : ٩٩ .
(٢) سورة البقرة الآية : ٧ .
(٣) سورة الحاقة الآية : ٢١ .
(٤) سورة البقرة الآية : ١٦ .
(٥) سورة المزمل الآية : ١٧ .
(٦) سورة ابراهيم الآية : ٢٥ .
(٧) سورة محمد الآية : ٤ .
(٨) سورة غافر الآية : ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقسم الطيبي هذا المجاز باعتبار طرفيه إلى أربعة (١) :

١ - أن يكونا حقيقيين وضعيين مثل : أنبت الربيع البقل .

٢ - أن يكونا مجازين وضعيين مثل : أحيا الأرض شباب الزمان .

٣ - أن يكون المحكوم به حقيقة وضعية والمحكوم عليه مجازا وضعيا مثل : أنبت البقل شباب الزمان .

٤ - عكسه نحو : أحي الربيع الأرض .

وإذا تتبعنا المجاز العقلي نجد أن الطيبي لم يخرج عن القاعدة التي تعورف عليها في هذا الموضوع ، فالمجاز العقلي عند القزويني : ((فهو اسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتاول)) (٢) . وأرجع القزويني العلاقة في المجاز العقلي قائلا : ((وللفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب وأعطى نفس الأمثلة التي نقلها الطيبي (٣) واختلف القزويني مع السكاكي في أن المسمى بالحقيقة العقلية في المجاز العقلي هو الإسناد في الكلام ، بينما اعتبره السكاكي ، الكلام لا الاسناد (٤) . ودرس السكاكي المجاز في علم البيان ثم أنكره واعتبره استعارة بالكناية ، أما القزويني فجعل المجاز العقلي في باب الاسناد من مباحث علم المعاني ورأى أنه موضوع قائم بذاته ، أما الطيبي فقد رتب ودرس المجاز العقلي في علم البيان واعتبره أصلا منه (٥) .

واختلف السكاكي مع الأصحاب كما يقول في تقسيمهم للمجاز إلى لغوي وعقلي واعتبره السكاكي استعارة بالكناية ثم جعل المجاز كله لغويا وقسمه إلى قسمين قال - رحمه الله - : ((على ما سبق أجعل

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ٢٥٩ ، والمفتاح ص : ٣٩٦ كيف وضع صور المجاز العقلي .
(٢) (٣) الإيضاح ج١ ص : ٩٨ .
(٤) المصدر السابق ص : ٩٨ ، والتبيان للطيبي ص : ٢٥٧ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٢٥٤ ، والمفتاح ص : ٤٠١ ، والإيضاح ج١ ص : ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز كله لغويا . وينقسم عندي هكذا إلى مفيد وغير مفيد)) (١) وهكذا فإن الطيبي لا يذهب مذهب السكاكي في تقسيمه هذا وخالفه مع أنه يذكر رأي السكاكي حيث يقول : ((وأعلم أن الشيخ نظم هذا المجاز في سلك الاستعارة بالكناية)) (٢) .

ويسوق الطيبي رأيه في هذا الموضوع بعد أن يستعرض أمثلة السكاكي فيقول : ((والأوجه أن يقال : إن المستعار له هو نهاره وإتيان الضمير لإيراد لفظ النهار المخصوص الذي هو مستعار له لا النهار المطلق فيندفع أيضا إيراد الفسّان أن جواز التركيب في نحو: أنبت الربيع البقل . متوقف على الأذن لأن المنهي هي التسمية على أن المعتزلة لا تلتزمه وأن نهاره تشبيه لذكر الطرفين ... وما ذهب إليه الشيخ هو الحق إذ من شرط هذا المجاز أن يكون العلاقة بين المذكور والمتروك التشبيه كما سبق وإلا لم يصح كما إذا قيل : أنبت الربيع البقل)) (٣) .

ثم يسوق الطيبي كذلك رأي الزمخشري قال قال جار الله : ((وقد يسند إلى هذه الأشياء عن طريق المجاز المسمى استعارة لمضاهاتها الفاعل كما يضاهي الرجل الأسد . وما هذا شانه إلا استعارة)) (٤) . فتذوق في المثال : ((والأمن مذهب ليله ونهاره)) فانظر إليه من ناحية الاستعارة ثم تفقد عند المجاز العقلي (٥) .

أما القسم الثالث من علم البيان فهي الكناية . والكناية لون من ألوان الخيال جاءت في أشعار العرب وفي نثرهم وجاءت في التنزيل الحكيم ، وقد اهتم بها البلاغيون وعرفوا قيمتها ومكانتها الفنية

---

(١) المفتاح ص : ٤٠١ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٢٥٩ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٢٦٠ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ٢٦٠ ، والكشاف ج١ ص : ١٦١ ، والمفتاح ص : ٤٠١ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجمالية ، والطيبي من البلاغيين الذين اهتموا بهذا الفن البياني ودرسه دراسة مستفيضة مستعينا بما تركه السلف - رحمهم الله - والكناية عنده : ((هي ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم لينتقل منه إلى الملزوم كما يقال : فلان طويل النجاد . أي طويل القامة وسميت كناية لما فيها من اخفاء وجه التصريح بالعلم)) (١) .

ويقسم الطيبي الكناية إلى قسمين :

أ - كناية مطلقة .

ب - كناية غير مطلقة .

أما الكناية المطلقة وهي التي يطلب بها نفس الموصوف وتأتي بمعنى واحد مثل قولك : "مضياف كناية عن زيد بسبب اختصاصه به ، أو بمجموعة معانٍ كقوله تعالى : ((الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)) (٢) فقد "عني بالمجموع المتقوم ، ولاستواء هذه الكناية بين المكنى ، والمكنى عنه يتمكن المتكلم من وضع الوصف مكان العلم كقوله تعالى : ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم)) (٣) إلى قوله : ((وإنا إلى ربنا لمنقلبون)) (٤) فجوابهم عن هذا السؤال إنما يكون الله فحسب فواضع الآيات موضعه . والمعنى لينسبن خلقها إلى الذي وصف لهذه الأوصاف .

أما الكناية غير المطلقة فقد قسمها إلى أربعة أقسام هي : الرمز ، والتلويح ، والإيماء ، والتعريض .

وبهذا التقسيم عارض الطيبي السكاكي والقزويني في أقسام الكناية فقد قسمها السكاكي إلى ثلاثة أقسام أحدهما طلب نفس الموصوف ، وثانيها طلب نفس الصفة ، وثالثها تخصيص الصفة بالموصوف.

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٦١ ، والمفتاح ص : ٤٠٢ ، والإيضاح ج٢ ص : ٤٦٢ ، والمصباح ص : ٧٠ .
(٢) سورة البقرة الآية : ٣ .
(٣) سورة الزخرف الآية : ٩ .
(٤) سورة الزخرف الآية : ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم أن الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة . أما الخطيب القزويني فقد قسم الكناية إلى ثلاثة أقسام وهي : الكناية المطلوب بها الموصوف ، والمطلوب بها صفة ، والمطلوب بها نسبة وأضاف نوعا رابعا وهو المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معا . وذكر الأنواع الأخرى التي ذكرها السكاكي (١) .

بعد هذه النظرة على الكناية عند السكاكي والقزويني نعود إلى الطيبي ونسايره كيف عالج قسم الكناية غير المطلقة :

١ - الرمز : وهو "ما يشار به إل المطلوب من قرب مع الخفاء". مثل قول زهير (٢) :

وللعيون رسالات مرددة تدري القلوب معانيها فتخفيها

وقد سمي هذا رمزا للطف الإشارة فيه . والمطلوب في هذا النوع نفس الصفة وقد يكون المطلوب في الاخفاء مراعاة الموصوف ، وفيها من بشاعة اللفظ كما في بعض الكنايات عن الجماع بالافضاء والغشيان واللمس . قال تعالى : ((وقد أفضى بعضكم إلى بعض)) (٣) ، ((فلما تغشاها)) (٤) ، ((أو لامستم النساء)) (٥) أو للاستهجان بالصفة قال تعالى : ((أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)) (٦) أو المدح للموصوف كقول الخنساء (٧) :

طويل النجاد رفيع العماد يساد عشيرته أمردا

٢ - التلويح هو ما يشار به إلى المطلوب من بعد مع خفاء ، والبعد هو أن "ينتقل إلى الملزوم بوساطة لوازم" وسمي تلويحا لبعد المطلوب وقد يكون المطلوب بها نفس الصفة كما في حديث أم زرع : ((زوجي رفيع

---

(١) ينظر أقسام الكناية في التبيان للطيبي ص : ٢٦١ ، والمفتاح ص : ٤٠٣ ، والإيضاح ج٢ ص : ٤٥٨ ، ٤٦٥ ، ٤٦١ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٢٦٢ .
(٣) سورة النساء الآية : ٢١ .
(٤) سورة الأعراف الآية : ١٨٩ .
(٥) سورة النساء الآية : ٤٣ .
(٦) سورة البقرة الآية : ١٨٧ .
(٧) البيت في ديوان الخنساء ص : ١٤٣ ، وفيه : ((رفيع العماد طويل النجاد)) بدل ((طويل النجاد رفيع العماد)) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من النال)) (١) .

٣ - الإيماء هو الكلام المشار به إلى المطلوب من قريب لا مع الخفاء ، يعني بعدم الخفاء قوة اللزوم ، وسمي إيماءً لظهور المشار إليه وهو إما لتخصيص الصفة بالموصوف قال زياد الأعجم (٢) :

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

وفي جانب النفي قول الشنفرى (٣) :

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامة حلت

أو لتخصيص الموصوف بالصفة قال (٤) :

من نور وجهك تضحي الأرض مشرقة ومن بنانك يجري الماء في العود

أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صورة الجود

وهذا النوع من الكناية وهو تخصيص الموصوف بالصفة زاده الطيبي على ما ذكره السكاكي وقد ذكره البهاء السبكي في عروس الأفراح وأشار أن الطيبي أضاف نوعا جديدا من الكناية (٥) .

ومنها كناية التخصيص كقوله تعالى : ((زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر)) (٦) . أما تخصيصها بأداة حصر فعلى مذهب الزمخشري قال : ((إن المزين لهم حبها هو إلا شهوات لا غير)) (٧) . ومنه نفي الشيء ينفي لازمه قال تعالى : ((تنبئون الله بما لا يعلم)) (٨) أي بما لا ثبوت عليه .

٤ - التعريض هو الكلام المشار به إلى جانب وإيهام أن الغرض جانب آخر ويسمي تعريضا لما فيه من التعوج عن المطلوب ، ويقال نظر إليه

---

(١) حديثها في أنوار الربيع ج٣ ص : ١٨٢ ، ١٨٣ .
(٢) البيت في المصباح ص : ٧٣ ، والإيضاح ج٢ ص : ٤٦٢ .
(٣) الشنفرى هو ثابت بن أوس الأزدي من الشعراء الصعاليك في الجاهلية وكان من أشهر عدائي العرب . البيت له : في المفتاح ص : ٤٠٩ ، والمصباح ص : ٧٣ ، والإيضاح ج٢ ص : ٤٦٥ .
(٤) البيت لأبي تمام في التبيان ص : ٢٦٩ .
(٥) عروس الأفراح ج٤ ص : ٢٦١ ، ٢٦٢ .
(٦) سورة آل عمران الآية : ١٤ .
(٧) التبيان للطيبي ص: ٢٧٠، ٢٧١ ، والكشاف ج١ ص : ٤١٦ .
(٨) سورة يس الآية : ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعرض وجهه أي بجانبه ، ومنه المعاريض في الكلام ، وهي التورية بالشيء عن الشيء» .

كما سئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال : ((لو شئت لذكرت الثالث)) أراد نفسه ولو صرّح لم يفخم .

وقوله تعالى : ((ورفع بعضهم درجات))(١) ويقصد به محمداً - صلى الله عليه وسلم - إعلاءً لقدره .

وساق الطيبي الكثير من أنواع التعريض كالاستعطاف منه ، والاحتراز عن المخافة أو الاهانة أو التوبيخ ، أو الاستدراج . ونبه الطيبي عن كناية استنبطها الزمخشري قال : ((هي أن تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر فتأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة والمجاز فتعبر بها عن مقصودك كما تقول في قوله تعالى : ((الرحمن على العرش استوى))(٢) ، وقوله تعالى : ((والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه))(٣) . وهي تصوير عظمته وكنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهتي حقيقة ومجاز (٤) .

واعترض الطيبي على هذا النوع من الكناية عند الزمخشري واعتبرها كناية من نوع الإيماء .

وذكر الطيبي اعتراض السكاكي على الزمخشري وقال -أي السكاكي- : ((إن هذا يفتح باب التأويلات الباطنية))(٥) . والحقيقة أن الزمخشري لم ينس أن ينبه على زلل التأويلات فقال : ((وما أتى الزالون إلا من

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٣ .
(٢) سورة طه الآية : ٥ .
(٣) سورة الزمر الآية : ٦٧ .
(٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص : ٥٥٢ ، والكشاف ج٣ ص : ٤٠٨ ، ٤٠٩ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٢٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلة عنايتهم بالبحث)) (١) .

ويختم الطيبي كلامه بالتأكيد على أن التشبيه أوكد في طرفي الترغيب والتنفير من سائر الصفات ، كما اتفق مع من اتفقوا على أن التشبيه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها جمالا وزادها كمالا والمجاز عنده أبلغ من الحقيقة لأنك فيه كمدعي الشيء ببيّنة لشهادة وجود الملزوم لوجود اللازم .

والاستعارة عنده «أقوى من التشبيه لأن فيه اعترافا بالنقصان وهو منتف فيها ومن سائر المجاز للادعاء».
والكناية أقوى من التصريح لأن الانتقال من اللازم إنما يتم فيها بشرط المساواة فيكون كالادعاء بالبينة ، أو لما فيها من تصوير حال المكني عنه كما في قولك : ((فلان كثير الرماد)) كناية عن جوده .

ويفرق الطيبي بين المجاز والكناية ، فالكناية عنده «لا تنافي إرادة الحقيقة ولا يمتنع في قولك : (فلان طويل النجاد) . أن يراد بطول النجاد مع طول القامة». أما المجاز فينافي ذلك .

والزمخشري صاحب اليد الطولى في التطبيق العملي للبلاغة على ما اشتمل عليه التنزيل فرق بين الكناية والتعريض (٢) قال : ((الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك : طويل النجاد والحمائل لطول القامة . وكثير الرماد للمضياف . والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره . كما يقال للمحتاج إليه : ((جئتك لأسلم ولأنظر لوجهك الكريم)) ، ولذلك قالوا : وحسبك التعريض مني تقاضيا وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده)) (٣) .

---

(١) الكشاف ج٣ ص : ٤٠٩ .
(٢) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص : ٥٤٥ .
(٣) المصدر السابق ص : ٥٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن الأثير فقد درس الكناية بمنهج يختلف تماما عن منهج الذين سبقوه وتقسيمه للكناية بعيد كل البعد عما تعارف عليه البلاغيون ، وتعرض كذلك للتفريق بين الكناية والتعريض ، قال في تعريف الكناية : ((إنها كل لفظة دلت على معنى يجوز عمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز)) (١) كما فرق بين الكناية والتشبيه ، فالكناية يجوز أن يقصد بها الحقيقة ، كما يقصد بها المجاز فهي تحمل على الجانبين معا ، أما التشبيه فإنه لا يجوز حمله إلا على جانب المجاز خاصة)) (٢) .

وقسم ابن الأثير الكناية إلى ضربين : أحدها يحسن استعماله والآخر يقبح استعماله ، وقسم ما يحسن استعماله إلى أربعة أقسام كما قسم الأرداف إلى خمسة أقسام (٣) .

أما التعريض فهو : ((اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي)) (٤) .

وقبل أن ننهي هذا العلم وهوعلم البيان بفنونه التي سردناها نورد أن الطيبي جمع الكثير من الآراء وناقشها واتخذ منها موقفا أعطى رأيه فيه .

علم البديع

قبل أن نلج باب فن البديع ونستعرض ما درسه العلامة من مواضيع وتقسيمات في هذا العلم ، نود إعطاء ولو إطلالة سريعة عن قضية اللفظ والمعنى ، أو كما نسميه نحن بلغة النقد الحديث - الشكل

---

(١) الجامع الكبير ابن الأثير / مصطفى جواد / جميل سعيد ، المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦ ، ص : ١٥٧ ، والمثل السائر ج٣ ص : ٥٨ .
(٢) دراسات بلاغية عند ابن الأثير ص : ١٧٦ .
(٣) المثل السائر ج٣ ص : ٥٨ وما يليها ، والجامع الكبير ص : ١٥٧ .
(٤) المثل السائر ج٣ ص : ٤٩ وما يليها ، والجامع الكبير ص : ١٥٧ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمضمون. فالعلماء اختلفت آراءهم وانقسموا إلى مؤيدين للفظ ومؤيدين للمعنى وفريق ثالث رأى أن الفصاحة لا تكون إلا باجتماع اللفظ والمعنى مع بعض .

والمتتبع لحركة التأليف في هذه المواضيع يصنف العلامة الجاحظ من أوائل العلماء الذين أثاروا هذه المشكلة في مؤلفاتهم ، ووقف مع من وقفوا بتأييد اللفظ على المعنى ((والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي ، والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير))(١) ولكن هذا لا يمنعنا من القول أن الجاحظ تعصب تعصبا شديدا للفظ ، ونحن مع الجاحظ لا ننسى أن نذكر أن الصراع العربي الأعجمي زاد من إثراء هذه البحوث حيث تباينت المواقف بين العرب والأعاجم ، فوقف العرب بجانب اللفظ وعظموه ، ووقف الأعاجم بجانب المعنى وعظموه كذلك ، وذهب ابن قتيبة (- ٢٧٦ هـ) : إلى أن البلاغة لا تقتصر على اللفظ فهي قد تكون فيه فقط وقد تكون في المعنى فقط وقد تكون فيهما معا ، وقد تنقصهما جميعا . فليس اللفظ وحده هو الذي يعطي النماذج الأدبية قيمتها من فن وجمال ، فالمعنى يشركه في ذلك إذ يوصف بالرداءة والقبح كما يوصف بالجودة والجمال ، وتحدث قدامة بن جعفر (-٣٣٧هـ) عن هذا الموضوع واشترط شروطا في اللفظ بأن يكون : ((نعت اللفظ سمحا ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة))(٣) ولعبد القاهر الجرجاني يد طولى في هذا الموضوع في كتابيه ((أسرار البلاغة)) و ((دلائل الإعجاز)) إذ يقول : ((ولن تجد أيمن طائرا ، وأحسن أولاً

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ / عبد السلام محمد هارون ط٣ بيروت ج٣ ص : ١٣١ ، ١٣٢

(٣) نقد الشعر ص : ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وآخرا ، وأهدى إلى الإحسان ، وأجلب للاستحسان من أن ترسل المعاني على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتمل إلا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها)) (١) . وعبد القاهر بقدر ما اجتهد وأعطى فعنده لكي تكتمل الصورة لا بد من وسائل وأساليب لها حتى تمعن منها مقبولة حسنة ومع ذلك فالمتتبع لآراءه يرى بأنه لا قيمة عنده للكلام في لفظه أو معناه وإنما هو الترابط بينهما وهذا ما وصل به إلى القول بنظرية النظم ، والنظم عنده ليس إلا توخي معاني النحو وتعلق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض (٢) . وقد ذهب ابن خلدون إلى أن ((صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ، وإنما المعاني تبع لها وهي أصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ يحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر في استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربّي عليها في جيله ، ويفرض نفسه مثل وليد نشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم ، في لسانهم ويرى أن المعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج إلى صناعة)) (٣) . وذهب ابن رشيق (- ٤٥٦ هـ) : ((إن اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ ، كان نقصا للشعر وهجنه عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظا كالذي يعرض الأجسام من المرض بمرض الأرواح ولا تجد معنى

---

(١) أسرار البلاغة ص : ٩ .
(٢) القزويني وشروح التلخيص / د. أحمد مطلوب ص : ٢٥٦ .
(٣) مقدمة ابن خلدون (- ٨٠٨ هـ) دار البيان مج١ ص : ٥٧٧ ، وينظر مناهج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني (- ٦٨٤ هـ) محمد الحبيب بن الخوجة ص : ١٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والروح . فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، كذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى . لأنا لا نجد روحا في غير جسم البتة)) (١) . أما ابن الأثير الذي عول عليه العلامة الطيبي في باب الفصاحة وكنا قد ذكرنا هذا في الفصل الأول ، فقد تعرض ابن الأثير لدراسة الفصاحة والبلاغة حتى انكشف له السر في ذلك وذكر ثلاثة اعتراضات على فصاحة اللفظ وهي :

- إذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا وعكسه صحيح .
- رأى اللفظ البين الفصيح هو الذي يستخدمه الفصحاء وعكسه صحيح .
- إذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بيّن ينبغي والحال هكذا أن يكون بينا وهذا غير صحيح لأن الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبحه (٢) .

ولم يكن ابن الأثير من دعاة التفرقة بين اللفظ والمعنى بل برأيه هذا يريد أن يوضح ما يجب أن تكون عليه الألفاظ : ((وليس لقائل ههنا لا لفظ إلا بمعنى ، فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى ، فإني لم أفصل بينهما وإنما خصصت اللفظ بصفة هي له والمعنى يجيء فيه ضمنا وتبعا)) (٣) . ويأتي الخطيب القزويني ببحثه عن الفصاحة ويخالف كل الذين سبقوه فهو لم يدرس الفصاحة لا في علم المعاني ولا في علم البيان ولا في علم البديع وإنما جعلها مقدمة لكتابه الإيضاح (٤) ، وتعرض القزويني إلى معنى الفصاحة والبلاغة ، وإلى فصاحة المفرد وتنافر الحروف ، والكلمات الغريبة ، كما درس فصاحة

---

(١) العمدة لابن الرشق ج١ ص : ١٢٤ .
(٢) المثل السائر ج١ ص : ١١٣ .
(٣) المصدر السابق ج١ ص : ١١٦ .
(٤) ينظر الإيضاح ج١ ص : ٧٢ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام وذهب إلى ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد اللفظي وكذلك التعقيد المعنوي ، ثم ينتقل إلى فصاحة المتكلم وبلاغة الكلام وبلاغة المتكلم ولا ينسى أن يستعرض ما ذكره عبد القاهر الجرجاني عن بلاغة النظم وصلتها بالنظم واستعرض ما قاله الجاحظ عن المعاني والألفاظ (١) هذا كل ما ذكره القزويني في بحثه هذا والواضح مما قاله أنه تعصب لرأيه ولم يستفد من بحوث سلفه كابن سنان وابن الأثير .

بمجيء الطيبي وجد أن السلف قد خلفوا إرثا بلاغيا عظيما في هذا الميدان فأفاد منهم إفادة عظيمة فعلم البديع عنده : ((هو معرفة وجوه تحسين الكلام . والتحسين إما راجع إلى المعنى أو إلى اللفظ أو إليهما جميعا)) (٢) وبتعريفه هذا اتخذ موقفا وسطا فهو لم يؤيد اللفظ على المعنى ولا المعنى على اللفظ فالتحسين عنده يمكن أن يكون في اللفظ أو يكون في المعنى أو يرجع إليهما الاثنين معا . وقسم بحثه إلى بابين ، باب يُبحث فيه اللفظ وهو وظيفة الفصاحة ، والباب الثاني يبحث فيه المعنى واللفظ والمعنى مع بعضها وهو وظيفة البلاغة ولم يكن تعريف الطيبي جديدا في البلاغة بل هو قريب من تعريف القزويني : ((هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة)) (٣) . وقسم الطيبي علم البديع إلى بابين : الباب الأول في التحسين الراجع إلى المعنى وقسمه إلى عدة أنواع نذكر منها : الالتفات - التجريد - الخطاب العام - والتغليب - والتجاهل - الأسلوب الحكيم - والتوجيه - واللغز - والابداع - كما عقد فصلا في بدائع النحو بين وذكر المذهب الكلامي وحسن التعليل والمراجعة والاطراق والكلام الجامع وإيراد المثل (٤).

---

(١) ينظر الإيضاح ج١ ص : ٧٢ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٢٨٣ .
(٣) الإيضاح ج٢ ص : ٤٧٧ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ٢٨٤ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الباب الثاني فقد خصصه للتحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى وذكر فيه : المطابقة ومنها المقابلة والمشاكلة والمزاوجة ومراعاة النظير وقد قسم هذا الأخير إلى :

أ - ائتلاف اللفظ والمعنى .

ب - ائتلاف اللفظ مع اللفظ .

ج - ائتلاف المعنى مع المعنى .

والتكرير ومنه الترجيع ، والطرد ، والعكس ، والتشبيب ، والتذييل ، والتكميل والإيغال ، والتتميم ، والترقي ، والاعتراض ، والاستطراد ، والاستتباع ، والادماج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم والرجوع ، والتفويف ، والتطريز والارصاد ، والتفسير الخفي ، واللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم ، والجمع مع التقسيم مع الجمع ، والتضمين والاقتباس ، والعقد ، والحل والتلميح . وعقد فصلا سماه - في حسن ملاءمة الكلام قصدا أو غير قصد - وقسمه إلى خمسة أقسام هي : النسخ ، والسلخ ، والمسخ ، والاحتذاء ، والموازدة . وختم هذا الباب بخاتمة سماها ((في حسن ملاءمة الكلام)) واشترط فيه على المتكلم أن يتأنق فيما يورده من كلامه في أربعة مواضع حتى يكون جيد السبك عذب اللفظ بديع المعنى وهذا في : المطلع ، والمخلص ، والمطلب ، والمقطع .

ثم يعقد الطيبي فصلا مستقلا في الفصاحة وكل هذا داثما في علم البديع ، وتعرض لدراسة الفصاحة واعتمد على ما ذكره ابن الأثير في كتابه المثل السائر ، ويؤكد أنه لم يجد ما يعول عليه في الفصاحة إلا ما أودعه الإمام الفاضل ابن الأثير (١) . ثم ينتقل إلى تعريف الفصاحة فهي في اللغة الظهور والبيان . يقال أفصح الصبح إذا ظهر .

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ٤٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - : ((وأخي هارون هو أفصح مني لسانا)) (١) أي أبين قولا . وفي الصناعة هي كون اللفظ بينا حسنا في حالتي إفراده وتركيبه . ويرى الطيبي في قول من قالوا : إن الفصاحة هي صفة راسخة يقتدر بها المتكلم على التعبير عن المقصود بلفظ بيّن حسن في حالتي الافراد والتركيب ، ويعني بالصفة الراسخة ثبوتها في المتكلم أم الاقتدار فهو شمول حالتي النطق وعدمه ، ويبيّن اللفظ الذي على الألسنة أدور،وبحسن في حالتي الإفراد عذوبة اللفظ وسلاسته أما في حالة التركيب فهي ملاءمة التاليف ويمكن التوصيف .

ويرد الطيبي على ما قيل في التنزيل ما لم يتضح». فيجيب بأن الغموض من جهة التركيب لا ينافي البيان كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله)) (٢) . فإن المفردات معلومة لكن المعنى من حيث إن الشرط والجزاء شيء واحد مفتقر إلى التاويل . يقال : هي الهجرة الكاملة المعروفة التي تستاهل أن تسمى هجرة وأن غيرها ليست بهجرة».

وينتقل الطيبي إلى تعريف البلاغة وهي عنده الوصول والانتهاء يقال : بلغته المكان إذا انتهيت إليه ومبلغ الشيء منتهاه . وفي الصناعة بلوغ المتكلم في تادية المقصود الغاية من رعاية حسن اللفظ وتوفية المعنى بحسب اقتضاء المقام .

ويرى أن «الفصيح يبحث عن معرفة الألفاظ المفردة ، ثم عن معرفة كل لفظة مع صاحبتها». أما البليغ فيبحث عنهما ، وعن تطبيق الكلام فيما يقتضي المقام ، فإذا الفصاحة تختص باللفظ،والبلاغة تعم اللفظ والمعنى ، ويقال للفظ المفرد الفصيح لا بليغ ، فعلى هذا كل بليغ فصيح

(١) سورة القصص الاية : ٣٤ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٤٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا ينعكس (١) ويختم كلامه هذا بضرب مثل نقله من كتاب المثل السائر لابن الأثير : ((وذلك أن الكلام كالإنسان ، والفصاحة في التركيب كالحسن في الجسم ، وفي المفرد في كل عضو والبلاغة كالروح فيه فإذا حسنت الأعضاء وتناسبت التراكيب وكملت الروح بلغ الغاية في الجمال والكمال)) (٢) . ثم يقسم الطيبي هذا الباب إلى قسمين :

أ - الباب الأول : في أوصاف اللفظة المفردة .

ب - الباب الثاني : في أوصاف التراكيب .

وقسم الباب الأول إلى ستة أقسام :

١ - ما يكون تركيبها من الحروف اللذيذة العذبة لأنها أصوات ولها مخارج تشبه المزامير ولكل شقبه منها صوتٌ يخصها . ولهذا يجب أن يجتنب من الحروف ما يضيق به مجال التلفية مثل : ((تخذ شط)) ويجتنب في التأليف عما قرب مخارجها سيما حروف الحلق فإنها متناهية في الثقل مثل قول الأعرابي عندما سئل عن ناقته قال : ((تركتها ترعى الهعخع)) .

٢ - أن يجتنب في التركيب عن الزائد على الحركتين المتواليتين وعن الحركة الثقيلة على بعض الحروف كالضمة على نحو : جُزءٍ سيما إذا ضُمّ معه ضَمّ الزاي ولو فُتح أو فتحا أو كُسر حسن .

٣ - أن تكون اللفظة متوسطة بين كثرة الحروف وقلتها .

٤ - أن لا تكون اللفظة وحشية غير معروفة أو مألوفة لأنها تخالف الظهور والبيان كما روي عن عيسى النحوي (٣) أنه سقط عن دابته فاجتمع عليه الناس فقال : ((ما لكم تكاكأتم عليّ تكاكؤكم على ذي جنة ؟ افرنقعوا عني)) . وكذا الفرق بين المدامة والسيف والأسد ولفظ الإسفنط والخنشليل والفدوكس .

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٤٦٩ .
(٢) ينظر المثل السائر ص : ٩٤ ، والتبيان للطيبي ص : ٤٦٩ .
(٣) ذكر القول ونسب في سر الفصاحة إلى : أبو علقمة ، ص : ٧٠ وفيه تتكاكؤون مكان تكاكأتم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ - أن لا يكون اللفظ مبتذلا والابتذال نوعان :

أ - ما غيرته العامة من أصل الوضع كلفظ ((الصّرم)) .

ب - ما تكون سخيفة في أصل الوضع كلفظ ((اللقالق)) في قول المتنبي (١) :

وملهومة سيفية ربعية تصيح الحصا فيها صياح اللقالق

٦ - أن لا تكون اللفظة مشتركة بين معنيين مثل قولك : (لقيت فلانا فعزّرته)). لاحتمالها أنك ضربته أو أكرمته .

ويختم الطيبي هذا الباب بخاتمة يرى فيها أن بعض الألفاظ لو غيّرت لانقلب قبحها إلى حسن وأعطى مثالا بلفظة ((ودَعَ)) .

فقد جاءت هذه اللفظة في قول أبي العتاهية بشعة (٢) :

وكان ما قدموا لأنفسهم أعظم نفعا من الذي ودعوا

لأنه استعملها في الفعل الماضي وعكسها عند المتنبي في قوله (٣) :

تشقكم بقناها كل سلهبة والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع

وأحسن منه جميعا ما جاء في قوله - عز وجل - : ((ودع أذاهم وتوكل على الله)) (٤) بصيغة الأمر . وكذا في لفظة الأرض أن تجيء مفردة قال : ((ومن الأرض مثلهن)) (٥) .

والحقيقة أن الطيبي لم يكن سباقا في هذه الدراسة وهذه التقسيمات بل اعتمد بآراء كثيرة للخليل بن أحمد (- ١٧٥هـ) وابن سنان والزمخشري والسكاكي وابن الأثير (٦) .

أما الباب الثاني في علم البديع فقد خصصه لدراسة أوصاف التراكيب وهي عنده خمسة أقسام: الصفة الأولى ما تكون مصبوبة في

---

(١) البيت في المثل السائر ج١ ص : ٢٥٨ .
(٢) المصدر السابق ج١ ص : ٣٨٣ .
(٣) المصدر السابق ج١ ص : ٣٨٢ ، وفيه بدل : (تشقكم بفتاها) .
(٤) سورة الأحزاب الآية : ٤٨ .
(٥) سورة الطلاق الآية : ١٢ .
(٦) ينظر التبيان للطيبي ص : ٤٧٠ وما يليها في أوصاف اللفظة المفردة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالب الصنعة البديعية مما يختص بحسن اللفظ وقسمها كذلك إلى سبعة أقسام أو أنواع . والنوع الأول منها الجناس وقسمه إلى جناس تام ، وجناس ناقص ، والزائد ، والمضارع ، واللاحق ، والمركب ، والمزدوج ، والخطي ، والمشوش ، والاشتقاقي ، والقلبي ، والتجنيس بالإشارة فهذه التقسيمات الطويلة والتي خالف بها الطيبي سلفه من البلاغيين إذ ذكروها لكن لم تكن بهذا التفصيل الدقيق فابن الأثير يقسم الجناس إلى سبعة أقسام بالرغم من إطنابه في هذا الفن (١) . أما النوع الثاني من الصفة الأولى فالعكس ، والتبذيل ، والثالث رد العجز على الصدر ، والرابع التصريع ، والخامس الترصيع ، والسادس السجع والسابع لزوم ما لا يلزم ويسمى كذلك الاعنات (٢) .

أما الصفة الثانية وفيها المعاظلة وهي تعقيد الكلام وتراكبه وهي لفظية ومعنوية وقسم اللفظية إلى خمسة أنواع :

١ - أن ترد حروف متراكبة منها ما قبح ومنها ما لم يقبح .

٢ - أن ترد ألفاظ متكررة الحروف .

٣ - أن ترد أفعال شتى متتالية .

٤ - أن ترد صفات مترادفة .

٥ - أن ترد مضافات متوالية .

وكذلك من أوصاف التراكيب المنافرة في الكلام والمطابقة .

هذه هي أهم المواضيع التي عالجها الطيبي ، والمتتبع لكتابه وخاصة موضوع علم البديع يرى بأنه خصص له شطرا كبيرا من الكتاب وكأنه مولع بالبديع كالمغاربة كما قال العلامة ابن خلدون (- ٨٠٨ هـ): ((وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن أقوم من المغاربة

---

(١) المثل السائر ج١ ص : ٣٤٢ وما يليها ، وانظر فن الجناس علي الجندي دار الفكر العربي ص : ١٤٧ وما يليها .

(٢) التبيان للطيبي ص : ٤٨٠ وما يليها ، وينظر كتاب البديعيات في الأدب العربي . علي أبو زيد عالم الكتب ط١ ١٤٠٣ هـ ص : ٨٥ ، ١٣١ ، ٢٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- والله أعلم - أنه كمالي في العلوم اللسانية والصنائع الكمالية توجد في العمران والمشرق أوفر عمرانا من المغرب أو نقول لعناية العجم وهو معظم أهل المشرق)) (١) فالمشارقة اهتموا بالمعاني والبيان،والمغاربة اهتموا بالبديع وأشهر من كتب في هذا العلم العلامة ابن رشيق القيرواني (-٤٥٦هـ) .

وعلم البديع من العلوم التي اهتم ببحثها العلماء الأوائل مع أنهم لم يطلقوا على مواضيعه اسم علم البديع ، وكان لكتاب ((البديع)) الذي ألفه الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز دفع جديد لهذا العلم خاصة من ناحية تقدمه وتطوره على الرغم أنه لم يحدد مواضيع هذا العلم وتعرض في كتابه لدراسة بعض المواضيع الخارجة عن هذا العلم كالاستعارة والكناية والتشبيه (٢) وذكر قدامة بن جعفر أنواعا كثيرة في كتابه نقد الشعر كالتصريع والسجع والجناس والطباق والالتفات (٣) وتكلم العلامة ثعلب (- ٢٩١ هـ) في كتابه قواعد الشعر عن حسن الخروج وعن لطافة المعنى وعرفه بأنه الدلالة بالتعريض على التصريح (٤) وهو نفس ما سار عليه أبو هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني الذي بحث في البديع لكنه لم يجعله علما مستقلا وأطلق اسم البديع على التشبيه والتمثيل والاستعارة والطباق وحسن التعليل وتعرض الزمخشري في كتابه الكشاف إلى أنواع من علم البديع مثل المشاكلة واللف والاستطراد والتفصيل والكلام الموجه والتورية والازدواج والمقابلة والطباق والتجانس وتأكيد المنع والادماج (٥) كل هذه البحوث لم تحدد هذه المواضيع وتحصرها تحت علم البديع إلا بمجيء العلامة بدر الدين بن مالك فحصر مواضيع

---

(١) مقدمة ابن خلدون مج١ ص : ٥٥٢ .
(٢) البديع لابن المعتز ص : ١٩ ، ١١٥ ، ١٢١ .
(٣) نقد الشعر ص : ٨٦ ، ١٥٠ .
(٤) كتاب قواعد الشعر لثعلب (- ٢٩١ هـ) د. محمد عبد المنعم خفاجي ط١ ١٣٦٧ هـ مكتبة مصطفى البابي وأولاده ص : ٤٣ ، ٥٠ .
(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص : ٥٧٧ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علم البديع وعرفه بقوله : ((هو معرفة توابع الفصاحة)) (١) .

والمتتبع للبديع يلاحظ أن هناك قفزة كبيرة في دراسته خلال القرنين السادس والسابع للهجرة ويأتي العلامة السكاكي بكتابه المفتاح . فبقدر ما اهتم بعلمي المعاني والبيان اهتم كذلك بالمحسنات ورأى فيها بأنها محسنات أو وجوه كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين . وذكر ستة وعشرين نوعا منها وترك باب الاجتهاد مفتوحا لمن يريد البحث فيها : ((فلك أن تستخرج من هذا القبيل ما شئت وتلقب ذلك بما أحببت)) (٢) . والواضح من هذه العبارة أن السكاكي كان يدرك تماما أن هناك أنواعا أخرى يمكن استخراجها من هذا العلم واضافتها إلى ما استخرجه هو منها . موضحا من كلامه أن باب البحث والتدقيق مفتوح دائما في العلوم وهذه هي صفة العلماء الذين يقدرون المواهب الباحثة ولا يتعصبون لما توصلوا إليه ويحكمون عليه بأنه جامع مانع .

والبلاغة عند السكاكي : ((بمرجعيها والفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليه لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الاعراف منها وهي قسمان : قسم يرجع إل اللفظ وقسم يرجع إلى المعنى))(٣) . أما ما يرجع إلى المعنى فمنها : المطابقة والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظير والمزاوجة ، واللف والنشر ، والجمع والتفريق والتقسيم ، والجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق مع التقسيم ، والايهام ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والتوجيه وسوق المعلوم مساق غيره ، والاعتراض ، والاستتباع والالتفات وتقليل اللفظ .

---

(١) المصباح ص : ٧٥ .
(٢) المفتاح ص : ١٩٦ .
(٣) المصدر السابق ص : ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا ما ذكره السكاكي في المحسنات المعنوية وقد أضاف الطيبي على ما ذكره السكاكي الجمع مع التقسيم مع الجمع (١) .

أما المحسنات اللفظية فذكر منها السكاكي : التجنيس ، ورد العجز على الصدر ، والقلب ، والسجع ، والفواصل ، والترصيع ، هذه هي أهم الفنون في المحسنات اللفظية والمعنوية التي تعرض العلامة السكاكي لدراستها وإذا ما وازناها مع ما ذكره الطيبي فقد زاد عليه أنواعا كثيرة لم يذكرها .

وإذا كان السكاكي قد وضع في قفص الاتهام بتجميد البلاغة ، وجعلها مادة جافة عندما قننها ، فقد اتّهم مرة أخرى بعدم اهتمامه بالمحسنات وركز جهده كاملاً في علمي المعاني والبيان . فما ذكرناه سابقاً عنه وما قاله كافٍ أن يرد التهمة عنه لأنه في تلك الفترة الزمنية بالضبط لم تحصر البلاغة ولم تحدد مواضيع كل علم .

إذن فالذين يتهمون السكاكي بتجميده للبلاغة ماذا يريدون من وراء هذا الاتهام خاصة ونحن الآن في عصر الحصر والتقنين ، فلولا هذا الحصر كيف يمكننا أن نطرح سؤالاً على طلابَ قسم العربية مثلاً وأن نطلب منهم أن يعرفونا بعلم المعاني والبيان والبديع فكما كانت هذه العلوم قبل تقنينها تعيش في فوضى المؤلفات فحتماً يكون جواب الطلبة جواباً فوضوياً فالتقنين لم يجمد البلاغة ولكن رتبها لأن أي شاعر أو خطيب إذا ما أراد أن يزين أشعاره أو خطبه بأي لون من ألوان البديع فالمجال مفتوح أمام عبقريته ، ونعود فنقول إن التقنين لم يضع حواجز أو مواصفات لاستعمال هذه العلوم البلاغية بل كل ما قام به هو تحديد لمواضيعها تحت علوم . واستعملْ أنت ما شئت فعلى هذا الأساس نقول إذا كان الضعف قد دبّ فينا نحن الآن ولم تعد لنا قدرة سلفنا فلا داعي أن نلفقهم التهمة حتى نكذب على أنفسنا

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ٤٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بانهم هم السبب في ما وصلت إليه حالنا اليوم .

نقول هل نحن أتينا ببديل لمنهج السكاكي ؟ هل بانتقادنا هذا أخرجنا البلاغة من الجمود ؟

ويأتي الخطيب القزويني صاحب الإيضاح ، وشروح التلخيص ويعتبر من البلاغيين البارزين الذين اهتموا بالقسم الثالث من كتاب المفتاح للسكاكي ، والقزويني من البلاغيين الذين طارت شهرتهم ، وبقيت كتبه تدرس في الجامعات إلى وقت قريب،عرّف البديع قائلاً : ((هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقية في مقتضى الحال ووضوح الدلالة)) (١) ورأى وجوه التحسين منها يرجع إلى المعنى ومنها ما يرجع إلى اللفظ .

أما ما يرجع إلى المعنى عنده فقد ذكر : المطابقة وسماها الطباق ، والتضاد ، والمقابلة ، ومراعاة النظير ، والارصاد ، والمشاكلة ، والاستطراد ، والمزاوجة ، والعكس والتبديل ، والرجوع ، والتورية ، والاستخدام ، واللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتجريد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامي ، وحسن التعليل والتفريع ، وتاكيد المدح بما يشبه الذم وتاكيد الذم بما يشبه المدح ، والاستتباع ، والادماج ، والتوجيه ، والهزل الذي يراد به الجد ، وتجاهل العارف ، والقول بالموجب ، والاطراد .(٢)

أما من المحسنات اللفظية فذكر : الجناس، ورد العجز على الصدر ، والسجع ، والموازنة ، والقلب ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم (٣) . فقد ذكر القزويني ثمانية وثلاثين نوعاً بديعياً ما بين المعنوي واللفظي ، وذكر بعض الألوان البديعية في علم المعاني :

---

(١) الايضاح ج ٢ ص : ٤٧٧ .
(٢) المصدر السابق : ٤٧٧ إلى ص ٥٣٤ مشتملة على المحسنات المعنوية .
(٣) المصدر السابق : ٥٣٥ إلى ص ٥٥٤ مشتملة على المحسنات اللفظية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالالتفات والأسلوب الحكيم ، والقلب والتغليب (١) . أما الفنون البديعية التي زادها القزويني على ما ذكر السكاكي في المحسنات المعنوية هي : الإرصاد ، والعكس ، والرجوع ، والاستخدام ، والتجريد ، والمبالغة ، والمذهب الكلامي ، وحسن التعليل ، والتفريع ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والادماج ، والهزل الذي يراد به الجد ، والقول بالموجب ، والاطراد ، والاستطراد أما ما زاده في المحسنات اللفظية : الموازنة ، والتشريع ، ولزوم ما لايلزم .(٢)

وقبل أن ينهي القزويني علم البديع ذكر شرط الحسن في البديع اللفظي مؤيداً ما قاله عبد القاهر الجرجاني :((هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني ، فإن المعاني إذا أرسلت على سجيتها وتُركت ما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ولم تكتس لولا ما يليق بها)) (٣) .

وأنهى هذا الفن قائلاً :((هذا ما تيسر - بإذن الله تعالى - جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين))(٤) وذكر ملحقات يجب إهمالها ، وملحقات لامانع من ذكرها وهي السرقات الشعرية : النسخ والمسخ والسلخ .

والدارس لكل من بلاغة الطيبي وبلاغة القزويني يستخلص أن هناك تقارباً كبيراً بينهما في دراسة المواضيع والفنون البديعية إلا أنهما يختلفان في الترتيب والتقسيم فقد نجد ما وضعه القزويني في علم البديع في التحسين الراجع إلى المعنى قد وضعه الطيبي في التحسين الراجع إلى اللفظ وهذا اختلاف فكري واجتهاد شخصي ومنهج جديد في الدراسة فقد وضع الطيبي : المقابلة ، والمشاكلة ، ومراعاة

---

(١) الإيضاح ج١ ص : ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨١ .
(٢) القزويني وشروح التلخيص أحمد مطلوب ص : ٤٢٩ ، ٤٣٠ .
(٣) الإيضاح ج ٢ ص : ٥٥٤ ، ٥٥٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٥٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النظير ، والاستطراد ، واللف والنشر ، والاستتباع والادماج ، والتفويف، والإرصاد ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتفريق ، والجمع ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق مع التقسيم ، والجمع مع التقسيم مع الجمع - وهذا مما زاده الطيبي ولم يذكره القزويني - . هذه الفنون وضعها القزويني في التحسين الراجع إلى المعنى بينما ذكرها الطيبي في التحسين الراجع إلى اللفظ . كما خالف الطيبي القزويني في ترتيب فنون أخرى في علم البديع فقد عقد الطيبي فصلاً تحت التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى وسماه فصل في ((في اتفاق الكلام من قصد أو غير قصد)) وذكر فيه خمسة أنواع هي : النسخ والسلخ والمسخ ، والاحتذاء ، والموازدة . بينما خصص لها القزويني فصلاً مستقلاً تحت عنوان ((القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها)) وذكر النسخ وهو الانتحال ، والمسخ وهو الإغارة ، والسلخ وهو الإلمام ، والنقل ، والقلب (١) .

كما عقد الطيبي تحت باب التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى موضوعا تحت عنوان :((في حسن ملاءمة الكلام)) وذكر فيه أربعة أنواع : المطلع ، والمخلص ، والمطلب ، والمقطع . أما القزويني فقد خصص لها الفصل الثاني بعد الفصل الأول الذي ذكرناه . وقال :((لاينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظاً ، وأحسن سبكا ، وأصح معنى))(٢) . وهي عنده : الإبتداء والتخلص ، والإنتهاء (٣) .

وذكر الطيبي : التضمين ، والاقتباس ، والعقد ، والحل ،

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ٤٥٥ وما يليها والإيضاح ج ٢ ص: ٨٨٧ وما يليها .
(٢) الايضاح ج ١ ص : ٥٩١ .
(٣) المصدر السابق ص : ٥٩١ وما يليها ، والتبيان للطيبي ص : ٤٥٥ وما يليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتلميح في التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى بينما ذكرهم القزويني في فصل السرقات الشعرية (١)، وأدخل الطيبي بعض المواضيع: كالالتفات، والأسلوب الحكيم، والتغليب في علم البديع بينما اعتبرها القزويني من علم المعاني.

ثم يعقد الطيبي فصلاً خاصاً بالفصاحة ويقسمها إلى قسمين أو بابين، الباب الأول خصصه في أوصاف اللفظة المفردة ويذكر فيه شروطها، أما الباب الثاني خصصه في أوصاف التراكيب وقسّمه إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

أ - الجناس، والعكس والتبديل، ورد العجز على الصدر، والتصريح، والترصيع، والسجع ولزوم ما لايلزم.

ب - المنافرة.

ج - المطابقة.

فما ذكره الطيبي سابقاً رتّبه القزويني في التحسين الراجع إلى اللفظ مثل: الجناس، ورد العجز على الصدر، والسجع، والموازنة، والقلب، والتشريع، ولزوم ما لايلزم (٢).

وبهذا يختلف الطيبي مع من سبقوه من البلاغيين في ترتيب ودراسة المواضيع البلاغية وبانتهاج الطيبي هذا المنهج فهذا راجع إلى استفادته من الدراسات والتقسيمات التي انتهجها قبله الذين سبقوه فنظر نظرة جديدة وحدد منهجاً جديداً في البحث والدراسة واستنتاج النتائج.

وحتى نبين هذا الاجتهاد والاختلاف نود أن نورد نموذجاً للتوضيح في الدراسة حتى نبين إتجاه كل علامة. فهذا القزويني الذي

---

(١) الإيضاح ج١ ص: ٥٧٥ وما يليها، التبيان للطيبي ص: ٤١٣ وما يليها.
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص: ٥٣٥ وما يليها. المصدر السابق ص: ٤٦٧ وما يليها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدخل بعض المواضيع البلاغية في علم المعاني : كالتكميل، والإيغال، والتتميم ، والتكرير ، والتذييل وبحثها في باب الاطناب بينما اعتبرها الطيبي من فنون البديع وحتى يكون قولنا واضحاً أن الطيبي سار على نهج الذين اعتبروها من البديع ، ولكن مجهود الطيبي يبقى واضحاً في جمعها وحصرها تحت هذا العلم بينما كانت تدرس كمواضيع مستقلة لها أبوابها وتقسيماتها .(١)

ونُعطي موضوع التكرار نموذج للدراسة ونبين إتجاه كل واحد منهما . فالقزويني درس التكرار في باب الاطناب وأدخله في علم المعاني ، بينما درسه الطيبي في علم البديع وأدخله في التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى . وهنا نطرح السؤال لماذا اختلف الرجلان في الترتيب والدراسة ؟ .

فإذا ما نظرنا إلى ترتيب القزويني نقول : نعم إن التكرار هو إطناب في الكلام والشواهد تدل على ذلك مثل قوله تعالى :((كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون)) (٢) وكذلك في قوله تعالى : ((يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع)) (٣) . وهناك التكرار في الشواهد الشعرية والنثرية .

لكن إذا رجعنا إلى دراسة جماليات هذا التكرار وروعته في التنزيل الحكيم أو في الشعر أو في النثر ، نتذوق أن هذا التكرار ليس إطناباً ، وإنما هو ضرب من ضروب البديع ليست فيه رائحة علم المعاني ، والعرب اهتموا به كثيراً ، فلو رجعنا إلى كلامهم لوجدنا أن لهذا التكرار معاني كثيرة فقد ذكروا أنه يكون لتأكيد غرض من الأغراض ، أو للمبالغة فيه وذلك كالغزل والتنويه والإشارة إليه ،

---

(١) ينظر الإيضاح ج ١ ص : ٣٠٤ وما يليها . والتبيان للطيبي ص : ٤٦٧ وما يليها .
(٢) سورة التكاثر . الايتان : ٣ ، ٤ .
(٣) سورة غافر . الاية : ٣٨ ، ٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشمل المدح والهجاء على سبيل التشهير ، والازدراء ، والتهكم ، والتنقيص ، والتفريع ، والتوبيخ ، والتعظيم للمحكي عنه . والوعيد والتهديد ، والتوجع في الرثاء والتأبين والاستغاثة ، والتفخيم ، والتعجب ، والاستبعاد ، والتهويل ، والتقرير والانكار(١) . فكل هذه الفنون إستعمل فيها العرب التكرار ليس إطناباً منهم وإنما ، لمّا رأوا من هذا التكرار يوفي بمطلبهم النفسي كيفما كان ، وتصدى ابن الأثير إلى هذا الموضوع قبل القزويني والطيبي ، وتكلم عن الاطناب وفرّق بينه وبين التطويل والتكرار ، فحدّ الاطناب عنده زيادة اللفظ على المعنى لفائدة .

وهذا التعريف هو ما حدّ به علماء البلاغة الاطناب . وقد نص ابن الأثير في التعريف على الفائدة المأخوذة من الاطناب . أما إذا كانت الزيادة في الكلام مُعينة ولاتفسد المعنى سمي حشواً (٢) . وهذا نفسه ما عناه ابن الأثير عندما فرق بين الاطناب والتطويل والحشو الذي سمّاه تكراراً ويعرفه بقوله : ((وأما التكرار فإنه دلالة اللفظ على المعنى مرددا)) (٣) . وقسم التكرار إلى قسمين ، فمنه ما يأتي لفائدة وهو جزء من الاطناب، ومنه ما يأتي لغير فائدة وهو جزء من التطويل . فلهذا يرى ابن الأثير : إن كل تكرار يأتي لفائدة فهو إطناب وليس كل إطناب تكريراً يأتي لفائدة ، وأما الذي يأتي من التكرار لغير فائدة فإنه جزء من التطويل وهو أخص منه فيقال حينئذٍ : أن كل تكرار يأتي بغير فائدة تطويل ، وليس كل تطويل تكراراً يأتي بغير فائدة (٤).

أما موضوع التكرار عند الطيبي فقد اختلف بمنهجه في دراسة هذا

---

(١) شروح التلخيص . أحمد مطلوب ص ٣١٨ .
(٢) الإيضاح ج ١ ص : ٢٨٢ .
(٣) المثل السائر ج ٢ ص : ٣٥٨ .
(٤) دراسات في البلاغة عند ابن الأثير ص : ١٢٨ ، ١٢٩ ، والمثل السائر ج ٢ ص : ٣٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع فقد عرف التكرار :((وهو إعادة الشئ لفائدة))(١) وقسمه إلى قسمين :

الأول وفيه يعاد اللفظ بعينه وهو على وجوه :

أ - أن يكرر اللفظ ليناط به حكم آخر مثل قوله تعالى :((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر))(٢) وقوله تعالى :((يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس))(٣) ونحوه يعد من الآلاء لما فيه الزجر من الترهيب والترغيب ويسمى الترديد ، ومنه الترجيع كذلك وهو أن يكون المعنى مهتماً بشانه فإذا شرع في نوع من الكلام نظر إلى ما يتخلص إليه ، فإذا تمكن من إيراده كرّ إليه كتكرير قوله تعالى :((ولا تعجبك أموالهم وأولادهم (٤))) (٥) .

ب - أن يعلا ليقرر المعنى قال تعالى :((يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع)) (٦) .

ج - ليقارن به تمام الفصل كيلا يجئ الكلام مبتوراً لطوله قال تعالى :((ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا . إن ربك من بعدها لغفور رحيم))(٧)

د - أن ينوه بشأن المذكور كما فعل - صلى الله عليه وسلم - حينما قال :((الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم)) (٨) أي هو عريق النسب في وصف الكرم .

هـ - أن يُلذّ بذكره كما قال :

أعد ذكر نعمان أعد إن ذكره هو المسك ما كررته يتضوع (٩)

أما القسم الثاني : أن يكرر المعنى دون اللفظ تأكيداً وهو نوعان :

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٣٦٠ .
(٢) سورة القمر الآية : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .
(٣) سورة الرحمن الآية : ٣٥ .
(٤) سورة التوبة الآية : ٨٥ .
(٥) أنظر كتاب التكرير بين المثير والتأثير . عزالدين علي السيد دار الطباعة المحمدية ط ١ ١٣٩٨هـ ص : ٨٠ ، ٨٨ .
(٦) سورة غافر . الآيتان : ٣٨ ، ٣٩ .
(٧) سورة النحل الآية : ١١٩ .
(٨) الحديث في الإيضاح ج ٢ ص : ٥٣٠ والمثل السائر ج ٢ ص : ١٧٠ .
(٩) البيت في أنوار الربيع بلا عزو ٥ / ٣٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ - أن يقع في الجملة مثل قوله تعالى : ((أولئك لهم عذاب من رجز أليم)) (١) .

ب - أن يقع في الجمل وهو على وجوه :

١ - أن يؤتى بالخاص بعد العام قال تعالى :((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر))(٢)

٢ - أن يؤتي بالعام قبل الخاص كقوله تعالى :((ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين))(٣)

٣ - أن يؤتى بالمساوىء في المعنى كقول أبي الطيب :

تمسي الأماني صرعى دون مبلغه فما يقول لشئ ليت ذلك لي (٤)

٤ - أن يكرر رعاية للفواصل الشعرية قال امرؤ القيس :

وهل ينعمن إلا سعيد مخلّد" قليل الهموم لايبيت بأوجال(٥)

وبعد هذه الدراسة والمنهج الجديد واختلافهما مع الدراسات السابقة كدراسة العسكري وابن الأثير والقزويني ينهي الطيبي موضوع التكرار قائلاً :((وقد يجيء التكرير للاستيعاب))(٦). وذكر قول ابن الحاجب : العرب تكرر الشئ مرتين ليستوعب تفصيل جميع جنسه باعتبار المعنى الذي دل عليه اللفظ المكرر كقولك : بينت له الكتاب كلمةً كلمةً . أي مفصلاً باعتبار كلماته)) وقوله تعالى :((ارجع البصر كرتين))(٧) أي مرة بعد مرة .

هذا ما ذكره الطيبي في هذا الموضوع أما ما سنذكره كذلك في علم البديع نموذج لمنهج الطيبي ففي الفصاحة في أوصاف التراكيب.وندرس فيها فن الجناس ونتأمل كيف عالجه الطيبي ؟ والطيبي طبعاً لم يقحم نفسه في هذه الدراسة إلا بعد أن زوّد نفسه بما كتب قبله في هذا

---

(١) سورة سبأ الآية ٥ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٠٤ .
(٣) سورة هود الآية : ٨٥ ، وسورة الشعراء الآية : ١٨٣ .
(٤) البيت في التبيان للطيبي ص : ٣٦٧
(٥) المصدر السابق ص : ٣٦٨ .
(٦) التبيان للطيبي ص : ٣٦٨ .
(٧) سورة الملك الآية : ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفن واعتمد على ابن الأثير في هذه الدراسة ، فالجناس عند ابن الأثير : ((غرة شادخة في وجه الكلام))(١) . كما استفاد ابن الأثير والقزويني من بحوث السلف استفاد كذلك الطيبي من بحوث ابن الأثير والسكاكي والقزويني وغيرهم ، والطيبي وإن طوّل في بحث فن الجناس فقد أحسن عملاً وضبّط منهجاً جديداً في الدراسة والتحليل وذكر أنواعه وفصلها بالأمثلة والشواهد .

يقول الطيبي في تعريف الجناس :((هو تشابه الكلمتين في اللفظ)) (٢) . وهذا التعريف قريب من تعريف القزويني الذي عرفه بقوله : ((الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ)) (٣) . أما تقسيم الطيبي للجناس فعنده : الجناس التام وهو اتفاق اللفظين في الحروف الهجائية والترتيب وهو إما يكون بين اسمين كقوله تعالى : ((ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)) (٤) أو أن يكون بين اسم وفعل مثل قول الشاعر :

تسميته يحيى ليحيا فلم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل (٥)

أما النوع الثاني من الجناس فالجناس الناقص وهو أن يختلفا في الهيئة دون الصورة كقوله تعالى :((ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين)) (٦) .

والثالث هو الجناس الزائد ، وهو أن يزداد حرفاً في الأول كقوله تعالى :((والتفّت الساق بالساق إلى ربك يومئذٍ المساق))(٧). وفي الثاني كقولك :((وجدي وجهدي)) ، وفي الثالث ويسمى مذيلاً قال أبو تمام :

---

(١) المثل السائر ج ١ ص : ٣٤٢ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٤٨٠ .
(٣) الإيضاح ج ٢ ص : ٥٣٥ .
(٤) سورة الروم الآية : ٥٥ .
(٥) البيت في الصناعتين ص : ٣٢٨ والإيضاح ج ٢ ص : ٥٣٦ .
(٦) سورة الصافات . الآيتان : ٧٢ ، ٧٣ .
(٧) سورة القيامة . الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يمدونني من أيدٍ عواص عواصم تصول بأسياف قواضٍ قواصبٍ (١)

وقد تجد في الزيادة أكثر من حرف مثل قوله :

فيالك من عزم وحزم طواهما جديد البلى تحت الصفا والصفائح (٢)

أما الجناس الرابع فالمضارع وهو أن يختلفا بحرف واحد مع تقارب المخرج ومنه في الأول كقولهم : ((ليل دامس ، وطريق طامس)) (٣). أو يختلفا في الوسط كقوله تعالى : ((وهم ينهون عنه وينأون عنه)) (٤) أو أن يختلفا في الآخر كقوله - صلى الله عليه وسلم - ((الخيل معقود بنواصيها الخير)) (٥) .

والجناس الخامس فاللاحق وهو أن يختلفا لامع تقارب المخرج وفيه في الأول كقوله تعالى : ((ويل لكل همزة لمزة)) (٦). أو أن يختلفا في الوسط كقوله تعالى : ((وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد)) (٧) .أو أن يختلفا في الآخر كقولهم : ((المكارم بالمكاره)) (٨) .

أما الجناس السادس فالمركب وهو أن يتم تركيب كلمتين وهو إما أن لايختلفا خطاً كقول أبي الفتح :

إذا ملك لم يكن ذا هبه فدعه فدولته ذاهبةْ (٩)

أو أن يختلفا خطاً كقول الشاعر :

---

(١) البيت في الصناعتين ص : ٣٣٤ ، وسر الفصاحة ص ٢٢٩ ، والمثل السائر ج ١ ص : ٣٥٤ والمصباح ص : ٨٦ .
(٢) البيت في المصباح بلا عزو ص :٨٧ .
(٣) القول للخريري في الإيضاح ج ٢ ص : ٨٤٠ وفيه : بيني وبين كنّي ليل دامس وطريق طامس .
(٤) سورة الأنعام الآية : ٢٦ .
(٥) الحديث في الصناعتين ص : ٣٣٢ والمثل السائر ج ١ ص : ٣٥٥ . والإيضاح ج ٢ ص : ٥٤٠ وفيه في الآخر : إلى يوم القيامة .
(٦) سورة الهمزة ، الآية : ١ .
(٧) سورة العاديات ، الآيتان : ٧ ، ٨ .
(٨) القول في المثل السائر ج ١ ص : ٣٥٠ وفيه لاتنال المكارم إلا بالمكاره .
(٩) البيت في المفتاح ص : ٤٣٠ والمصباح ص : ٦٠٥ والإيضاح ج ٢ ص : ٥٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مات الكرام ومروا وانقضوا ومضوا ومات في أثرهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي سفه لو أبصروا طيف ضيق في الكرى ماتوا (١)

أما الجناس السابع فالمزدوج ويسمى كذلك مرددا ً وهو أن يقع في أثناء القرائن لفظان متجانسان كقوله تعالى : ((وجئتك من سبأ بنبأ)) (٢) وفيه إدماج معنى .

والجناس الثامن هو الخطي وهو أن يؤتى بكلمتين متشابهتين خطا ً لا لفظا ً قال تعالى : ((وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ً)) (٣) .

والجناس التاسع هو المشوش وهو كل تجنيس يتجاذبه طرفان من الصنعة كقولهم : (فلان مليح البلاغة أنيق البراعة). فلو كانت عينا الكلمتين متحدتين لكان تجنيس تصحيف . أو لاماهما لكان تجنيسا ً مضارعا ً .

والجناس العاشر هو الجناس بالإشارة كقوله :

حلقت لحية موسى باسمه وبهرون إذا ما قلبا (٤)

والجناس الحادي عشر الاشتقاقي وهو أن يؤتى بألفاظ يجمعها حروفها الأصيلة في معنى وهذا النوع من الجناس ضربان :

أ - أن تجمعها بترتيب وذلك بأن يؤتى بفرعين فصاعدا ً ، فتتردّ إلى الأصل بواسطة ترتيب حروفها كما إذا قلت : (سلم ، يسلم ، ومسلم) إلى غير ذلك فإنها تجمعها في معنى السلامة وهو المسمى بالاشتقاق الأصغر ، ومثاله من التجنيس قوله تعالى : ((فأقم وجهك للدين القيم)) (٥) . أما الثاني أن تجمعها من غير ترتيب وذلك بأن يؤخذ أصل

---

(١) البيتان في أنوار الربيع ج ١ ص : ١٠٥ .
(٢) سورة النمل الآية : ٢٢ .
(٣) سورة الكهف ، الآية :١٠٤ .
(٤) البيت في أنوار الربيع ج ١ ص : ٢١٩ قال ابن معصوم : ((أراد أن يقول : لحية موسى بموسى ..)) ومقلوب ((هارون)) هو (نوره) وهو مسحوق يزيل الشعر .
(٥) سورة الروم ، الآية ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعقد عليه وعلى تقاليبه معنى واحد وإن تباعد شئ رد بالتأول كما إذا قلت : (قَرَمٌ) فإنه بتقاليبه الست يدل على القوة والشدة ، فالقرم شدة شهوة اللحم ، وتقمّر الرجل إذا غلب من يقامره ، والرّقم : الداهية ، وعيش مرمّق أي ضيق ، والمِقْر شبه الصّبر لشدته على الذائق ، ومرق السهم إذا نفذ من الرمية وهذا ما يسمى بالاشتقاق الأكبر . ويرى الطيبي أن من أراد أن يلحق بهذا الباب التجنيس المضارع بجامعٍ قرب المخرج ليجعله من الاشتقاق الأكبر ، وإلا فإن شاء أضاف اللاحق بجامع النوعية فله ذلك ، أما قوله - صلى الله عليه وسلم - : ((أسلمُ سالمها الله ، وغِفارٌ غفر الله لها ، وعصيّةُ عصت الله))(١) وهذا النوع ليس من الاشتقاق لأن أسلم لم يسمّ المسالمة ، ولا غفار من المغفرة ، ولا عصية من تصغير عصاً من العصيان فإنها أسماء قبائل مرتجلة .

أما آخر نوع من الجناس فهو الجناس القلبي وهو النوع الثاني عشر وقسمه إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : قلب الكل كقولك : (كفّه بحر ، وجنابه رحب) .

النوع الثاني : قلب البعض كقولهم :(الدنيا حيةٌ ، ليّنٌ مسّها قاتل سمّها). وقولهم :((رحم الله امرأً مسك ما بين فكيه ، وأطلق ما بين يديه)) (٢) .

النوع الثالث : قلب المجنح وهو أن يقع أحد المتجانسين جناس قلب في أول البيت والآخر في آخره كقوله (٣) :

لاح أنوار الندى من كفه في كل حال

النوع الرابع قلب المستوى وهو كل كلام إذا قُلب كان أيساه ، قال عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل : (سرّ فلا كبا بك الفرس) فأجابه :

---

(١) الحديث الشريف في أنوار الربيع ج ١ ص : ١١٨ .
(٢) القول في الإيضاح ج ١ ص : ٥٤١ .
(٣) البيت في التبيان للطيبي ص : ٤٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(دام علاء العماد) (١) .

وبعد هذه الدراسة الواسعة والشاملة لفن الجناس ومنهجها الجديد بشواهده الجديدة كذلك وبأسلوبه الأدبي الرائع ينتقل الطيبي إلى ذكر بعض الملاحظات التي رآها ضرورية حيث قال :((ها هنا قلب لابأس أن تذكره مستطرداً وهو إما في التراكيب كقولهم :((عرضت الناقة على الحوض)) ويساير الطيبي السكاكي في رأيه بحيث يراه هذا الأخير شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر ، وهو مما يورث الكلام ملاحة ولا يشجع عليه لإكمال البلاغة. ورده بعضهم ، والطيبي يرى أنه إذ تضمّر مليحه قُبل . أما الملاحظة الثانية أن يأتي الجناس في المعاني كقولهم (قاتله الله ما أشجعه) .

بهذه الطريقة ينهي الطيبي موضوع فن الجناس فهو لم يأت بجديد لأن ما قاله قيل قبله لكن الجديد في بحث الطيبي هو الترتيب المحكم والدقة في الدراسة حتى وإن أطنب في تلك التقسيمات التي ذكرناها وأطال في الشواهد وأكثر منها . لكن هذا الإطناب والتطويل مزية الوصول إلى نفسية الدارس وإفهامه بطريقة مشوقة وسلسة سهلة .

وإذا ما وازنا بين ما كتبه الطيبي والقزويني في موضوع الجناس نجد أن ما عولج في هذا الموضوع متقارب جداً ، والاختلاف بينهما في التقسيم والعرض والتحليل وحتى نعطي صورة واضحة عن اجتهاد الطيبي ومجهوده نورد ما كتبه القزويني عن فن الجناس ولو بصورة مختصرة حتى تتضح الدراسة في الموضوع بين العلامتيين للدارس أو الباحث . فمنهج القزويني مختلف تماماً عن منهج الطيبي ، فقد ذكر القزويني الجناس في المحسنات اللفظية وقسمه إلى جناس تام ، والجناس التام عنده هو اتفاق اللفظين في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها ، فإن كان من نوع واحد كإسمين ، سمّي مماثلاً ،

---

(١) القول في المصباح ص : ٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن كان من نوعين ، كفعل واسم ، سمّي مستوفى ، والجناس التام عنده إذا كان أحد لفظيه مركباً سمي جناس التركيب ، ثم إن المركب من كلمة أو بعض كلمة سمي مرفواً ، أما إذا اتفقا في الخط سمّي متشابهاً ، وإن اختلفا سمّي مطروقاً . وأما أن تختلف الكلمتين في هيئات الحروف فقط يسمّى جناساً محرفاً .

أما الجناس الناقص وهو الاختلاف في أعداد الحروف فقط وهو على وجهين فقط أما الوجه الأول أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول أو الوسط أو في الآخر .

أما ما يقع الاختلاف فيه في الآخر فقد سماه جناساً مطرفاً وهو عند الطيبي الجناس الزائد .

أما الوجه الثاني : أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد وسماه جناساً مذيلاً . أما الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمّي مضارعاً وسماه الطيبي الجناس المضارع .

ويكون هذا إما في الأول أو الوسط أو في الآخر . وإذا كان الحرفان المختلفان غير متقاربين سمي جناساً لاحقاً ويكون كذلك إما في الأول أو الوسط أو الآخر ، وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب وهو ضربان :

أ - قلب الكل .

ب - قلب البعض .

أما إذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخر البيت سمي مقلوباً مجنحاً . أما إذا ولّى أحد المتجانسين الآخر سمي مزدوجاً ومكرراً ومرداداً ، وذكر القزويني الاشتقاق بين اللفظين والمشابهة ، لكنه اختلف مع الطيبي الذي سماه الجناس الاشتقاقي .

يبقى دائماً منهج الطيبي أوضح لأنه فصّل ما كان مندمجاً مع بعضه .

ولقد زاد الطيبي أنواع الجناس التي لم يذكرها القزويني مثل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجناس الخطي والجناس المشوش ، والتجنيس بالإشارة وهذا النوع الأخير هو جناس معنوي وقد ذكره علماء البديع المتأخرون .(١)

والخلاصة أن الطيبي والقزويني انتهج كل واحد منهما منهجه الخاص مع درايتنا بأنهما عادا إلى مؤلفات السلف ونقلوا منها الشئ الكثير (٢) .

وقبل أن ننهي موضوع علم البديع عند الطيبي نذكّر أن الطيبي أدخل بعض المواضيع في علم البديع كالمعاظلة في الكلام ، والمنافرة ، والمطابقة وخصص لها دراسة مستقلة لكنه تأثر كثيراً بابن الأثير وهذا الأثر واضح فيما نقله الطيبي منه وهنا يكون الاختلاف كذلك بين الطيبي والقزويني في هذه الموضوعات التي ذكرنا فقد درسها الطيبي في علم البديع بينما تعرض لدراستها القزويني في مقدمة كتابه (٣) .

وقبل أن ينهي الطيبي علم البديع يقف وقفة شاملة على العلوم البلاغية قال :((وإذا وقفت على البلاغة وأنواعها ، وجمعت الفصاحة بإقطارها فنذكر الآن حديثاً عن صدر النبوة ومنبع الرسالة ليكون كالإجمال بهذا التفصيل وكفهرس لهذه الفنون ، وعوناً للمتصدي على وضع كل في مقامه ، وتبصّرنا له إذا انتصب لاهتمامه)) (٤) . ثم سرد الحديث الذي دار بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين معاذ بن جبل - رضي الله عنه - ، وبعد أن انتهى من سرد الحديث انتقل لدراسته دراسة بلاغية تطبيقية حيث طبق فيه العلوم البلاغية بقوله : ((والنظر فيه من أربعة جهات : من جهة علم المعاني ، و من جهة علم

---

(١) ينظر خزانة الأدب ج ٢ ص : ١٦ وما يليها .
(٢) ينظر موضوع الجناس في كتاب التبيان للطيبي ص : ٤٩٤ . والإيضاح ج ٢ ص : ٥٣٥ حتى ٥٤٣ .
(٣) ينظر التبيان للطيبي ص ٥٠٩ وما يليها والإيضاح ج ١ ص : ٧٢ وما يليها والمثل السائر ج ١ ص : ٣٤٢ وما يليها .
(٤) التبيان للطيبي ص : ٥٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيان ، ومن جهة علم البديع ، ومن جهة الفصاحة)) (١) . والمتتبع لهذا التطبيق العلمي العملي يستنتج أن هذا العلاّمة قمة في المنهجية التعليمية وطريقة إيصال المعلومات إلى الدارس وتفهيمها له بصورة ميسرة ، هذه الطريقة تنم عن تجربة وحنكة وخبرة طويلة في مجال التدريس فاقت طرق ونظريات التعليم الحديث . كيف لا ؟ وهو العلامة الجليل بعلمه . عاش ونشأ متعلماً وكرّس حياته للعلم حتى أفنى ماله وبدنه وتوفى شهيداً - قدس الله روحه - .

(١) المصدر السابق ص : ٥٢٦ ينظر الحديث فيها كاملاً والتطبيقات البلاغية عليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

أثر كتاب التبيان للطيبي في مؤلفات البلاغيين الذين جاؤا بعده

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل أن نتتبع أثر كتاب التبيان للعلامة الطيبي وأثره في مؤلفات البلاغيين الذين جاؤا بعده ، وبعدما تتبعنا لفصول كتابه ودراستنا للعلوم البلاغية التي تعرض الطيبي لدراستها ومناقشتها تبين لنا جلياً أن العلامة الطيبي لم يضع شرحاً على كتاب المفتاح للسكاكي كما فعل أصحاب الشروح كما أنه لم يلخصه أو يضع عليه حاشية أو تقريراً .

والمتتبع لمنهج المدرستين الأدبية والمنطقية واختلافهما الاختلاف الجوهري في المنهج ، فقد كان الطيبي عالماً بمنهج المدرستين متفهماً لهما فلهذا أخذ لنفسه منهجاً جديداً مزج فيه بين المدرسة الأدبية التي تهتم بالشاهد وتهمل التحديد المنطقي ، والمدرسة المنطقية التي تعنى بالتحديد والتقسيم المنطقي .

لهذا جاء كتابه مزيجاً بين مدرستين فخرج بمنهج جديد فبقدر اهتمامه بالشواهد والاكثار منها سواء كانت من التنزيل الحكيم أو من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أو أقوال العرب أو أشعارهم أو نثرهم . بنفس الاهتمام اهتم بتحديدات وتقسيمات المدرسة المنطقية وطبقها تطبيقاً كاملاً فاخرج منهجاً يختلف تماماً عن منهج البلاغيين الذين سبقوه ، فبالرغم من اطلاعه الواسع على تلك المناهج إلا أنه استغنى عنها وكل ما قام به أنه استعان بمادتها العلمية وصاغها في منهج جديد باسلوب علمي ترك أثراً في مؤلفات البلاغيين الذين جاؤا بعده ، واستعانوا بما تركه في تاليف مؤلفاتهم .

أثر كتاب التبيان في كتاب الطراز للعلوي والمطول للتفتازاني

بعد أن جردت كتاب الطراز للعلوي (-٧٤٩ هـ)(١) للبحث بين طيات

---

(١) كتاب الطراز للعلوي (- ٧٤٩ هـ) جماعة من العلماء بإشراف الناشر / دار الكتب العلمية ١٤٠٠ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صفحاته في مواضيعه المختلفة من معان وبيان وبديع . لعلي أجد أثراً لكتاب التبيان فيه ، لكنني لم أجد ما كنت أبحث عنه ولا أثر فيه من كتاب التبيان فاستخلصت ما يلي :

أ - عاش كل من الطيبي (-٧٤٣ هـ) ، والعلوي (-٧٤٩ هـ) تقريباً في نفس الفترة الزمنية فهما متعاصران ، فالأقرب إلى المعقول أنه لايمكن لأحدهما أن يؤثر في الثاني وهذا لوجود تراث بلاغي ضخم اعتُمد كمصدر أساسي بالرجوع إليه .

زد على ذلك أن الطيبي ألف كتاباً في البلاغة بعلومها بينما اهتم العلوي بكتاب (الكشاف) للعلامة الزمخشري. ((ثم إن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الإخوان شرعوا علي في قراءة كتاب (الكشاف) تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري ، فإنه أسسه على قواعد هذا العلم ، فاتضح عند ذلك وجه الاعجاز من التنزيل ، وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل ، وتحققوا أنه لاسبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه والوقوف على أسراره وأغواره ، ومن أجل هذا الوجه كان متميزاً عن سائر التفاسير لأني لم أعلم تفسيراً مؤسساً على المعاني والبيان سواه)) (١)ويتابع العلوي حديثه بعد أن أكد أهمية الكشاف فيقول :

((فسألني بعضهم أن أملي فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق ، فالتهذيب يرجع إلى اللفظ ، والتحقيق يرجع إلى المعنى إذ كان لامندوحة لأحدهما على الثاني))(٢) .

هذا ما قاله العلوي في مقدمة كتابه الطراز وشرح أسباب تأليفه لكتابه ، فكتابه لم يكن كتاباً وضع لدراسة العلوم البلاغية وإنما وضعه لتهذيب وتحقيق ما جاء في كتاب الكشاف من مسائل صعبت على بعض

---

(١) (٢) الطراز ص : ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدارسين في تلك الفترة الزمنية ، فعمل على تسهيلها وتبسيط ما صعب منها بأسلوب سلس سهل يفهمه كل دارس ، بهذا لم يكن محتاجاً للاستعانة بما كتبه معاصر له كالطيبي مثلاً ففي تلك الفترة كان الطيبي قد اعتمد كتاب الكشاف كمصدر من مصادره التي اعتمد عليها في تاليف كتابه التبيان .

أما أثر كتاب التبيان في كتاب المطول على التلخيص لصاحبه التفتازاني (-٧٩٢ هـ)(١)، فبعد أن جودت مواضيع المطول لم أعثر على أثر لكتاب التبيان فيه ، ويمكننا القول كذلك إن المعاصرة والقرب الزمني بين هؤلاء العلماء هو السبب الذي جعلهم لايعتمدون كتب بعضهم البعض مصادر لهم، فالتفتازاني (-٧٩٢ هـ) ، والطيبي (-٧٤٣ هـ) فهذا فارق زمني قليل بينهما ، زد على ذلك أن التفتازاني وضع كتابه المطول على ما كُتب في التلخيص أو بمعنى أوضح فهو يعالج مواضيع كتاب التلخيص للخطيب القزويني ، ولا أحد منا يجهل الشهرة الكبيرة التي انتشرت في الأوساط العلمية لكتابي التلخيص والإيضاح للقزويني ، فقد فاقت هذه الشهرة ، شهرة كتاب المفتاح للسكاكي الذي هو الأصل والعمود في العلوم البلاغية ، فاتجه الدارسون لما كتبه القزويني واعتمدوه مصدراً إلى عهد قريب . إن شهرة القزويني استقطبت الكثير من البلاغيين له واهتموا به اهتماماً كبيراً .

وحسب رأيي الشخصي أن القزويني البلاغي الأول الذي تحدى علمياً العلامة السكاكي . وقال إن المواضيع التي كتب فيها السكاكي"فيها نظر"ثم فسر وشرح وعلل تلك المواضيع فبعمله هذا يكون قد كسر قيد كتاب المفتاح وناقش محتوياته ، وهذه تعتبر جرأة علمية وقفزة كبيرة فتحت الكثير من المجالات العلمية فنشطت من جديد حركة التاليف والتفكير . ولهذا كان أمثال الطيبي يلاحظ انه اعتمد كتاب

---

(١) كتاب مطول على التلخيص للتفتازاني (-٧٩٢ هـ) استانبول (المطبعة العثمانية) ١٣٠٤ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفتاح مصدر أساسي في كتابه التبيان . لهذا نستنتج أن التفتازاني اعتمد كتابه المطول مباشرة على كتاب التلخيص الذي هو هدفه المتمثل في شرحه والتعليق عليه .

أثر التبيان في كتاب عروس الأفراح للبهاء السبكي

لعل الدارس لكتاب الأفراح للعلامة بهاء الدين السبكي يلحظ اطلاع صاحبه الواسع في مجالات العلوم الأدبية وتمكّنه وتعمقه في اسرارها ودقائقها ، فقد جاء كتابه غنياً بمادته وأسلوبه الأدبي . ومناقشاته للكثير من البلاغيين فالمطلع على الكتاب يستفيد منه كثيراً لأن الكتاب هو عبارة عن دراسة للعلوم البلاغية ، زد على ذلك ففيه الكثير من الآراء التي ناقشها البهاء السبكي لعلماء سبقوه ومن هؤلاء العلماء نجد أثر كتاب التبيان للطيبي في كتاب عروس الأفراح ، ولقد ناقش السبكي الطيبي في بعض القضايا نذكر منها ما يلي :

١ - قال السبكي :((وزاد غيره - أي من وجوه الامتياز - التاسع ... وظل يزيد حتى أتمها العشرين)وحكى في الموضع السادس عشر فقال : إنها رادعة عن القتل والجرح)قاله الإمام فخرالدين وغيره والضرب قاله : الطيبي)) بعد هذا المقول يناقش السبكي الإمام فخرالدين والطيبي فيقول :((قلت : يعني الجروح التي لايمكن القصاص فيها المرادة بقوله تعالى : ((والجروح قصاص)) (١) وفيه نظر لأن لفظ ((حياة)) تصرف القصاص في الطرف ليس سبباً للحياة ، بل لبقاء ذلك الطرف ، إلا أن يقال : بقاء العضو حياته ، أو يقال : قطع الطرف ربما يسوى إلى النفس فازال الحياة فشرع القصاص في الطرف وفيه حياة للنفس .

وأما الضرب فلا قصاص فيه أصلاً على مذهبنا)) (٢) .

---

(١) سورة المائدة . الآية ٤٨ .
(٢) عروس الأفراح ج ٣ ص : ١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا ما ناقش به السبكي الفخر الرازي والطيبي ، وما يهمنا نحن هو رأي الطيبي، فعند موازنته للآية الكريمة :((في القصاص حياة))(١) مع القول :((القتل أنفى للقتل))(٢) قال الطيبي في التقسيم التاسع ((هي رادعة للقتل والجرح والضرب))(٣) . وقد زاد الطيبي باجتهاده الضرب وهذا ما رفضه السبكي ، لكن المتمعن جيداً يضع ما زاده الطيبي ضمن احتمالين الأول أن يكون الضرب قاتلاً فلا أحد منا يضمن أنه عند غضبه مع شخص آخر فيضربه فممكن جداً أن تكون تلك الضربة قاتلة لأن عند الغضب تثور الأعصاب ويفقد الإنسان السيطرة والتحكم في نفسه فيتصرف في تلك اللحظة تصرفاً لاتحمد عقباه قد يؤدي إلى نتائج وخيمة ، وحسب رأيي أن هذا ما ذهب إليه الطيبي فعندما زاد الضرب لم يكن يقصد به الضرب بمفهومه السطحي أي كأن تضرب أحداً بصفعة أو بلكمة خفيفة لتؤدبه حتى يخاف .

والواضح أن السبكي عندما قال :((وأما الضرب فلا قصاص فيه أصلا على مذهبنا)) ، قد فهم معنى الضرب فهماً سطحياً وبهذا لايكون هناك قصاص في الضرب أما الاحتمال الثاني فالضرب قد يؤدي إلى شلّ الإنسان . فالضرب المبرح قد يؤدي إلى إتلاف عضو من أعضاء المضروب فيبقى معاقاً طوال حياته لاهو حي ولاهو ميت ، فمثلاً الاعتداء بالضرب على إنسان فيكسر عموده الفقري ، أو يصيبه عمى، أو يتلف جزء من دماغه .. إلخ ، لكنه لم يمت وبقي معافى طول حياته ، فما الفرق بينه وبين القتيل ؟ .

فالأول فقد عنصراً مهماً في حياته وهو الحركة فبدون الحركة لا قيمة له لأنه فاقد لمقومات حياته ، والثاني ميت انتهى أمره ، فالطيبي عندما رأى باجتهاده أن الآية رادعة للضرب ، لأنه نظر إلى

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .
(٢) القول في النهاية ص : ٨١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، والإيضاح ج ١ ص : ٢٨٧
(٣) التبيان للطيبي ص : ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعيد وتخيل نتائج الضرب التي يمكن حصولها عند القيام بالفعل ، فرأى أن الآية رادعة له أو قل اجتهد فأصاب ، بعكس السبكي الذي رفض الضرب على مذهبه ورأى أن الضرب ليس فيه قصاص وما اجتهاد الطيبي إلا اجتهاد رادع .

وعلى هذا الأساس نحن مع مذهب الطيبي حتى لايقدم أي إنسان على انتهاك حرمة جسد غيره ضرباً ، لأنه بهذا الاجتهاد يفكر ويتذكر العواقب التي تنتظره من جراء فعله فيتراجع عن موقفه ويعقل ويحل مشاكله بطريقة سليمة بعيدة عن كل عنف .

أما الأثر الثاني لكتاب التبيان في كتاب عروس الأفراح فقد ذكره السبكي عن الطيبي يقول السبكي :
((ثم أجاب الطيبي عنه بان المقصود بالتأكيد أن ((السين)) في الإثبات هي في مقابلة ((لن)) في النفي)) (١) .

وما ناقشه السبكي هذا هو دفاع الطيبي عن الزمخشري ، حيث رأى الزمخشري أن ((السين)) هي للتنفيس في مثل قوله تعالى : ((أولئك سيرحمهم الله)) (٢) ، ((سيجعل لهم الرحمن ودا)) (٣) ، ((ولسوف يعطيك ربك)) (٤) فعند السبكي أن هذه ((السين)) هي السين الافتتاحية .

ويقول السبكي :((وليس كما قال : لأنه لو أراد ذلك لم يقل : السين : توكيد للوعد ، بل كانت حينئذٍ توكيدا للموعود به كما ((أن)) لاتفيد زيادة عن ((لا)) في تأكيد الجملة بل تفيد تأكيد المنفي بها)) (٥) .

---

(١) عروس الأفراح ج ١ ص : ٢٢١ .
(٢) سورة التوبة ، الآية : ٧١ .
(٣) سورة مريم ، الآية : ٩٦ .
(٤) سورة الضحى ، الآية : ٥ .
(٥) عروس الأفراح ج ١ ص : ٢٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالذي هو واقع بين الطيبي والسبكي هو اختلاف في تفسير رأي علامة آخر فالطيبي يقول أن الزمخشري يقول كذا ويقصد كذا ، والسبكي يعارض هذا ويعطي رأيه كما ذكرناه .

ويبقى علينا هنا أن نقول أن الأثر الأول الذي ناقشناه موجود ومثبت في كتاب التبيان ، ونقله السبكي ، أما الأثر الثاني فبعد دراستنا لكتاب التبيان وتدقيقنا في صفحاته ومواضيعه لم نجد له ذكراً في التبيان نهائياً فلا ندري هل السبكي نقله من مؤلف آخر للطيبي ما زالت يد المحققين لم تصل إليه ، أم أن النسخ التي حقق منها كتاب التبيان وصلت ناقصة ، أو أن التحقيق كان ناقصاً ، فهذه مجرد احتمالات نذكرها ونحن لانعيب ولاننكر جهد الباحثين والمحققين . لأن الطيبي لم يكن من المتحمسين لآراء الزمخشري ، أما معظم آراء الزمخشري فكان الطيبي يعارضها أو يقول وهي عند جار الله - ويقصد به الزمخشري - كذا وكذا (١) دون أن يؤيده كما كان يفعله مع السكاكي .

أثر كتاب التبيان للطيبي في كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (- ٩١١ هـ)

ذكرت الكثير من المصادر أن العلامة الطيبي كان مفسراً للقرآن الكريم وقد ذكرنا ذلك في الفصل الأول من بحثنا ووثقناه ، ونعود هنا إلى هذه النقطة المهمة لندونها حتى تكون دليلاً قوياً على ما ذكر في الفصل الأول . وقد ثبّت ذلك السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن (٢) قال : ((وقال الطيبي أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من

---

(١) أنظر التبيان للطيبي ويذكر فيه الزمخشري ص : ١١٠ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٦٣ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ ، ٣٥٩ وما يليها .
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (- ٩١١ هـ) محمد أبو الفضل ابراهيم / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التاليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ)) (١) .

ويقول أيضاً : ((قال الطيبي : المراد بالمحكم ما اتضح معناه ، والمتشابه بخلافه لأن اللفظ الذي يقبل معنى ، إما أن يحتمل غيره أو لا والثاني النص والأول إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أو لا ، والأول هو الظاهر ، إما أن يكون مساوية أو لا ، والأول هو المجمل والثاني المؤول ، فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم ، والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابهة ، ويؤيد هذا التقسيم أنه تعالى أوقع المحكم مقابلاً للمتشابه . قالوا : فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله ويعضد ذلك أسلوب الآية ، وهو الجمع مع التقسيم لأنه تعالى فوّق ما جمع في معنى بأن قال : ((منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات)) (٢) وأراد أن يضيف إلى كل منهما ما شاء فقال أولاً : ((فأما الذين في قلوبهم زيغ*)) (٣) إلى أن قال : ((والراسخون في العلم يقولون آمنا به)) (٤) . ولإتيان لفظ الرسوخ لأنه لايحصل إلا بعد التتبع العام والاجتهاد البليغ فإذا استقام القلب على طرق الإرشاد ورسخ القدم في العلم أفصح صاحبه النطق بالقول الحق ، وكفى بدعاء الراسخين في العلم :((ربنا لاتزغ قلوبنا))(٥)إلى آخره شاهد على أن ((الراسخون في العلم)) (٦) مقابل لقوله :((والذين في قلوبهم زيغ*))(٧) وفيه إشارة إلا أن الوقف على قوله : ((إلا الله))(٨) تام وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله

---

(١) كتاب الإتقان ج ١ ص : ٢١٧ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٧ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ٧ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ٧ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ٧ .
(٦) سورة آل عمران ، الآية ٧ .
(٧) سورة آل عمران ، الآية ٧ .
(٨) سورة الصافات ، الآية : ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى وأن من حاول معرفته هو الذي أشار إليه في الحديث بقوله : ((فاحذروهم)) (١) هذا ما نقله العلامة السيوطي وأكده . قال السيوطي في كتابه بغية الوعاة : ((صنف : شرح الكشاف ، التفسير ... ذكر في شرحه على الكشاف أنه أخذ على أبي حفص السهروردي)) (٢) .

لكن يبقى السؤال مطروحاً من أين نقل السيوطي تفسير الطيبي؟ هل من كتاب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب؟ لأن هذا الكتاب هو الوحيد الذي فسر فيه الطيبي القرآن الكريم كما ذكر محقق الكتاب "التبيان" (٣). وما نقله السيوطي من تفسير للطيبي غير موجود في كتاب التبيان . ونظراً لعدم توفر المصادر والمخطوطات بين أيدينا لايمكننا أن نحسم الأمر نهائياً زد على ذلك عدم قدرتنا للتنقل إلى بلدان أخرى للاطلاع عليها .

إن أثر كتاب التبيان للطيبي واضح أشد الوضوح في كتاب الإتقان للسيوطي ، وقد نقل السيوطي الكثير من المواضيع المختلفة من كل علم من العلوم البلاغية ، وحتى نبين هذا الأثر نورد ما نقله السيوطي ونوازنه بما كتبه الطيبي وبهذا نكون قد تأكدنا من وجود الأثر وصحته ، ففي علم المعاني نقل السيوطي الكثير من الطيبي .

يقول السيوطي في الإتقان : ((قال الطيبي في التبيان : الايجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام :

أحدها : إيجاز القصر ، وهو أن يقصر اللفظ على معناه كقوله :((إنه من سليمان)) (٤) إلى قوله : ((وأتوني مسلمين)) (٥) جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة . وقيل في وصف بليغ : كانت ألفاظه قوالب معناه قلت وهذا رأي من يدخل المساواة في الايجاز .

---

(١) سورة التغابن ، الاية : ١٤ .
(٢) بغية الوعاة ص : ٥٢٢ ، ٥٢٣ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ١٥ .
(٤) سورة النمل ، الآية : ٣٠ .
(٥) سورة النمل ، الاية : ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني : إيجاز التقدير : وهو أن يقدر معنى زائدا على المنطوق ويسمى بالتضييق وبه سماه بدرالدين بن مالك في المصباح لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه نحو :((فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف)) (١) أي خطاياه غفرت فهي له لا عليه ((هدى للمتقين)) (٢) ، أي للضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى .

الثالث : الايجاز الجامع ، وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة نحو : ((إن الله يامر بالعدل والإحسان)) (٣) ، فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين الإفراط والتفريط المومى به إلى جميع الواجبات العبودية لتفسيره في الحديث قوله : ((أن تعبد الله كانك تراه)) (٤) أي تعبده مخلصاً في نيتك)) (٥) .

كما نقل السيوطي الفرق بين الايجاز والاختصار : ((الإيجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح وصرح به الطيبي)) (٦) .

لهذا ما نقله السيوطي في علم المعاني من كتاب التبيان للطيبي وما نقله يكاد يكون حرفياً ، فقد قسم الطيبي الايجاز إلى نوعين : إيجاز حذف ، وإيجاز خال من الحذف (٧) ، وما نقله السيوطي هو الإيجاز الخالي من الحذف .

قسم الطيبي الايجاز الخالي من الحذف إلى ثلاثة أقسام نوردها باختصار :

١ - إيجاز قصر : وهو أن يقصر اللفظ على المعنى كما وُصف بليغ كانت ألفاظه قوالب معينة .

٢ - إيجاز تقدير : وهو أن يقدّر معنى زائدا على المنطوق . وقيل هذا

---

(١) سورة البقرة ، الاية : ٢٧٥ .
(٢) سورة البقرة ، الاية : ٢ .
(٣) سورة النحل ، الاية : ٩٠ .
(٤) الحديث في التبيان ص : ١٥٤ .
(٥) الإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص : ١٨١ ، ١٨٢ .
(٦) الإتقان ج ٣ ص : ١٨٠ .
(٧) التبيان للطيبي ص : ١٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاتضييق لأنه نقص من الكلام ما صار لباس لفظة أقصر من قدر معناه .

٣ - إيجاز جامع : وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة (١) .

هذا ما كتبه الطيبي في موضوع الايجاز الخالي من الحذف باختصار وهو نفسه ما نقله السيوطي واستشهد بنفس الآيات القرآنية متأثراً بالطيبي .
ورفض الطيبي موضوع المساواة وهذا ما ذكره السيوطي (٢) .

وأثر كتاب التبيان في السيوطي لم يكن مقتصراً على علم من العلوم البلاغية بل جاء هذا الأثر شاملاً لكل العلوم البلاغية ، ففي علم البيان تأثر السيوطي بالطيبي ونقل عنه في باب التعريض . قال السيوطي في كتاب الإتقان : ((قال الطيبي : ((وذلك يفعل إما لتنويه جانب الموصوف ومنه :((ورفع بعضهم درجات))(٣)اي محمد - صلى الله عليه وسلم - إعلاءً لقدره أي أنه العلم الذي يشتبه .

وإما لتلطف به احترازاً عن المخاشنة ، نحو : ((ومالي لا أعبد الذي فطرني)) (٤) أي وما لكم لاتعبدون ! بدليل قوله : ((وإليه ترجعون))(٥) وكذا قوله :((اتخذ من دونه آلهة))(٦) ووجوه حسنة إسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل ، والإعانة على قبوله إذ لم يرد له إلا ما أراده لنفسه .

وأما لاستدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ومنه :((لئن أشركت ليحبطن عملك))(٧) ، خوطب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأريد غيره

---

(١) التبيان للطيبي ص : ١٥٣ ، ١٥٤ - أنظر الايجاز الخالي من الحذف باقسامه .
(٢) أنظر التبيان ص : ١٤٦ والإتقان ج ٣ ص : ١٨٠ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣ .
(٤) سورة يس ، الآية : ٢٢ .
(٥) سورة يس ، الآية : ٢٢ .
(٦) سورة يس ، الآية : ٢٣ .
(٧) سورة الزمر ، الآية : ٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لإستحالة الشرك شرعاً .

وإما لازم نحو : ((إنما يتذكر أولوا الألباب)) (١) فإنه تعريض يذم الكفار وأنهم في حكم البهائم الذين لايتذكرون .

وإما للإهانة والتوبيخ نحو : ((وإذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت)) (٢))).(٣) . فهذا التاثر والنقل هو حقيقة ما ذكره الطيبي في التبيان ونقله السيوطي ، قال الطيبي :((ويذكر هذا إما لتنويه جانب الموصوف)) (٤) . وقال الطيبي كذلك : ((وعليه قوله تعالى : ((ورفع بعضهم درجات))(٥) أي أراد محمداً - صلى الله عليه وسلم - إعلاءً لقدره أي أنه العلم الذي لايشتبه)) (٦) .

كما ذكر الطيبي الإهانة والتوبيخ في قوله تعالى : ((وإذا الموؤدة سئلت))(٧)وما نقلناه من بعض هذه الأمثلة للتوضيح والموازنة بين ما كتبه الطيبي وما نقله السيوطي لتاكيد صحة هذا الأثر والنقل ، وهو حقيقة .

كما تاثر السيوطي بالطيبي في بعض المواضيع في علم البيان ونقلها مستشهداً بآراء الطيبي البلاغية فقد نقل السيوطي في موضوع التشبيه في الفصل الخامس الخاص بالأداة مسالة ((مثل)) قال : ((قال الطيبي : ((ولاتستعمل - مثل - إلا في حال أو صفة لها شان وفيها غرابة نحو : ((مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر))(٨)))(٩). وهذا ما قاله الطيبي في التبيان(١٠) : ((ولايستعمل

---

(١) سورة الرعد ، الاية : ١٩ .
(٢) سورة التكوير ، الايتان : ٨ ، ٩ .
(٣) أنظر الإتقان ج ٣ ص : ١٦٤ ، ١٦٥ .
(٤) أنظر التبيان للطيبي ص : ٢٧٥ والإتقان ج ٣ ص : ١٦٤ .
(٥) سورة البقرة ، الاية : ٢٥٣ .
(٦) أنظر التبيان للطيبي ص : ٢٧٥ .
(٧) سورة التكوير ، الاية : ٨ .
(٨) سورة آل عمران ، الاية : ١١٧ .
(٩) الإتقان ج ٣ ص : ١٤٢ ، ١٤٣ .
(١٠)التيان للطيبي ص : ٢١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لفظة مثل إلا في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة)) .

أما في علم البديع فقد كان للطيبي أثر واضح في كتاب الإتقان للسيوطي ففي موضوع الطرد والعكس قال السيوطي :((قال الطيبي :((وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس كقوله : ((ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم ثلاث مرات)) (١) إلى قوله : ((ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن)) (٢) فمنطوق الأمر بالاستئذان في تلك الأوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها وبالعكس ، وكذا قوله :((لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)) (٣) .)) (٤) وما نقله السيوطي يكاد يكون حرفياً .

قال الطيبي في موضوع الطرد والعكس :((وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس كقوله تعالى : ((ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات)) (٥) إلى قوله : ((ثلاث عورات)) (٦) إذا قرأ ((ثلاثَ عورات)) منصوباً ليكون قوله : ((ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن)) (٧) كلاماً مقرراً لمفهوم رفع الجناح وبالعكس)) (٨).

وتعرض السيوطي للاعتراض متأثراً بما كتبه الطيبي آخذاً عنه آراءه فيه قال : ((قال الطيبي في التبيان : ((ووجه الاعتراض حسن الافادة مع أن مجيئه مجئ ما لايترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لاتحتسب)) (٩) وهذا هو رأي الطيبي حرفياً إذ قال : ((وجه حسن

---

(١) سورة النور ، الآية : ٥٨ .
(٢) سورة النور ، الآية : ٥٨ .
(٣) سورة التحريم ، الآية : ٦ .
(٤) أنظر الإتقان ج ٢ ص : ٢٥١ .
(٥) سورة النور ، الآية : ٥٨ .
(٦) سورة النور ، الآية : ٥٨ .
(٧) سورة النور ، الآية : ٥٨ .
(٨) التبيان للطيبي ص : ٣٦٩ وأنظر ص : ٣٧٠ .
(٩) أنظر الإتقان ج ٣ ص : ٢٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاعتراض حسن الافادة مع أن مجيئه مجئ ما لايترتقب فيكون كالحسنة تاتيك من حيث لاتحتسب)) (١) .

أما في موضوع الجمع والتفريق فقد نقلها السيوطي من كتاب التبيان للطيبي والجمع والتفريق عند السيوطي هو :((أن تدخل شيئين في معنى وتفرق بين جهتي الإدخال وجعل منه الطيبي قوله : ((الله يتوفى الأنفس حين موتها)) (٢) الآية جمع النفسين في حكم التوفي ثم فرق بين جهتي التوفي بالحكم بالإمساك والإرسال ، أي الله يتوفى الأنفس التي تقبض والتي لم تقبض فيمسك الأولى ويرسل الأخرى)) (٣) .

وهذا هو ما عند الطيبي إذ يقول :((وهو أن تدخل شيئين في معنى واحد ثم تفرق بين جهتي الإدخال))(٤) ويستشهد الطيبي بقوله عز وجل: ((الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى)) (٥) . رأى الطيبي أن الله : ((جمع النفسين في حكم التوفي ثم فرق من جهتي التوفي بالحكم الإمساك والإرسال ، أي الله يتوفى الأنفس النفس التي تقبض ، والنفس التي لم تقبض فيمسك الأولى ويرسل الأخرى)) (٦) .

هذا ما تم اختصاره من أثر كتاب التبيان للطيبي في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي وقد كان الأثر واضحاً ، ولعل تاثر السيوطي بالطيبي والأخذ منه راجع لمكانة الطيبي البارزة بين علماء البلاغة بآراءه ومجهوده البلاغي الذي لاينكره أحد عليه .

---

(١) أنظر التبيان للطيبي ص : ٣٨٦ .
(٢) سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .
(٣) أنظر الإتقان ج ٣ ص : ٣١٤ ، ٣١٥ .
(٤) أنظر التبيان للطيبي ص : ٤٠٤ .
(٥) سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .
(٦) أنظر التبيان للطيبي ص : ٤٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر كتاب التبيان للطيبي في كتاب شرح عقود الجمان للسيوطي

كان لكتاب التبيان للعلامة الطيبي أثر كبير في كتاب شرح عقود الجمان للسيوطي ، وإذا ما وازنا بين كتاب الإتقان وكتاب شرح عقود الجمان وما فيهما من أثر لكتاب الطيبي ، نستنتج أن كتاب شرح عقود الجمان أخذ القسط الأكبر من هذا الأثر خاصة وان المواضيع التي نقلها السيوطي من كتاب التبيان للطيبي وذكرها في كتابه شرح عقود الجمان لم تكن مذكورة في كتابه الإتقان ، على أساس هذا رأينا أن نتعرض لدراسة هذا الكتاب وما فيه من تأثر بالتبيان للطيبي .

وإذا ما تتبعنا هذا الأثر نجده كثيراً وفي شتى المواضيع البلاغية الخاصة تحت علومها الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، ولتوضيح هذا الأثر نود أن نعطي بعض الأمثلة لبعض المواضيع من كل علم.

كان تأثر السيوطي بالطيبي واضحاً من خلال ذكره والنقل عنه والاستشهاد بآرائه في العلوم البلاغية الثلاثة ، ففي علم المعاني تعرض السيوطي لموضوع المساواة والاطناب والايجاز ورأى أنه قد اختلف في حقيقتهما ((قال السكاكي ومن تبعه كالطيبي أنهما لكونهما من الأمور النسبية لايتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والرجوع إلى أمر عرفي وهو متعارف كلام الأوساط الذين ليسوا في مرتبة البلاغة فالإيجاز أداء المقصود بأقل عبارة المتعارف والاطناب أداؤه بأكثر منها))(٢). وهذا الرأي هو ما ذهب إليه الطيبي ورأى أن الإيجاز والاطناب :((هما من الأمور النسبية والمعيار كلام الأوساط)) (٣) . والطيبي ممن رفضوا موضوع المساواة ورأى بأنه

---

(١) كتاب شرح عقود الجمان للسيوطي (٩١١ هـ) مطبعة مصطفى الحلبي واولاده مصر ١٣٥٨ هـ وبهامشه حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، للشيخ أحمد الدمنهوري .
(٢) شرح عقود الجمان ص : ٥٨ .
(٣) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهم (١) . واعتبر أن الكلام إما ايجاز أو إطناب رافضاً المساواة.

وتعرض السيوطي لموضوع الطلب في علم المعاني ونقل من الطيبي متأشراً به فمن أنواع الإنشاء عنده منها الاستفهام مثل ما يكون في الفاعل : أأنت ضربتَ ؟ أو في المفعول : أزيداً ضربت ؟ . وفي الفعل: أضربت زيداً ، والمسند أقائم أم قاعد زيد . والمسند إليه أزيد أم عمرو قائم . وقد ذكر السيوطي بأن هذه المواضيع ذكرها الطيبي في التبيان ونبه على ذلك (٢)وما ذكره السيوطي حقيقة هو ماذكره الطيبي في التبيان (٣) ، كما تعرض السيوطي ورأى أنه قد تستعمل كلمات الاستفهام في غيره مجازاً ومن ذلك الاستبطاء نحو : كم أدعوك لمن أكثرت دعاءه . ثم يقول السيوطي عن الطيبي : ((وفهم الطيبي أن ذلك خاص بكم وليس كذلك. فقد مثله في الإيضاح بقوله : متى نصر الله (٤). وهذا ما ذهب إليه الطيبي في الاستبطاء ومثل بقوله للغلام :((هل أنت منطلق؟)) . أي أن الناس انطلقوا . فما وقوفك)) (٥) .

وفي حذف المسند إليه قال السيوطي :((ومنهما ضيق المقام وهو من زيادتي وذكره في الإيضاح ومثله الطيبي في التبيان بقوله : قلت عليل))(٦) . أما في ذكر المسند إليه ومنها :((إيهام غباوة السامع قال الطيبي : كقولك لعابد الصنم : الصنم لاتصرف له (٧)أما التشويق إلى الخبر قال السيوطي : ((وقولي ورد والبيت الذي بعده من زيادتي ايضاً وذكر السكاكي والطيبي من نكت الموصوليةْ أن تكون ذريعة إلى تحقيق الخبر كقوله :(٨)

إن التي ضربت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها غول))(٩)

---

(١) التبيان للطيبي ص : ١٤٦ .
(٢) شرح عقود الجمان ص :٤٩ .
(٣) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٦٧ .
(٤) شرح عقود الجمان ص : ٥٣ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ١٦٨ .
(٦) شرح عقود الجمان ص : ١٤ .
(٧) المصدر السابق ص : ١٥ .
(٨) البيت في الإيضاح ج ١ ص : ١١٧ .
(٩) شرح عقود الجمان ص : ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكل ما ذهب إليه السيوطي في كتابه شرح عقود الجمان هو ما ذكره الطيبي في كتابه التبيان ففي حذف المسند إليه رأى الطيبي أن يحذف لضيق المقام ومثل له بالبيت الشعري القائل :(١)

قال لي : كيف أنت؟ قلت عليلٌ سهر دائم ، وحزن طويل))(٢)

أما في إثبات المسند إليه أو كما يسميه البعض في ذكره ، فمن شروط ذكره المسند إليه التنبيه على غباوة السامع مثل قولك لعابد الصنم : ((الصنم لاتصرف له)) (٣) أو إلى تحقيق الخبر (٤) .

أما من طرق تعريفه كونه اسم إشارة فقد مثله الطيبي في التبيان بالآية الكريمة : ((فذلك الذي يدعّ اليتيم(٥))) (٦) .

أما في باب المسند ففي ذكره ذكر السيوطي أن المسند يذكر ويذكره يراد به التعجب كما ذكره السكاكي والطيبي (٧). هذا ما ذهب إليه الطيبي حين ذكر في كون المسند مذكوراً لقصد التعجب من المسند إليه مثل : (زيد يقاوم الأسد) (٨) .

أما تقييد المسند بالشرط قال السيوطي :((وشرط ابن الحاجب في التغليب أن يغلب الأدنى على الأعلى لأن القمر دون الشمس وأبا بكر افضل من عمر . وأورد عليه البحران للملح والعذب ، والملح أعظم وعكس الطيبي فشرط تغليب الأعلى))(٩)، وما قاله الطيبي في باب التغليب الذي أدخله في التحسين الراجع إلى المعنى في علم البديع : ((هو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاق لفظة عليهما قال

---

(١) البيت في المصباح ص : ٧ ، والإيضاح ج١ ص : ١٠٩ .
(٢) أنظر التبيان للطيبي ص : ٥٤ .
(٣) أنظر التبيان للطيبي ص : ٥٧ .
(٤) المصدر السابق ص : ٦٧ .
(٥) سورة الماعون ، الآية : ٢ .
(٦) التبيان للطيبي ص : ٣٢ .
(٧) شرح عقود الجمان ص : ٣٢ .
(٨) التبيان للطيبي ص : ٨٩ .
(٩) شرح عقود الجمان ص : ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : ((فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس)) (١) ، وقال ((بل أنتم قوم تجهلون)) (٢) .. وقوله تعالى :((يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)) (٣)، فإنما يخرجان من البحر المالح دون العذب)) (٤) .

وقبل أن ننتقل لدراسة علمي البيان والبديع نود أن نشير هنا إلى ان هناك بعض المواضيع التي استغنينا عنها لأنها ذكرت في كتاب الإتقان وأعيد ذكرها في كتاب شرح عقود الجمان مثل ((الترجيع ، والاعتراض وموضوع الاطناب والإيجاز)) (٥). وهذه المواضيع قد ذكرها الطيبي في علم البديع بينما اعتبرها السيوطي من علم المعاني وصرح بذلك : ((انتهى القول في علم المعاني لله الحمد والمنة وفيه أمور أوردها جمع في البديع منهم الطيبي في التبيان وأصحاب البديعيات مثل : الالتفات والخطاب العام ، والتغليب ، والأسلوب الحكيم ، والإيضاح بعد الإبهام ، والتكرار والترديد ، والتعطف والترجيع ، وذكر الخاص بعد العام وعكسه ، والإيغال والتتميم والتكميل والاحتراس والإشارة والبسط)) (٦) .

ونعيد القول هنا أن الطيبي أدخل كل هذه المواضيع تحت علم البديع وخالفه في ذلك السيوطي وأدخلها في علم المعاني متبعاً نهجاً آخر مثل الخطيب القزويني وقد ذكرنا سابقاً هذا الموضوع وبيّنا الاختلاف بين الطيبي والخطيب القزويني في ترتيب المواضيع تحت كل علم (٧) .

أما في علم البيان فقد تاثر السيوطي بما كتبه الطيبي في مقدمة

---

(١) سورة الحجر ، الايتان : ٣٠ - ٣١ وسورة ص ، الايتان ٧٣ - ٧٤ .
(٢) سورة النمل ، الاية : ٥٥ .
(٣) سورة الرحمن ، الاية ٢٢ .
(٤) أنظر التبيان للطيبي ص : ٢٩٤ .
(٥) أنظر شرح عقود الجمان ص : ٧٣ - ٧٦ - ٦٧ .
(٦) شرح عقود الجمان ص : ٧٦، ٧٧ .
(٧) أنظر شرح عقود الجمان ص : ٣٤ ، ٧٦ ، ٧٣ وأنظر الإيضاح ج ١ ص : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علم البيان ويكاد يكون نقل السيوطي حرفياً قال السيوطي :"قال الطيبي :"مثاله انا إذا أردنا إيراد معنى قولنا ، زيد جواد في الأصول الثلاثة نقول في طرق التشبيه ، زيد كالبحر في السخاء . زيد كالبحر ، زيد بحر ، وفي طرق الإستعارة : رأيت بحراً في الدار ، ثم لجّة زيد كثرت ، ثم لجة زيد متلاطم أمواجها ، وفي طرق الكناية زيد مضياف ، زيد كثير أضيافه ، زيد كثير الرماد ثم إن الرماد كثر في ساحة زيد ، ثم إن الجود في قبة ضربت على زيد .

ثم إنه مصور من الجود فظهر أن مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة في إثبات المعنى للشئ ، ولما لم تكن كل دلالة قابلة للوضوح والخفاء احتيج إلى تقسيمها وتعيين المقصود منها بدلالة اللفظ على تمام ما وضع له وضعية كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق وعلى جزئه كدلالة الإنسان على الحيوان فقط أو النطق فقط وخارج عنه كدلالة الإنسان على الضاحك عقلية لأن ذلك من جهة حكم العقل)) (١) .

وهذا ما ذهب إليه الطيبي في إيراد معنى القول :(زيد جواد) في الأصول الثلاثة ففي :
التشبيه نقول : (زيد كالبحر في السخاوة) ، (زيد كالبحر) ، (زيد بحر) . أما في طرق الاستعارة نقول : (رأيت بحراً في الدار) ، ثم (لجةً زيد كثرت) ثم (لجة زيد متلاطم أمواجها) .
وفي الكناية نقول : (زيد مضياف) ، (زيد كثير أضيافه) ، (زيد كثير رماده) ثم أن الرماد كثر في ساحة زيد ، ثم أن الجود في قبة ضربت على زيد .

وفي هذا يقول الطيبي:((فظهر من هذا البيان أن مرجع البيان إلى اعتبار المبالغة في إثبات المعنى للشئ ، وذلك إما على طريقة

---

(١) عقود الجمان ص : ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الالحاق أو الاطلاق والثاني : إما إطلاق الملزوم على اللازم أو عكسه)) (١) .

أما أداة التشبيه قال السيوطي : ((أداة التشبيه الكاف ومثل وكأن ونحوها مما يشتق من المماثلة والمشابهة كمحو وشبه ولايستعمل مثل إلا في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة نبه عليه الطيبي)) (٢) فالأدوات التي ذكرها السيوطي هي نفسها عند الطيبي واشترط الطيبي ألا تستعمل (مثل) إلا في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة (٣) .

أما فيما يخص الاستعارة فقد ذكر السيوطي قول السكاكي والطيبي قال : ((والمواد بمتعلقات معاني الحروف وما يعبر بها عنها عند تفسير معانيها كقولنا من معناها ابتداء الغاية وفي معناها الظرفية فقولك نطقت بكذا أو الحال ناطقة بكذا ، التشبيه فيه للنطق بجعل دلالة الحال مشبهاً ونطق الناطق مشبهاً به ووجه التشبيه إيضاح المعنى وإيصاله للذهن ثم استعير للدلالة لفظ النطق ثم اشتق من النطق المستعار الفعل والوصف ، فالاستعارة في المصدر اصلية وفيها تبعية)) (٤) وهذا الرأي هو مذهب الطيبي ويذكر الطيبي في الاستعارة التبعية أن متعلقات معاني الحروف ما يعبر عنها عند تفسيرها كما تقول : مِنْ ، وكي، ولعل معناها ابتداءُ الغاية والغرض والترجي فلا تقول : (نطقت الحال) بدل (دلّت) إلا بعد استعارة نطق الناطق في الوضوح ثم تستعير النطق للدلالة فتسري من معنى النطق إلى نطقت كقوله تعالى حكاية عن قوم شعيب - عليه السلام - : ((إنك لأنت الحليم الرشيد)) (٥) بدل السفيه الغوي في التهكمية استعار الحلم ، والرشد للسفه ، والغواية ، ثم رى إلى الحليم الرشيد (٦) .

---

(١) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٢) شرح عقود الجمان ص : ٨٤ .
(٣) أنظر التبيان للطيبي ص : ٢١٣ ، ٢١٤ .
(٤) شرح عقود الجمان ص : ٩٥ .
(٥) سورة هود ، الآية : ٨٧ .
(٦) التبيان للطيبي ص : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبع السيوطي نفس النتائج التي اقتنع بها الطيبي فقد ذكر السيوطي كل استنتاجات الطيبي في الإستعارة وأقسامها وترتيبها قال: ((وقد تقدم أن الترشيحية أبلغ من التجريدية والمطلقة والترشيح من شرط حسن الاستعارة وقد ذكره الطيبي في هذا الفصل .

وتقدم أيضاً أن الغريبة أحسن من القريبة ، والتفصيلية أحسن من الإجمالية وذكره الطيبي وزاد أن تكون التخييلية مؤكدة بمعنى المشاكلة كقوله : ((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)) (١) أكد بقوله يد الله بعد التخييل لمعنى المشاكلة في يبايعونك وأن يكون في الكلام عدة استعارات نحو :((فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)) (٢) استعار القرية للأهل على سبيل الكناية والذوق للكسوة على التحقيقية وعدل عن كساها لأن الإذاقة أقوى في الإدراك من اللمس واللباس والجوع)) (٣) .

إن ما نقله السيوطي وتأثر به من كتاب التبيان للطيبي هو زبدة مجهود الطيبي فقد صرح الطيبي بأن الترشيح أبلغ من التجريد لاشتماله على تحقق الاستعارة بأبلغ وجه وتناسى التشبيه ، وصرف النفس عن توهمه حتى بنى على علو القدر ما يُبنى على العلو المكاني (٤) . وكلما كانت الاستعارة بعيدة في التشريح زاد حسنها (٥) . والاستعارة التفصيلية أحسن من الاستعارة الإجمالية (٦) كما رأى الطيبي أن تكون الاستعارة التخييلية مؤكدة لمعنى المشاكلة كما في قوله تعالى : ((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله)) (٧) أكد بقوله : ((يد الله)) بعد التخييل معنى

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ١١٢ .
(٣) شرح عقود الجمان ص : ١٠٠ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ٢٤٩ .
(٥) المصدر السابق ص : ٢٤٩ - ٢٥٢ .
(٦) المصدر السابق ص : ٢٥٣ .
(٧) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المشاكلة في يبايعون الله (١). كما رأى الطيبي أن يجتمع في الكلام عدة استعارات كقوله تعالى : ((فاذاقها الله لباس الجوع والخوف))(٢)استعار القرية للأهل على طريقة المكنية والذوق والكسوة على التحقيقية وعدل كساها لأن الإذاقة أقوى في الإدارك من اللمس واللباس لما يغشى عند الجوع والخوف على الإحتمالين وعدل عن الطعم لبيان عموم الأثر (٣) .

وللسيوطي وقفة طويلة في موضوع الكناية متأثراً بما كتبه الطيبي ولطول هذا الموضوع نورد الأهم مما نقله السيوطي من الطيبي .

قال السيوطي : ((قال الطيبي : وذلك يفعل إما لتنويه جانب الموصوف نحو : أمر المجلس السامي نافذ ومنه : ((ورفع بعضهم درجات))(٤)أي محمد صلى الله عليه وسلم إعلاءً لقدره لأنه العلم الذي لايشتبه وإما لتلطف به كقول الخاطب : عسى أن ييسر لي امرأة صالحة . أو استعطافاً كقول المحتاج : جئت لأسلم عليك وأنظر لوجهك الكريم ... أو احترازاً عن المخاشنة ... أو إهانة وتوبيخ نحو : ((وإذا المؤودة سئلت باي ذنب قتلت)) (٥)) (٦) .

وهذا ما ذكره الطيبي في باب الكناية في موضوع التعريض وما ذهب إليه الطيبي اتبعه السيوطي ونقله من كتاب التبيان واستشهد بنفس الآيات التي استشهد بها الطيبي (٧) . وهذا ما ذكره الطيبي في التعريض فقد ذكر عدم الذكر أي عدم التصريح كما جاء في الآية الكريمة ليكون تفخيما ويفهم المقصود من ذلك كما ذكر الملاطفة

---

(١) التبيان للطيبي ص : ٢٥٢ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ١١٢ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٢٥٤ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٣ .
(٥) سورة التكوير ، الآية : ٨ .
(٦) شرح عقود الجمان ص : ١٠٢ .
(٧) أنظر التبيان للطيبي ص : ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاستعطاف والمخاشنة والإهانة والتوبيخ .

كما كان للطيبي أثر واضح في السيوطي في علمي المعاني والبيان فكذلك له أثر واسع في علم البديع في كتاب شرح عقود الجمان للسيوطي . ففي علم البديع في باب التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى نقل السيوطي موضوع الطرد والعكس متأثراً بما كتبه الطيبي. ولعدم التكرار فقد ذكرنا هذا الموضوع في أثر الطيبي في كتاب الإتقان للسيوطي وبيناه وأعاد السيوطي نفس الموضوع في كتاب شرح عقود الجمان (١) . فمن التحسين الراجع إلى المعنى ذكر السيوطي موضوع الألغاز وقال : ((ذكره في التبيان ويسمى المحاجاة والتعمية)) (٢)، وهو ماذكره الطيبي تحت اسم اللغز ووضحه كذلك بانه الأحجية والمعمّى (٣) .

أما فيما يخص التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى فقد نقل السيوطي الكثير من المواضيع متأثراً بما كتبه الطيبي فيها ونذكر منها ما يلي :

١ - الترقي : ذكره السيوطي قائلاً : ((ذكره في التبيان وهو أن يذكر المعنى ثم يردفه بما هو أبلغ منه كقولهم : عالم نحرير ، وشجاع باسل ، وجواد فياض وقوله تعالى : ((الخالق البارئ المصور)) (٤) أي قدر ثم مثّله وقوله : ((لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى)) (٥). أي ولا من هو أقرب مودة فكيف الأبعد ، فما كتبه السيوطي في هذا الموضوع يكاد يكون منقولاً حرفياً من كتاب التبيان للطيبي بنفس القول والشواهد)) (٧) .

---

(١) أنظر شرح عقود الجمان ص : ١٣٤ .
(٢) شرح عقود الجمان ص : ١٣٧ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٣٠٢ .
(٤) سورة الحشر ، الآية : ٢٤ .
(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ .
(٦) شرح عقود الجمان ص : ١٣٥ .
(٧) سنظر في كتاب التبيان للطيبي ص : ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ - الاستطراد : نقله السيوطي من كتاب التبيان وقال :((أحدهما الاستطراد وذكره في التبيان .. وهو أن يكون في فن من الفنون : أي غرض من الأغراض ثم يسنح له فن آخر يناسبه في الذكر فيورده ثم يرجع إلى الأول ويقطع الاستطراد وبهذا القيد يخرج عن التخلص)) (١) وهذا ما قاله الطيبي في هذا الموضوع وهو أن تكون في شئ من الفنون ثم سنح لك فن آخر يناسبه فتورده في الذكر(٢) .

٣ - الاستتباع والادماج : قال السيوطي :((وفسر قوم الاستتباع بأنه الوصف بشئ على وجه يستتبع الوصف شئ آخر سواء كان مدحاً أو ذماً ومشى عليه الطيبي وغيره ومثل له بقول ابن الرومي :(٣)

نكهتها تقتل جُلاّسها لقرب مجثاها من المفسأ.

وصفها بالبخر على وجه استتبع وصفها بالقصر وقال الشيخ بهاء الدين وفيه نظر لأنه يتحد حينئذٍ بالإدماج . قلت ليس كذلك فقد صرح الطيبي بأن الإدماج أخص وهذا هو المطلوب لأن الوصف المستتبع في الأول للموصوف أولاً بخلاف الثاني فإن الوصف المضمن لغير الموصوف أولاً كما ترى))(٤).

وقد أكد الطيبي بقوله : ((وهو أخص من الأول وأعم من الثاني)) (٥) وهذا عندما فرق بين الاستتباع والادماج حتى لايقع الخلط بينهما وإذا كان للشيخ السبكي في هذه القضية كما ذكر السيوطي ، فإن السيوطي أيّد الطيبي وعارض بهاء الدين السبكي واستشهد بما ذكرناه من قول الطيبي .

٤ - التفسير والإيضاح والإشتراك وهذه الأنواع متقاربة وسماه الطيبي في التبيان ((تفسير الخفي)) (٦) وقد سماه الطيبي التفسير

---

(١) شرح عقود الجمان ص : ١٣٥ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٣٨٧ .
(٣) البيت في التيان للطيبي ص : ٣٩٠ .
(٤) شرح عقود الجمان ص : ١٢٧ .
(٥) التبيان للطيبي ص : ٣٨٩ - ٣٩٠ .
(٦) شرح عقود الجمان ص : ١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخفي وسماه بدرالدين بن مالك في المصباح بـ : التبيين (١) .

٥ - اللف والنشر : قال الطيبي: ((ومنه قوله تعالى : ((الله يتوفى الأنفس حين موتها))(٢) الآية جمع النفسين في حكم التوفي ثم فرق بين جهتي التوفي بالحكم بالإمساك والإرسال أي الله يتوفى الأنفس التي تقبض والتي لم تقبض فيمسك الأولى ويرسل الأخرى))(٣)وما نقله السيوطي في هذا الموضوع تحت عنوان اللف والنشر من الطيبي لم نجده عنده لأن الطيبي ذكر الآية وشرحها في موضوع الجمع مع التفريق وهو ما نقلهالسيوطي .(٤)فلهذا فحسب المصدر المتوفر لدينا فإن الطيبي لم يذكر ما قاله السيوطي في موضوع اللف والنشر أبداً .

إما فيما يخص الفصاحة ومنها الباب الثاني الخاص بأوصاف التراكيب ذكر السيوطي بعض المواضيع التي تأثر فيها من الطيبي ومنها :الجناس بالإشارة قال :((والثاني ويسمى أيضاً تجنيس الكناية وهو أن يقصد المجانسة في بيت بين الركنين فلا يوافقه الوزن على إبرازهما فيضمر الواحد ويعدل إلى مرادف فيه كناية عن المضمر أو إلى لفظة فيها كناية تدل عليها وهذا القسم ذكره الفخر الرازي في نهاية الإيجاز والطيبي في التبيان ومثل له بقوله (٥) :

حُلقت لحية موسى بموسه وبهرون إذا ما قلبا))(٦)

كما ذكر السيوطي الجناس المشوش وصرح بأن هذا النوع مذكور في كتاب الايجاز والتبيان وغيرهما (٧) .

وتعرض السيوطي لموضوع السجع وقال :((وقسمه في التبيان إلى

---

(١) أنظر التبيان للطيبي ص : ٣٩٨ والمصباح ص : ٩٥ .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٤٢ .
(٣) شرح عقود الجمان ص : ١١٩ .
(٤) أنظر التبيان للطيبي ص : ٣٩٩ اللف والنشر ، ٤٠٥ الجمع مع التفريق .
(٥) البيت في كتاب أنوار الربيع ج ١ ص : ٢١٩ .
(٦) شرح عقود الجمان ص : ١٤٧ .
(٧) المصدر السابق ص : ١٤٨ ، وأنظر التبيان للطيبي ص : ٤٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمانية أقسام هي :

١ - الكامل أن يكون مستقلاً في فهم المعنى .

٢ - أن يكون مستقلاً وله رابطته بالثاني .

٣ - أن يكون غير مستقل .

٤ - أن يكون معلقاً على صفة في الثاني .

٥ - أن يكون لكل منهما في التقديم معنى وهو في الحسن يلي الأول .

٦ - أن يكون لفظ العجز حقيقة وهو مذموم .

٧ - أن يكون مجازاً .

٨ - أن يتخالف لفظ العجزين ويتوافقا في الموازنة وهو أقدح الكل والمتتبع لهذا التقسيم عند السيوطي لايجده في كتاب التبيان نهائياً ونحن نحكم هذا الحكم من خلال المصدر المحقق بين أيدينا فالطيبي كما ذكر السيوطي لم يقسم الجناس إلى ثمانية أقسام وإنما قسمه إلى ثلاثة أقسام هي :

أ - السجع المطرف .

ب - السجع المتوازي .

ج - السجع المتوازن .

ووضع أو ذكر الطيبي شروط حسن السجع وهي :

١ - أن يكون كل واحد من الفقرتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وهو أشرف السجع للإعتدال .

٢ - أن يختلف قرينتاه في المعنى .

٣ - أن يكون ساكنة الأعجاز ليتزاوج (١) .

يبقى السؤال مطروحاً من أين أتى السيوطي بهذه التقسيمات ورد مصدرها إلى كتاب التبيان للطيبي ؟ .

مع علمنا أن ما تم تحقيقه حتى الآن لهذا الكتاب -التبيان - هو

---

(١) ينظر التبيان للطيبي ص : ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحقيق د. هادي عطية مطر الهلالي وكذلك تحقيق د. توفيق الفيل بمشاركة عبد اللطيف لطف الله ، وتحقيق هذه النسخة متشابهة إلى حد كبير إذ لاتجد فرقاً كبيراً يذكر ، فهل من ذلك الزمان اي زمن السيوطي ضاعت ورقات من كتاب التبيان ؟ أم وصلتنا نسخ ناقصة النسخ ؟ .

نقول سيبقى جهد الباحثين هو الجواب في المستقبل إن شاء الله .

أثر كتاب التبيان للطيبي في كتاب أنوار الربيع لابن معصوم (- ١١٢٥ هـ)

يعتبر ابن معصوم من العلماء الذين تأثروا بكتاب التبيان للطيبي ، وقد اعتمد ابن معصوم أثناء تأليفه كتاب أنوار الربيع على كتاب التبيان في كثير من المواضيع البلاغية ناقلاً منه ذاكراً إياه متأثراً بآرائه ، والأمر الواضح في هذا الكتاب أنه اعتمد كثيراً على كتاب التبيان في علم البديع وكذلك في الشواهد بصفة عامة ومن خلال تفحصنا لكتاب أنوار الربيع استنتجنا من أجزاء الكتاب أن معظم ما نقله ابن معصوم من كتاب التبيان للطيبي كان في علم البديع ونورد ما ذكر ابن معصوم في المساواة .

ففي علم المعاني قال ابن معصوم :((هل هي واسطة بين الإيجاز والإطناب أم داخلة في قسم الإيجاز ؟ . فالسكاكي والتيفاشي والخطيب القزويني على الأول ، وابن الأثير والطيبي وجماعة على الثاني ، وسماها الطيبي إيجاز قصر . قال : وهو أن تقصر اللفظ على المعنى))(١) وحقيقة هذا الموضوع أن الطيبي خالف السكاكي والقزويني ورفض وجود المساواة بن الاطناب والإيجاز . وقيل مثال المساواة

---

(١) أنوار الربيع ج ٦ ص : ٣١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله تعالى : ((ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)) (١) وهذا هو رأي الطيبي في هذا الموضوع إذ أنكر وجود مساواة ، ورأى أن الموضوع لايحتمل أكثر من إطناب أو إيجاز بأقسامه فقط (٢) ، أما مواضيع علم البديع فقد ذكر ابن معصوم الكثير منها ففي التحسين الراجع إلى المعنى ذكر التوجيه : ((وأما التوجيه البديعي فهو عند جماعة كالسكاكي والخطيب والطيبي اسم المسمى الابهام المتقدم ذكره . وهو إيراد الكلام محتملاً لمعنيين متضادين لايتميّز أحدهما عن الآخر كالمديح والهجاء وغيرهما ، والابهام عند هؤلاء اسم مرادف للتورية لالهذا المعنى)) (٣) وهذا ما جاء عند الطيبي في موضوع التوجيه إذ هو إيراد كلام محتمل لوجهين مختلفين (٤) .

أما التتميم قال ابن معصوم :((وعدّ منه الطيبي في التبيان قول البحتري (٥) :

إذا نضون شفوف الريط آونة قشرن عن لؤلؤ البحرين أصدافاً .

قال : شبه أجسادهن إذا خلعن ثيابهن بلؤلؤ قشر عنه الصدف فتم معنى البيت ، ولم يتم وزنه ، فجاء بذكر البحرين حشواً مستهجناً)) (٦) وهذا مذهب الطيبي إذ رأى أن من التتميم ما يختص باللفظ ويسمى حشواً قبيحاً وذلك إذا روعي الوزن دون المعنى (٧) .

لكن ابن معصوم لايرى ما رآه الطيبي إذ يقول :((وليس في محله - يقصد كلام الطيبي - بل في ذكر البحرين معنى زائد فإنه أفاد به تشبيه أجسادهن بأعلى أنواع اللؤلؤ وأغلاها ، لأن لؤلؤ البحرين لايدانيه شئ من اللآلئ التي تستخرج من سائر البحور في حسنه وصفاته

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٤٣ .
(٢) أنظر التبيان للطيبي ص : ١٤٥ - ١٤٦ .
(٣) أنوار الربيع ج ٣ ص : ١٤٤ .
(٤) التبيان للطيبي ص : ٣٠٠ .
(٥) البيت في التبيان للطيبي ص : ٣٨١ وفيه شفوق بدل ((شفوف)) .
(٦) أنوار الربيع ج ٣ ص : ٥٥ .
(٧) التبيان للطيبي ص : ٣٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورونقه . نعم لو كان اللؤلؤ منحصراً في لؤلؤ البحرين لتوجه ما ذكره ، وليس كذلك بل اللؤلؤ يستخرج من بحر الهند وبحر اليمن وغيرها ولكن ليس شئ منه في الحسن كلؤلؤ البحرين فذكر البحرين في البيت من التتميم الحسن البديع))(١) . وهكذا يخالف ابن معصوم الطيبي ويذهب إلى غير ما ذهب إليه الطيبي فالذي عند الطيبي وهو التتميم الذي يهتم باللفظ وهو حشو قبيح ،اعتبره ابن معصوم من التتميم الحسن البديع .واعتبر الطيبي بذلك غير فاهمٍ لما جاء في مضمون البيت الشعري .

أما الكلام الجامع فقد نقل ابن معصوم تعريف هذا الموضوع من الطيبي حيث قال :((وقال الطيبي في التبيان : هو أن يحلي المتكلم كلامه بشئ من الحكمة والموعظة ، وشكاية الزمان والاخوان))(٢) . وهذا التعريف هو تعريف الطيبي حرفيا :((وهو أن يحلي المتكلم كلامه بشئ من الحكمة والموعظة وشكاية الزمان والإخوان))(٣) . أما موضوع القول بالموجب أكد ابن معصوم أن الطيبي سبق السيوطي في هذا الموضوع حيث قال : ((وسبقه إلى ذلك الطيبي في التبيان فقال بعد تلاوة الآية :كأنه قيل : نعم أذن" ولكن نعم الأذن ، أي هو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لا أذن سوء فسلّم لهم قولهم فيه إلا أنه فسره بما هو مدح ، وإن كان قصدوا به المذمة ، ولا شئ أبلغ في الرد من هذا الأسلوب ، لأن فيه إطماعاً في الموافقة وكرّ إلى إجابتهم في الإبطال وهو القول بالموجب في الأصول))(٤) .

وهذا التعريف منقول حرفياً إذ قال الطيبي :((ومنه قوله تعالى: ((ويقولون هو أذن" قل هو أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن

---

(١) أنوار الربيع ج ٣ ص : ٥٥ .
(٢) أنوار الربيع ج ٢ ص : ٣١٨ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٣٣٠ .
(٤) أنوار الربيع ج ٢ ص : ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمؤمنين)) (١) كأنه قيل : نعم هو أذن ولكن نعم الأذن أي هو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لا أذن سوء فسلّم لهم قولهم فيه : إلا أنه فسّر بما هو مدح له وإن كانوا قصدوا به المذمة ، ولا شئ أبلغ في الرد من هذا الأسلوب لأن فيه أطماعاً في الموافقة ، وكرّاً إلى إجابتهم بالإبطال وهو كالقول بالموجب في الأصول)) (٢) ، قد ذكر الطيبي هذا الموضوع تحت عنوان ((الرجوع)) .

وتطرق ابن معصوم لموضوع الجمع مع التفريق والتقسيم وهذا في التحسين الراجع إلى اللفظ والمعنى إذ قال : ((لم ينظم الشيخ صفي الدين ولا غيره من أرباب البديعيات الجمع مع التفريق والتقسيم ، أما اكتفاء بالجمع مع التفريق والجمع مع التقسيم أو لأن البيت الواحد لا يتسع لنظمه وقد ذكره السكاكي في المفتاح والقزويني في التلخيص والإيضاح والطيبي في التبيان والسيوطي في الإتقان وجماعة آخرون وهو عبارة عن أن يجمع المتكلم متعدد الخت أمر ثم يفرق ثم يضيف إلى كل ما يناسبه)) (٣) وفعلاً فإن الطيبي من البلاغيين الذين تعرضوا لدراسة موضوع الجمع مع التفريق والتقسيم (٤) .

أما موضوع التطريز فقد عرفه ابن معصوم : ((التطريز في اللغة مصدر طرزت الثوب إذا جعلت له طرازاً أي علماً وهو معرّب ، وثوب مطرز بالذهب وغيره أي معلم وفي الاصطلاح يطلق على معنيين :

أحدهما أن يؤتى في الكلام بمواضع متقابلة كأنها طراز . هكذا عرّفه الطيبي في التبيان ومثله بقول أبي تمام (٥) :

أعوام وصل كاد ينسى طولها ذكر النوى فكأنها أيام

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٦١ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٣٩٢ - ٣٩٣ .
(٣) أنوار الربيع ج ٥ ص : ١٧٦ .
(٤) أنظر التبيان للطيبي ص : ٤٠٧ وما يليها .
(٥) الأبيات في التبيان للطيبي ص : ٣٩٤ وفيه ينسي مكان (ينسى) وفيه كذلك : وكأنهم وكأننا مكان (فكأنها وكأنهم).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم انبرت أيام هجر أعقبت بأسى فخيلنا أنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام))(١)

وما ذكره ابن معصوم في تعريف هذا الموضوع هو ما ذهب إليه الطيبي في تعريفه له كذلك إذ قال : ((هو أن يؤتى في الكلام مواضع متقابلة كأنها طراز))(٢) والأبيات نفسها التي استشهد بها ابن معصوم هي التي استشهد بها الطيبي . وتعرض ابن معصوم لموضوع العقد وهذا دائماً في علم البديع وأشار إلى أن الطيبي أورد هذا في التبيان وذكر أن من أمثلة هذا النوع عدة مقاطيع منها : ما روى ابن الضحاك أن أبا نواس سمع صبياً يقرأ :((يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء مشوا فيه وإذا أظلم عليهم تاهوا))(٣) فقال في مثل هذا يجيء صفة الخمر حسنة ثم قال :(٤)

وسيارة ظلوا عن القصد بعدما ترادفهم جنح من الليل مظلم
فلاحت لهم منا على الناي قهوة كأن سناها ضوء نار تضرم
إذا ماحسوناها أناخوا مكانهم فإن مزجت حثوا الركاب ويمموا(٥)

والعقد كما عرفه الطيبي هو أن ننظم نثرا إما قرآنا،أو حديثا ، أو أثرا أو حكمةً))(٦) . والذي نقله ابن معصوم هو ما ذكره الطيبي حرفياً تقريباً(٧) وهو نوع من أنواع العقد التي ذكرها الطيبي في تعريفه له .

وذكر ابن معصوم موضوع التلميح قال : ((قال الطيبي في التبيان ومنه قوله تعالى : ((ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود

---

(١) أنوار الربيع ج ٥ ص : ١٧٦ .
(٢) التبيان للطيبي ص : ٣٩٤ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٠ .
(٤) الأبيات في التبيان للطيبي ص : ٤٢١ .
(٥) أنوار الربيع ج ٦ ص : ٣٠٣ .
(٦) (٧) أنظر التبيان للطيبي ص : ٤٢٠ - ٤٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زبوراً (١)) (٢) . وعرف الطيبي التلميح بقوله : ((هو أن يشار في الكلام إلى قصة أو شعر)) (٣) ، وقد أخذ ابن معصوم القصة القرآنية كما دونها الطيبي وروى ما قاله الطيبي متأثراً به .

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٥٥ .
(٢) أنوار الربيع ج ٤ ص : ٢٦٦ .
(٣) التبيان للطيبي ص : ٤٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

إن ميدان العلوم البلاغية ميدان واسع ، وقد بني هذا الصرح البلاغي الكبير بمجهود أجيال تركت خط الاتصال والاستمرار حياً نابضاً بعطائها المستمر في خدمة اللغة العربية ، وما من جيل يأتي إلا ويبحث وينقب فيما تركه الجيل الذي سبقه ويضيف ما جادت به ينابيع الفكر العربي الإسلامي إلى هذا التراث الضخم .

قلنا إن هذه الأجيال عملت جاهدة من أجل العطاء والاستمرار خدمةً للقرآن الكريم وإيصاله إلى مدارك المسلمين بأسهل المناهج وأدقها وأصحّها ، ولم يكن العلامة الطيبي إلا واحداً من هذه الأجيال التي مرت ، أفنى عمره في خدمة العلوم البلاغية لإظهار وإبراز كلمة الحق التي أنعم بها الله - سبحانه عز وجل - على الإنسان ، وإذا كانت الأجيال الأولى من علمائنا قد كتبت وألّفت في شتى ميادين علوم اللغة العربية ففي تلك البدايات لم تكن الرؤية واضحة والمنهج مرسوماً . فلم يكن هناك تقنين ، والواضح جلياً أن اهتمام العلماء بالبلاغة وإعطائها اهتماماً كبيراً لم يكن إلا لأهميتها البالغة فلهذا صنّفت لها كتب وأبحاث كثيرة ، ولكن بمجيء العلامة السكاكي اتخذت البلاغة منعطفاً علمياً كبيراً) فقد قننها وقسمها إلى علمي المعاني والبيان وإلى محسنات لفظية ومعنوية وترك الباب مفتوحاً للاجتهاد ، وبهذا أظهر المنهج المنطقي أو كما يسميه البعض المدرسة المنطقية بعد أن كانت العلوم البلاغية تبحث ضمن منهج أدبي ، أو كما قال البعض إن عبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) كان في كتابه أسرار البلاغة أديباً ، وفي كتابه دلائل الاعجاز منطقياً ، وكأنهم يريدون له السبق العلمي قبل السكاكي ، فمهما تضاربت الآراء وانحازت النفوس يبقى المنطق العقلي هو الغالب بأن السكاكي هو مقنن العلوم البلاغية وواضع منهجها الجديد .

بمجيء الطيبي وجد أن العلوم البلاغية تسير بمنهجين، منهج أدبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهج منطقي ولكل منهج منهما محاسنه ومساوئه فاتخذ في مؤلفه منهجاً جديداً جمع فيه بين المنهجين ، فمنطق وقنن العلوم البلاغية وفي نفس الوقت شبّعها بكثرة الشواهد سواء من التنزيل الحكيم أم أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أم أشعار العرب وأقوالهم وهذا مجهود كبير في ميدان البحث العلمي والتاليف ، فكما جدد السكاكي منهج العلوم البلاغية ، فكذلك جدد الطيبي المنهج بجمعه المنهجين في منهج واحد . والمتتبع لما كتبه الطيبي يستنتج أن ما وصل إليه لم يكن صدفة بل ثمرة مجهود جبار ينم عن علم واسع واطلاع كبير وعمق ودقة في القراءات لاشك فيها ، لم يتعصب لا لهذا ولا لذاك وإنما كان ياخذ بالرأي الصواب والمقبول . ومن المحتمل أن المطّلع على كتابه قد يتكهّن انه يتعصب للسكاكي ضد العلامة الزمخشري ، لكّن الباحث المتمعن يرى أنه كان -أي الطيبي - يوافق الزمخشري في كثير من آرائه وخير مثال على ذلك أنه استعان بكتاب الكشاف للزمخشري كأحد مصادره .

ولم يكتف الطيبي باختيار هذا المنهج الجديد بوصفه إطاراً صب فيه العلوم البلاغية ولكنه تعمق في صلبها وبحث في دقائقها وأعاد ترتيبها وخالف الكثير ممن سبقوه أو عاصروه في ترتيب مواضع العلوم البلاغية وإبداء الرأي فيها وإضافة الجديد لها ، كما اغنى هذه المواضيع بالشواهد سواء كانت من التنزيل الحكيم أم الأحاديث الشريفة أم من أشعار العرب وأقوالها .

كما اهتم اهتماماً كبيراً بعلم المعاني وأولاه شطر كتابه وناقش مواضيعه بإسهاب وختمه بنموذج تطبيقي طبق فيه العلوم البلاغية يختلف عن تطبيق العلامة الزمخشري في كتابه الكشاف ويمكننا القول إنه نموذج جديد والطيبي أول من اجتهد في تطبيقه مثل ما يطبق الآن في المدارس من تطبيقات حديثة .

ولكي لانعيد ما ذكرناه في هذه الخاتمة فإن مجهود الطيبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستنتج بين طيات صفحات الرسالة ، واجتهادات الطيبي كثيرة و لايمكن حصرها .

بهذا نقول بعد هذا التتبع التاريخي للعلوم البلاغية وأعلامها إن الطيبي لم يكن ممن شرحوا أو لخصوا ما كتب قبلهم ولكنه ألف مؤلفاً جديداً يختلف اختلافاً كلياً عن منهج الشراح والملخصين فمنهجه جديد مملوء بالآراء الجديدة كذلك .

لقد لفت انتباهي أمر أثناء بحثي ودراستي لما كتبه الطيبي فقد وجدته قد ذكر الكثير من علماء اللغة والبلاغة واستشهد بآرائهم لكن الأمر الغريب الذي استوقفني هو عدم ذكر الطيبي لا لاسم العلامة الجليل عبدالقاهر الجرجاني و لاذكر لآرائه ، فالباحث يبقى حائراً لهذا الغموض مع أن العلامة عبدالقاهر الجرجاني غني عن التعريف ومن كبار وعلماء البلاغة .

ويبقى السؤال لماذا لم يذكر الطيبي عبدالقاهر الجرجاني ؟ . مع العلم أننا عثرنا على أثر كتاب دلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني في كتاب التبيان للطيبي (١) .

---

(١) أنظر كتاب التبيان للطيبي ص : ٧٧ - ١٦٦ - ١٦٧ تجد ما استشهد به عبدالقاهر نقله الطيبي فانظر دلائل الإعجاز ص : ٧٧ - ٧٨ - ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر

١ - القرآن الكريم .

٢ - الاتقان في علوم القرآن السيوطي (- ٩١١ هـ) محمد أبو الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ .

٣ - أساس البلاغة للزمخشري (- ٥٣٨ هـ) مطبعة دار الكتب ط ١ ج ١ ١٩٧٢ .

٤ - أسرار البلاغة عبدالقاهر الجرجاني (- ٤٧١ أو ٧٧٤ هـ) السيد محمد رشيد رضا ط ١٩٥٩ مكتبة القاهرة .

٥ - أنوار الربيع ابن معصوم (- ١١٢٥ هـ) ،شاكر هادي شاكر ط١ ١٩٦٩ .

٦ - الايضاح في علوم البلاغة للقزويني (- ٧٣٩ هـ) ، محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ط ٦ ، ٢٤٠٥ هـ ، وكذلك طبعة ٢ .

٧ - البديع في البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ (- ٥٨٤ هـ) عبد - آ .. علي مهنا ، دار الكتب العلمية ط ١ ١٤٠٧ هـ .

٨ - البديع لإبن المعتز (- ٢٩٦ هـ) محمد عبدالمنعم خفاجي مطبعة البابي الحلبي وأولاده ط ١٩٤٥ .

٩ - بديع القرآن ابن أبي الإصبع المصري (- ٦٥٤ هـ).حنفي محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ط ١ ١٤٠٧ هـ .

١٠- بغية الوعاة للسيوطي (- ٩١١ هـ) محمد أبو الفضل ابراهيم المكتبة العصرية مج ١ .

١١- البلاغة عند المبرد (- ٢٨٥ هـ) رمضان عبدالتواب ، مكتبة الثقافة الدينية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢- البيان والتبين الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) عبدالسلام هارون ط٤ بيروت.

١٣- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي (- ٧٤٣ هـ) هادي عطية مطر الهلالي عالم الكتب ط ١ ١٤٠٧ هـ .

١٤- التبيان في البيان للطيبي (- ٧٤٣ هـ) ، توفيق الفيل ، عبداللطيف لطف الله . ذات السلاسل للطباعة والنشر ط١ ١٤٠٦ هـ .

١٥- تلخيص البيان في مجاز القرآن الشريف الرضي (- هـ) محمد عبدالغني حسن ، دار إحياء التراث العربي ، عيسى الباني الحلبي وشركاه ط ١ ١٣٧٤ هـ .

١٦- الجامع الكبير ابن الأثير (- ٦٣٧ هـ) ، مصطفى جواد سعيد ، المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦م .

١٧- الجمان في تشبيهات القرآن ابن ناقيا البغدادي (- ٤٨٥ هـ) ، أحمد مطلوب ، خديجة الحديثي دار الجمهورية ١٣٨٧ هـ .

١٨- الحيوان للجاحظ (- ٢٥٥ هـ) عبدالسلام هارون ط ٣ ج ٣ .

١٩- خزانة الأدب للبغدادي (- ١٠٣٠ هـ) عبدالسلام هارون دار الكتاب العربي ١٣٨٧ هـ ج٢ .

٢٠- الدرر الكامنة للعسقلاني (- ٨٥٢ هـ) محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ج ٢ ط ٢ ١٩٦٦ م .

٢١- دلائل الإعجاز عبدالقاهر الجرجاني (- ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ) ، السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ط ١٩٦١ م .

٢٢- ديوان أبي فراس الحمداني ، رواية أبي عبدالله الحسن بن خلويه ، دار صادر .

٢٣- ديوان البحتري دار صادر ، بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٤- ديوان الحماسة للتبريزي ج ١, ط ١ . دار العلم بيروت .

٢٥- ديوان الخنساء ، أنور أبوسويلم دار عمار ط ١ ١٤٠٩ هـ .

٢٦- ديوان المتنبي ، البرقوقي ، دار الكتاب العربي ١٩٨٠م .

٢٧- ديوان امرىء القيس حسن السنوسي ط ٧ المكتبة الثقافية بيروت ١٩٨٢ م .

٢٨- سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ) ، عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ط ١٩٥٢ م .

٢٩- شذرات الذهب ابن العماد الحنبلي (- ١٠٨٩ هـ) دار المسيرة ج ٦ ط ٢ . ١٩٧٩م .

٣٠- شرح عقود الجمان للسيوطي (- ٩١١ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ١٣٥٨ هـ . وبهامشه حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري .

٣١- الشعر والشعراء ابن قتيبية (- ٢٧٦ هـ) دار الثقافة . ج ٢ . ط ٤ . ١٤٠٠ هـ .

٣٢- الصناعتان للعسكري (- ٣٩٥ هـ) . علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ط ١ ١٩٥٢ م .

٣٣- طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي (- ٢٣١ هـ) محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني القاهرة ١٩٧٤ م .

٣٤- الطراز للعلوي (- ٧٤٩ هـ)، جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ١٤٠٠ هـ .

٣٥- عروس الأفراح للبهاء السبكي ، ضمن شروح التلخيص ، عيسى البابي الحلبي . ج ٢ ، ٣ ، ٤ . ١٩٣٧ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٦- العمدة لإبن رشيق القيرواني (- ٤٥٦ هـ) محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ج ١ . ط ٤ . ١٩٧٢ م .

٣٧- قواعد الشعر لثعلب (- ٢٩١ هـ) ، محمد عبدالمنعم خفاجي ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده ط ١ . ١٣٦٧ هـ .

٣٨- الكامل للمبرد (- ٢٥٥ هـ) ، محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته ، دار نهضة مصر . ج ٣ .

٣٩- الكتاب لسيبويه (- ١٨٠ هـ) المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ط١ ١٣١٦ هـ .

٤٠- الكشاف للزمخشري (- ٥٣٨ هـ) ، مطبعة الدار العالمية .

٤١- كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، إسماعيل العجلوني (- ١١٦٢ هـ) دار إحياء التراث العربي . ج ١ . ط ٣ . ١٣٥١ هـ .

٤٢- المثل السائر لإبن الأثير (- ٦٣٧ هـ) ، بدوي طيانة ، أحمد الحوفي . مكتبة نهضة مصر ط١ ١٣٨١ هـ .

٤٣- مجاز القرآن لأبي عبيدة بن معمر المثنى (- ٢٠٨ هـ) محمد فؤاد سزكين ، دار الفكر . ط ٢ . ١٩٧٠ م .

٤٤- مجمع الأمثال للميداني (- ٥١٨ هـ) ، دار مكتبة الحياة بيروت مج ١ . ١٩٦١ م .

٤٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ج ١ . ط ٢ . ١٣٩٨ هـ .

٤٦- المصباح لبدرالدين بن مالك (- ٦٦٨ هـ) المطبعة الخيرية ط ١ ١٣٤١ هـ .

٤٧- المطول على التلخيص للتفتازاني (- ٧٩٢ هـ) ، استانبول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطبعة العثمانية ١٣٠٤ هـ .

٤٨- المفتاح للسكاكي (- ٦٢٦ هـ) . نعيم زرزور ط دار الكتب العلمية .

٤٩- مقدمة ابن خلدون (- ٨٠٨ هـ) دار البيان مج ١ .

٥٠- مناهج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجي (- ٦٨٤ هـ) محمد الحبيب بن الخوجة ، تونس .

٥١- نقد الشعر قدامة بن جعفر (- ٣٣٧ هـ) محمد عبدالمنعم خفاجي ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط ١ . ١٣٦٧ هـ .

٥٢- نهاية الايجاز للفخر الرازي (- ٦٠٦ هـ) بكري شيخ أمين ، دار الملايين ط ١ ١٩٨٥ م .

٥٣- نهاية الايجاز للفخر الرازي (- ٦٠٦ هـ) محمد بركات أبو علي ، ابراهيم السمرائي ، دار الفكر والنشر والتوزيع .

المراجع

١ - أثر النحاة في البحث البلاغي ، عبد القادر حسين ، دار النهضة مصر .

٢ - الأسلوب ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ط ٥ .

٣ - البديعيات في الأدب العربي ، علي أبو زيد ، عالم الكتب ط ١ .

٤ - البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ط ٣ .

٥ - البلاغة القرآنية في تفسير الخفاجي ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ط ٢ . ١٩٨٨ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ - البلاغة عند السكاكي ، أحمد مطلوب ، منشورات مكتبة النهضة بغداد .

٧ - البهاء السبكي وآراؤه البلاغية ، عبدالفتاح لاشين ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر . ط ١ - ١٣٨٩ هـ .

٨ - التصور الأدبي في كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبدالرحيم العباسي (- ٩٦٣ هـ) د. محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٠٤ هـ .

٩ - التصوير البياني ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط ٢ . ١٤٠٠ هـ .

١٠- التفكير البلاغي عند العرب ، حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ١٩٨١ م .

١١- التكرير بين المثير والتاثير ، عز الدين علي السيد ، دار الطباعة المحمدية ط ١ ١٣٩٨ هـ .

١٢- دراسات بلاغية عند ابن الأثير ، عبدالواحد حسن الشيخ ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٦ م .

١٣- علم المعاني ، عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية ١٩٧٢ م .

١٤- القزويني وشروح التلخيص ، أحمد مطلوب ، مكتبة النهضة بغداد ، ط ١ . ١٩٦٧ م .

١٥- فن الجناس ، علي الجندي ، دار الفكر العربي .

١٦- فن الإستعارة ، أحمد عبدالسيد الصادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٧- المجاز في البلاغة العربية ، مهدي صالح السمرائي ، دار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدعوة ، ط ١ ١٣٩٤ هـ .

١٨- محاضرات في علم البديع ، محمد بدري عبد الجليل ، مكتبة كريدية إخوان بيروت ١٩٨٣ م .

١٩- مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين ، أحمد عبد السيد الصاوي منشأة المعارف .

٢٠- مقدمة في دراسة البيان العربي ، محمد بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ١٩٨٦ م .

٢١- مناهج بلاغية ، أحمد مطلوب ، وكالة المطبوعات الكويت .

٢٢- مناهج تجديد ، أمين الخولي ، دار المعرفة ، ط ١ ١٩٦١ م .

٢٣- منهج الزمخشري في تفسير القرآن ، مصطفى الصاوي الجوني ، دار المعارف بمصر .

٢٤- من القضايا النقد والبلاغة ، توفيق الفيل - مكتبة نهضة الشرق .

٢٥- النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور - دار النهضة مصر للنشر والطبع .

الدوريات

١ - مجلة الفكر العربي العدد ٤٦ السنة الثالثة حزيران ١٩٨٧ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

This study deals with the life and works of a great scholar of Arabic rhetoric Al-Hussein ibn Muhammad ibn Abdullah Al-Tibi (died 743 A. H.) . The topic related to this scholar reveals the ideas of al-Tibi in relation to Arabic rhetoric and the impact of these ideas on succeeding scholars in this field - up to the tenth moslem century .

The study is divided into an introduction and three chapters , in addition to a conclusion and a bibliography .

In the introduction , the reasons of choosing this topic were discussed as well the difficulties encountered in locating the different sources , including the periodicals .

In the first chapter , a definition of Arabic rhetoric and its history were discussed , as well as the works of the most important scholars who left their impact upon al-Tibi . This impact was particularly evident in his book "Al-Tabyan Fi ilm al-Ma'ani Wal-Badi' Wal Bayan" .

The second chapter dealt with the studies of al-Tibi in the different branches of Arabic rhetoric compared with the studies of his predecessors .

In the third and last chapter the impact of al-Tibi on succeeding scholars of rhetoric was revealed , especially in such book , as Ibn Ma'sum's book entitled "Anwar al-Rabi'" and al-Suyuti's book entitled "Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an" .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Lastly , I enumerated in the conclusion the works of al-Tibi an his place among the scholars of Arabic rhetoric .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص

تناولت هذه الرسالة البحث في اعمال أحد البلاغيين في القرن الثامن الهجري ، وهو الطيبي (-٧٤٣هـ) صاحب كتاب " التبيان في علم المعاني والبديع والبيان " .

والجديد في هذه الرسالة أن هذا البلاغي لم تقم حوله دراسات حديثة لأن كتابه بقي محظوظاً حتى عام ١٩٨٧ حققه الدكتور مطر الهلالي ببغداد . فلهذا تعتبر هذه الرسالة أول رسالة بلاغية حديثة تعرضت لحياة هذا العالم ومجهوده في العلوم البلاغية .

وقد اعتمد في دراستنا هذه على منهج مبسط يسهل فهمه فارتكزنا على مقدمة شاملة تحدثنا فيها عن أهمية كتاب " التبيان في علم المعاني والبديع والبيان " ، كما تحدثنا عن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة الموسعة ، وبينا أهمية الموضوع .

كما تحدثنا في الفصل الأول عن البدايات الأولى للبلاغة العربية ، لقد انتهجنا هذا التتبع التاريخي لهذه المواضيع البلاغية حتى نحدد اهتمام العلماء بها منذ القدم .

كما تحدثنا في نفس الفصل عن البلاغيين الذين أثروا في الطيبي واطلع على كتبهم وأخذ عنها الكثير من المواضيع البلاغية وذكرناهم أمثال : " الزمخشري - والسكاكي- والفخر الرازي ابن الأثير " وغيرهم ممن جاء ذكرهم في الكتاب .

أما الفصل الثاني : فقد ذكرنا فيه على مجهود الطيبي البلاغي وخصصناه للبحث عن كل جديد اضافة الطيبي للعلوم البلاغية ولتسهل علينا هذه الدراسة قسمناها الى ثلاثة علوم : " معان وبيان وبديع " . ثم تتبعنا دراسة كل موضوع تحت علمه واعتمدنا على الاستنتاجات عن طريق اقامة الموازنات بين ما كتبه الطيبي وما كتبه غيره ثم نوازن ونُطلع جديد الطيبي .

أما الفصل الثالث قد خُصص لأثر الطيبي في البلاغيين الذين جاؤوا بعده . بعض أثر بلاغة معصوم " . وقد بينا كذلك أثر كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان في تلك المجموعة من العلماء واوضحنا أثر هذا الكتاب في مؤلفاتهم وأتممنا الكثير من الموازنات ، والمواضيـــــع التي تحدثوا عنهـــا

٢٩٧١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشاروا فيها الى ان الطيبي تحدث فيها.

أما الخاتمة فقد توجهنا بمجهود العلماء في ميدان العلوم البلاغية واضفنا عليها مجهود الطيبي ، وتركناها مفتوحة بمعنى أننا لم نحصر أعماله ، وهذا لنبقي على الرسالة علميتها وتقرأ كاملة ، كما بينا مكانة الطيبي البلاغية البارزة بين علماء البلاغة ، وكذلك أهمية كتابه في علوم البلاغة خاصة وهو العالم المجدد الذي جمع بين المدرسة الأردنية والمدرسة المنطقية وصبهما في قالب جديد نتجت عنه منهجية جديدة في العلوم البلاغية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit